سلسلة تاريخ الأغواط دراسات و ترجمات الاصدار الرابع:

تاريخ القبائل النايلية

منذ خروج بني اسرائيل إلى بداية القرن العشرين



ترجمة ودراسة الأستاذ : **كزواي الحاج العرابي**

سلسلة تاريخ الأغواط دراسات وترجمات الاصدار الرابع:

تاريخ القبائل النايلية
منذ خروج بني اسرائيل إلى بداية القرن العشرين

ترجمة ودراسة الأستاذ : كزواي الحاج العرابي

مطبعة دالي الأغواط ـ الأغواط

2020 ـ 2021

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

إلى الحر ابن الأحرار، المجاهد البطل، الشهم الشجاع، السيد التلي بلكحل قائد أحرار أولاد نايل، حمى العرض في مدينة الأغواط، يوم اقتحمتها جحافل الصليبية والماسونية يوم الرابع من ديسمبر 1852 ميلادية، بك وبأهلك وناسك نعتز ونفتخر.

قال عليه الصلاة والسلام: « قل الحقَّ ولو كان مرَّاً » صححه الألباني، المدارس المعاصرة الكاتبة والموثقة للحوادث التاريخية، تطرح مصطلحا جديدا وهو ماكرو تاريخ، وميكرو تاريخ. ماكرو هو الكبير، يتناول حياة الشعوب والأمم، وهو المعبر عنه بالتاريخ الكلاسيكي، تاريخ الموسوعات والدول، كما نجده عند ابن خلدون، والطبري وغيرهم والميكرو تاريخ، يتناول التاريخ المحلي الجزئي، وهو لا يتناقض مع الكلي، لأن الجزئي هو فحص وتحليل للكلي. لما نكتب عن القبائل النايلية، وهي القبائل العربية البربرية التي حطت رحالها، وبنت قصورها بمحاذاة واد جدي العظيم، الذي كان يصب في وادي النيل، كما كتب ذلك الرحالة الرومان. هنا تتعدد أدوات البحث والفحص، وتكتمل المعلومة التاريخية، وفق مقتضياتها وسلاسلها التاريخية، المحكوم عليها بقواعد السنن الالهية، وأول ما يشترط في الكاتب القطيعة مع النفس والميل، وما يجذبه الهوى، ومن معاني القطيعة كذلك، رفض التفسير الخرافي الوهمي، واختزال الحدث البشري العظيم في خوارق أعمال، أو في حياة انسان أو نسبه. نظرية القطيعة لها سند في الوحي الصحيح نقرأ في صحيح مسلم مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم: « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء» الغربة أن تجد نفسك أمام تراكم من حكايات وقصص، ومزج بين الأسطورة والحكاية، ويطلب منك أن تصدقها، وتكون هي الحاكمة على إيمانك ويقينك، نحن تعلمنا في المحاضر والمساجد، أنه لا قداسة لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون».

لما نريد تحصيل المعلومة التاريخية عن قبيلة ما، نبحث في دلالة اللفظ ومعناه اللفظ الأقرب للدلالة والعلامة اللغوية، نجده في المبنى وهو عندنا نوايل، نايل، نائل، وما شابه والمبنى كله يعود لمعنى جغرافي له دلالة هو النيل، هذا تردده الذاكرة الشفوية. لما نستند لهذا الشرط، هنا نقف على المسمى الصحيح، ومن معانيه البشر والشعوب التي تحركت من الشمال الأفريقي، ووصلت نهر النيل ولذلك ومن ترادف المعاني، يمكننا القول قطعا قبائل النيل، أما القول أن قبائل النوايل أصل التسمية مقترن بوجود شخص صالح يسمى سيدي نايل، هذا مفارق لمنطق التاريخ، وعناصر بناء الجغرافيا السكانية، وهو مناقض لصحيح الدين، لأن النسب لا يبني الدول، والشرف ليس في المورثات الناقلة للخصائص الوراثية الجسمية، الشرف هو في العمل الصالح الناتج عن الإيمان والتقوى. شاهدت عبر المواقع سيدة من دولة ليبيا الشقيقة، تشتكي وتبكي وتقول أنها كانت تعتقد أنها من الأشراف، وأن جدها النبي عليه الصلاة والسلام ولما قامت بتحليل الحمض النووي، اكتشفت أن أصولها بربرية، وهي لا تبكي لأنا عرفت نفسها بربرية، البربر أمة من أمم الاسلام العظيمة، يعتز بها كل مسلم، ما أبكاها أكذوبة النسب، لما شرعت في تحضير العدة العلمية لكتابة هذا البحث، شعرت بالغربة وأنا أتصفح، وأقرأ في كتب ومصنفات، أقل ما يقال عنها أنها خرافية. فحصرت نفسي في اختصاصي، وهو الفلسفة السياسية وفلسفة التاريخ، بمقتضاها اعتبرت القبيلة النايلية التي نعاصرها الآن هي نتاج حتمي لرجل مختلف في تاريخه هو إدريس الأكبر، وبمقتضى المنهج الشرعي سألت نفسي هل من الشرع أن يحضر الرجل إلى الشمال الافريقي، لا ليدعو الناس للإسلام لأنه وجدهم والحمد لله مسلمين، ولم يحضر ليؤسس جامعة تدرس الناس دينهم، أو يكتب لنا كتابا نقرأه، بل جاء ليؤسس مع وزرائه

دولة، تقف كضد للدولة القائمة في زمانه، دولة هارون الرشيد رحمه الله. يومها المسلمون في عز أيامهم في هذه المسائل أنا لا آخذ الجواب عنها، إلا من خير البرية عليه الصلاة والسلام نحن لا نجرم أحدا ونحسن الظن في المسلمين ونعتبر ما قام به إدريس أو من أخذ بمنهجه، هو من باب الاجتهاد البشري، الذي يحق لنا أن نحكم على صدقه وكذبه بمقتضى نتائج الأفعال. هل استطاع إدريس الأكبر ومن جاء بعده من بناء دولة، اقتحمت الدول وحررت المدن والقلاع ووقفت أمام الحروب الصليبية، هذا بحث تقرره دراسات علمية موثقة وموثوقة، ولغاية اللحظة هي غير متوفرة. ما هو متوفر كتابة الحدث التاريخي بمقتضى الوهم والخرافة واسقاط الذات، وأضحى من يكتب الحدث التاريخي غايته إرضاء الناس ولو بالتحريف والتزوير، وكذلك التزييف. قبل أن نقرر النتائج النهائية، لا نبحث في المسلمة الا بمقتضى شرع الله، هل قدوم إدريس الأكبر إلى الشمال الأفريقي كرجل سياسي طامح في تأسيس دولة في ظل وجود خلافة إسلامية، هي في أوج قوتها مشروع ؟ الجواب: لا قطعا لا أريد الدخول في تأسيس مشروعية للحكم، هذا ليس من مطالب كتابي هذا نقرأ في صحيح مسلم: قوله صلى الله عليه وسلم «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» وقوله صلى الله عليه وسلم: « إنه ستكون هنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان» ومثله قوله صلى الله عليه وسلم: « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه». قال الإمام النووي : « فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام أو أراد تفريق المسلمين ونحو ذلك، ونهي عن ذلك فإن لم ينته قوتل، وإن لم يندفع شره إلا بقتله قتل وفي الحديث دليل على منع إقامة إمامين

أو خليفتين لأن ذلك يؤدي إلى الشقاق والمخالفة وحدوث الفتن وزوال النعم».

نقل الإجماع على ذلك النووي في شرح مسلم فقال: « اتفق العلماء على أنه لا يجوز أن يعقد لخليفتين من عصر واحد سواء اتسعت دار الإسلام أم لا، وقال إمام الحرمين في كتابه الإرشاد: قال أصحابنا لا يجوز عقدها لشخصين، قال: وعندي أنه لا يجوز عقدها لاثنين في صقع واحد، وهذا مجمع عليه، قال: فإن بعد ما بين الإمامين وتخللت بينهما شسوع فللاحتمال فيه مجال، قال: وهو خارج من القواطع، وحكى المارزي هذا القول عن بعض المتأخرين من أهل الأصل وأراد به إمام الحرمين، وهو قول فاسد مخالف لما عليه السلف والخلف ولظواهر إطلاق الأحاديث».

من أجل ذلك نحن القطارات السريعة، لا نتوقف عند المحطات الصغيرة، نحن الأمل نحن من ركب مطايا الاسلام والعروبة، نحن جيش الفتح الاسلامي نحن الهداة، نحن لا نتوقف عند وفاة شخص مهما كانت مكانته، ولا نهتم بنسب شخص. نحن لما نؤرخ نقف على الحوادث العظام، الفتح الاسلامي العظيم وهزيمة الفرس المجوس، وسقوط دولتهم الوثنية، ونذكر بإجلال، فتح الأندلس ووصول أهل الاسلام آسيا وأرض السند والهند، نحن هكذا لا نغص في نسب ولا حسب، صيني مسلم أحب لدينا من أخ فاجر منافق، يُسوق للدجل والخرافة.

عجز المسلمون إلى يومنا هذا كي يكتبوا تاريخهم، هم تائهون بين الخرافة ضائعون بين الفلسفات الوثنية التي استقرت في ثقافتهم، واحتج عليهم خصومهم بالتاريخ الأغرب من ذلك أنه أضحى مقدما عن الوحي، يكذب الله ورسوله ويَصْدق

الدجالون. نقرأ التاريخ العظيم للأمة الاسلامية قراءة المؤامرة، سيدنا معاوية رضي الله عنه وسيدنا يزيد ابنه رحمه الله، يشتمهم ويحقرهم سفلة القوم ويحتجون بالنصوص الضعيفة المنكرة، ويتركوا الوحي الصحيح في علمي لم يسمى مسجد واحد في الجزائر باسم سيدنا معاوية، وان وجد فهو نادر ندرة الذهب الخالص، أما يزيد ابنه الذي وصل جيش الفتح أيامه المحيط الأطلسي، واقترب من اقتحام أوروبا وعاصمة دولتها روما، وتوغلوا في أرض السند يومها المسلمون حاصروا القسطنطينية، عز وفخر الأمة المسيحية. يحتج على يزيد رحمه الله بحادثة مختلقة لا تصح عقلا ولا شرعا، وتنسب لخير الناس سيدنا الحسين رضي الله عنه، هل يعقل لرجل تربى في بيت النبوة، أن يكون غير مدرك ويخرج هو وعياله لينازع ملك امبراطورية هي في عز أيامها، وهو نفسه كان جنديا في جيش ابن عمه يزيد أيام فتح الشمال الافريقي، يأخذ طريقه ناحية العراق، أين قتل والده سيدنا علي كرم الله وجهه، وأُعتدي على أخيه سيدنا الحسن. لو أردنا أن نعيد المشهد بالافتراض، كما يفعل العلم الجنائي لما يتحرى عن وقوع الجرم، ويبحث في أسبابه، ما تصدق خرافة يسمونها خرافة كربلاء صنعها الخيال المجوسي، وحتى لو افترضنا صدق هذه الأحجية وأن الحسين خرج على الدولة الأموية وأراد قتالها، ألا يحق للدولة أن تواجهه، وهذا الفعل فعله سيدنا علي، لما واجه طلحة والزبير رضي الله عنهما وقتلهما في موقعة الجمل. نريد فقط هنا أن نرشد للمنهج الصحيح الذي ترتب به الحوادث التاريخية وهو منهج يقوم على أننا لا نؤرخ للحدث بل لدلالته، وأن الحكم والفصل يكون لله تبارك وتعالى في محكم تنزيله، ولأقوال الصادق المصدوق نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام إذا تم الفصل، لا يجوز لكائن من كان أن يعرض علينا بضاعته لأننا نرفضها. تكلمت عن سيدنا معاوية رضي الله عنه وابنه يزيد، وهم من

عظماء ملوك الاسلام، نحكم عليهما بقوانين التاريخ لهما ما لهما وعليهما ما عليهما.
يقول ابن كثير رحمه الله: « كانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية، ليس لهم شغل إلا ذلك، وقد اذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، لا يتوجه المسلمون إلى قطرٌ من الأقطار إلا اخذوه. »
من لا يعرف بني أمية نذكره وهذا متواتر لا يغيب إلا عن جاهل، سيدنا عثمان جمع القرآن، وأم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان منهم، ومعاوية بن أبي سفيان كتب الوحي صدر الاسلام وسيدنا عبد الله بن سعيد بن العاص، أحد شهداء بدر ويزيد بن أبي سفيان الأموي، فاتح لبنان وقائد جيوش الشام ويزيد بن معاوية رحمه الله هو قائد أول جيش يغزو القسطنطينية مدينة قيصر، روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر عن النبي انه قال: « أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمهُ اللهُ- : وبالإجماع أول جيش غزاها بقيادة يزيد بن معاوية، وكان تحت أمرته بعض الصحابة، منهم أبو أيوب الأنصاري». وبني أمية فيهم خالد بن يزيد الأموي، وهو عالم في الكيمياء، وبني أمية فيهم فاتح الشمال الإفريقي عقبة بن نافع الأموي، وبني أمية فيهم عمر بن عبد العزيز الأموي. بني أمية بناة الحضارة العربية الاسلامية، خذ على السريع هذه الشذرات: « بناء المسجد الأقصى على يد عبد الملك بن مروان الأموي، فتح الأندلس، جنوب فرنسا أرمينيا، أذربيجان، جورجيا وشرق تركيا، أفغانستان، باكستان، الهند، أوزباكستان تركمانستان» هذه قطرة من فيض، والله المستعان على الكذبة والدجاجلة، يُصدقون ويكذب الله ورسوله.
ضربت هذه الأمثال وأنا أشعر بأريحية، لأن الصادق فصل فيهما فصلا نهائيا أيها المسلمون اسمعوا ما قال نبيكم عليه الصلاة والسلام في معاوية وابنه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا ذهَب إلى قُباءَ يَدخُلُ على أمِّ حَرامٍ بنتِ مِلحانَ فتُطعِمُه، وكانت تحتَ عُبادَةَ بنِ الصامِتِ، فدخَل يومًا فأطعمَتْه، فنام رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ثم استيقَظَ يضحَكُ قالتْ: فقلتُ: ما يُضحِكُكَ يا رسولَ اللهِ؟ فقال: ناسٌ من أمتي عُرِضوا عليَّ غُزاةً في سبيلِ اللهِ، يركَبونَ ثَبَجَ هذا البحرِ، مُلوكًا على الأسِرَّةِ، أو قال: مِثلَ المُلوكِ على الأسِرَّةِ، فقلتُ: ادعُ اللهَ أن يجعَلني منهم فدعا، ثم وضَع رأسَه فنام، ثم استيقَظ يَضحَكُ، فقلتُ: ما يُضحِكُكَ يا رسولَ اللهِ، قال: ناسٌ من أمتي عُرِضوا عليَّ غُزاةً في سبيلِ اللهِ، يركَبونَ ثَبَجَ هذا البحرِ، مُلوكًا على الأسِرَّةِ، أو: مِثلَ المُلوكِ على الأسِرَّةِ" فقلتُ: ادعُ اللهَ أن يجعَلني منهم، قال: أنتِ من الأوَّلينِ"، فرَكِبَتِ البحرَ في زمانِ مُعاوِيَةَ فصُرِعَتْ عن دابَّتِها حين خرجَتْ من البحرِ، فهلَكَتْ » أخرجه البخاري و اللفظ له.

يكتب ابن خلدون في الفصل الثامن في أن العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب: «وإذا كان إنما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم و ذهبت فائدته و صار الشغل به مجاناً و من أعمال اللهو المنهي عنه و من هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع و جهالة لا تضر بمعنى أن النسب إذا خرج عن الوضوح و صار من قبيل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس وانتفعت النعرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حينئذ و الله سبحانه وتعالى أعلم».

نضع خارطة الطريق، لمن أراد القراءة العلمية لا الخرافية العبثية، أما من تبنى نظرية الخرافة والعبث، فعليه الاجتهاد في بناء شجرة النسب وأن يكلم الناس عن الخوارق هذا ما تبقى له، كتابة التاريخ المحلي للجزائر عامة، ولمناطق

الصحراء خاصة يحتاج مقدمة أساسية، حتى نفهم تفاصيل بناء الحادثة التاريخية، نضعها اختصارا على شكل مبادئ ومسلمات:

1 ـ ظهور شخصية مختلف في وجودها وحقيقتها، واقعة نبن طرفين متناقصين هي شخصية ادريس الأكبر، وتأسيس أول دولة شيعية في المغرب، وموته في ظروف غامضة وعجيبة، وقيام زوجته المسماة كنزة، بتوزيع مناطق المغرب على أحفادها أبناء ادريس الأصغر، ثم اقتتالهم ونهاية حكمهم، ثم ظهور مجاميع بشرية لا حصر لها، تدعي النسب إليه طرف آمن وسلم ووضع اليد اليمنى على اليسرى، وطرف جادل وأنكر واعتبر ما وقع هو غزو وطموح سياسي، لبس لباس الولي والمرابط التقي.

2 ـ سقوط غرناطة في عام 1491، تمت السيطرة على كامل شبه الجزيرة من قبل الحكام المسيحيين، لما نقرنها بالسنة 1096 هجرية ولد فيها صاحب كتاب اثمد الأبصار في الاختصاص بذكر الشرفاء الأخيار، وهو يعتبر كأول مصدر ذكر فبه سيدي نايل، 1096 هـجرية هي سنة في التقويم الهجري امتدت مقابلةً في التقويم الميلادي بين سنتي 1684 و ميلادية1685، هذا يعني أن ظهور المرابطين والأولياء، ونظرية ميراث النبوة، وعدم اختلاط الدماء النقية. بدأت مع سقوط غرناطة، وانتهت مع بناء الأضرحة زمن الاحتلال الفرنسي هؤلاء الذين رفعت لهم الأضرحة هم موضع شك وخاصة في الأغواط والجلفة وعموم بلاد المسلمين، هي في الأغلب أضرحة كاذبة، لأناس مشكوك في ولائهم لوطنهم ودينهم,

3 ـ ظهور الدولة الفاطمية، أو ما يعرف بالزحف الأسود، ووقوع المغرب العربي في براثنها، وانتشار أكذوبة النسب الشريف ثم نهايتها، ووقوع ما يعرف

بغزو القرامطة، يسمى كذبا وزورا في كتب التاريخ غزو بني هلال، يعني دخول دجاجلة، يحملون فكر القرامطة، استعانوا بالسحر والخرافة، وبناء الخوارق، هو ميراث الثقافة الفرعونية، استفادوا من أحفاد السحرة المصريين القدماء، لهم وجود ليومنا هذا، يدعون معرفة الغيب، هؤلاء هم في مرتبة ثانية. المرتبة الأولى حضي بها الشيوخ أعلام السحر والكهانة بخوارقهم، حولوا المسلمين إلى قطعان هم بين عبد وخادم، يسلبون الناس أموالهم وأرزاقهم ذريعتهم كلمة حق الشيخ يقصدون به خمس الشيعة، استباحوا الأعراض وحجتهم زواج المتعة، هؤلاء الدجالون توهب لهم نساء المسلمات ليتمتعن بهن ثم رميهن، والهدف من ذلك أن يحققوا متعتهم الشخصية، ويحولون النساء المسكينات لعاهرات، يسُوقُنُهن تجارة لبيوت الدعارة والمواخير، هذا يفسر انتشار ظاهرة الزنا بشكل مرعب في المجتمعات الاسلامية، قبل وبعد الاحتلال الفرنسي، أضحى مع الأيام ثقافة اجتماعية مبتذلة، لها وجود في المدن والقرى والمداشر.

المعالم الجغرافية التي تساعدنا في فهم هذه الحركة التاريخية، ضمن تاريخنا المحلي الذي نريد أن نوثقه، والتي تعتبر بداية الحكم على الناس، لشخص مبهم لا أثار مادية تدل عليه، وتاريخهم سنده مقولة: « الولي المرابط الذي جاء من المغرب أو عاد إليه وفي بعض الأحيان ترك ولدا ورجع لموطنه» نجد ثلاث مواقع جغرافية لها مثيلات، حققت معادلة ونظرية السيد والعبد هي: لبيض سيدي الشيخ، قصر سيدي بوزيد القريب من جبل العمور، وأولاد جلال قرب بسكرة. زحف القرامطة فشل رغم الجهد الكبير، أن يجعل منطقة سيدي خالد منطقة تزار وتشد لها الرحال ـ على غرار كربلاء التي قدسها الشيعة المجوس ـ لما نشروا خرافة نبي الله خالد بن سنان العبسي، وكيف أن هذا الأثر اقترنت

بعض شوائيه، بما يعرف بالزاوية الرحمانية، وما فعله المسمى سي المختار من نصرة الصليب وتجنيد الحلفاء لخدمة المشروع الصليبي، كما وقع مع سي الشريف بالحرش وغيره من شخصيات متفرقة في الأماكن والأوطان.

كتابة التاريخ المحلي، لا ينفصل عن هذه القواعد العامة، نحن لما نتكلم عن القبائل النايلية أو قبيلة النوايل، نحن نتكلم عن أمة عظيمة، سطرت الحروف والكلمات في التاريخ القديم قبل الفراعنة، وبعدهم، وأيام الحضارة البربرية. هم مثلهم من سكن الشمال الإفريقي، بربر وعرب فخر التاريخ ومجده العبق، لما نكتب عن هذه القبيلة المسلمة العظيمة، لا نعنيها بنفسها، لأنها نسخة مكررة في واقع تاريخي هو واحد. تختلف الأسماء ويبقى القانون العام واحد بكل تفاصيله وتجلياته، ما نريد أن نثبته هو المنهج، وأن غاية البحث هو تثبيت قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات: الآية 13 لا يحق لأحد أن يُحَمل تبعة فعل الأمم لا لفرد ولجماعة، لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ البقرة الآية: 134.

الأغواط: الثلاثاء 10 ذي الحجة 1442 هجرية الموافق 20 جويلية 2021 ميلادية.

الفلسفة السياسية لها قواعدها الحاكمة، ولها منطقها، السياسة والحكم لا يقومان على النيات الحسنة، النية في العبادات، والسياسي ليس هو الصوام القوام كثير البكاء السياسة علم وفن، نظريتها العامة فن الممكن، لا يوجد في قاموسها المستحيل، الغاية تبرر الوسيلة، الحاكم من يخضع الناس لسلطانه كيف يخضعهم ؟ مسألة ثانوية، السياسي هو من يحاصر القلاع ويسقطها، السياسي من تخضع له الدول، من يجيش الجيوش السياسي لما يقف أمام القضايا الحاسمة للأمة لا يسأل هل هذا خير أم شر ؟ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليس الفطِنُ من عرفَ الخير من الشرَّ، وإنما الفَطِنُ من عرف خير الشَّرين. الرسول صلى الله عليه وسلم ما نام ليلة، إلا وسيفه ودرعه بجانبه نبينا حسم معاركه الكبرى بالسيف والنزال، ما قال للناس أنا أمي آمنة، وما قال أنظروا سأخرج لكم من فمي سكينا، نقرأ في البخاري: كَسَفَتِ الشَّمْسُ علَى عَهْدِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَومَ مَاتَ إبْرَاهِيمُ، فَقالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إبْرَاهِيمَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أحَدٍ ولَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا وادْعُوا اللَّهَ.

قيام الدول وانهيارها له منطق، لا وجود للصدفة والاحتمال، لما نؤرخ لدولة وقبيلة لا نقف عند حسب ونسب، أو ننظر لشجرة أنساب، ننظر للفعل نفسه، وما صدر عنه الأعمال بالخواتيم في صحيح البخاري، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار الأعمال بالخواتيم» وفى رواية : « وإنما الأعمال بالخواتيم. »

قيام دولة الأشراف بالمغرب العربي لها تداعيات فكرية ووجودية في حياة الناس ليومنا هذا، لأن نظرية الولي وميراث النبوة، لها دعاة وأنصار، وهي حلم عند البعض ينتظر تحقيقه، وحتى نفسر وجود وتداعيات قيام هذه الدولة الدينية، يجب أن نعرض لمؤسسها وهو إدريس الأكبر، لأنه محل جدل ليومنا هذا، ونعرض الآن النظريات وحججها مع النظر إلى الثوابت والمسلمات:

موقف الدولة العباسية: إدريس الأكبر عاصر الخليفة هارون الرشيد رحمه الله هو : أبو جعفر هارون بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي. وهو الخليفة الخامس في الدولة العباسية، ولد في 149 هـجرية، وتوفي في طوس من عام 193 هـجرية، بويع خليفة للمسلمين في عام 170 هـجرية، وكان في ذلك الوقت ابن 22 سنة لا غير. أيام عز الاسلام و المسلمين وقف على شرفته وخاطب غمامه قائلا: يا أيتها الغمامة أمطري حيث شئتِ، فإن خراجكِ لي، اعتبرت الخلافة العباسية إدريس الأكبر مثله مثل غيره من الخارجين عن سلطتها وطاعتها ومن هو؟ وما هي قوته ؟ التي تحفزه وتعجل له الخروج عن أعظم إمبراطورية في زمانها وبالمنطق البسيط هذا الفعل ما هو إلا مغامرة سياسية غير محسوبة النتائج، والبعض ذهب أكثر من ذلك، وقالوا هو دعي مغامر متلبس بآل البيت هذا الكلام وغيره، حرب نفسية متبادلة، بين الأعمام أبناء العباس، وأبناء علي رضي الله عنهم.

موقف العلويين: احتجوا بميراث النبوة، وأنهم الأحق بالحكم والخلافة، وأنهم ورثة النبوة والامامة فيهم، هذه الأيام لم يظهر التشيع العقدي الذي سيعرف لاحقا بالتشيع المجوسي الوثني، ما هو موجود في هذا الزمان صراع على الحكم والنفوذ، وكل الوسائل الموصلة مباحة. وما قيل عن ميراث النبوة والعصمة والنور المحمدي الذي يحمله الأشراف كله دعاية سياسية، هذه الدعاية فشلت

ولم يصل العلويون، أبناء سيدنا علي للحكم، وهذا بحث آخر له مسارات أخرى.

نظرية الاحراج والقلق: لما تعتمد الوسائط العلمية في البحث التاريخي المقارن ونحاول أن نقف على القراءة الصحيحة الخالصة من الذات والميل، نجد أنفسنا في دائرة الاحراج والقلق، والسبب أن الحوادث غير مرتبة مع السنن الكونية الحاكمة المتحكمة وإنك لا تستطيع أن تلغي فرضيات، يفرضها منهج البحث ومع ذلك ولأن منهجنا نريده منهجا علميا، لا مناص من إعادة القراءة وإعادة ترتيب الحوادث التاريخية، بقاعدة السنن الإلهية التي نستوعبها، ونستنبط قواعدها من الشرع وروحه، وبالرجوع لكتاب اثمد الأبصار في الاختصاص بذكر الشرفاء الأخيار ومنهم على شاكلته، نصل إلى الملاحظات التالية:

هؤلاء الأشراف الذين ذكروا وهم كثر، لا أحد ترك لنا كتابا أو رسالة أو مقالة تشهد على علومهم، هؤلاء عاشوا زمن التدوين وتأليف الكتب العظيمة. الامام مالك وهو من المتقدمين عرفناه وقدم نفسه بكتابه الموطأ، حتى الأئمة الاثني عشر الذي يدعي الشيعة عصمتهم، ما تركوا لنا ورقة تشهد على علمهم وهم على الترتيب: علي بن أبي طالب الحسن بن علي المجتبى الحسين بن علي الشهيد علي بن الحسين السجاد محمد بن علي الباقر جعفر بن محمد الصادق موسى بن جعفر الكاظم علي بن محمد الرضا محمد بن علي الجواد علي بن محمد الهادي الحسن العسكري محمد بن الحسن المهدي المنتظر[1].

نسب السيد إدريس الأكبر: إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب

---

[1] يدعي الشيعة أنه حي يرزق وهو بالسرداب وينتظرون خروجه من أدعيتهم عجل الله فرجه.

بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

إدريس الأكبر في نسبه هو من الدرجة الثانية، لأن النسب الشريف في ذريته الأولى هو لسيدنا الحسين، والسبب أن سيدنا الحسن بايع سيدنا معاوية والحسن سيد كما شهد له بها النبي عليه الصلاة والسلام، والسيد لا يهادن في دينه. فهو بايع خليفة يستحق حق البيعة الشرعية هو سيدنا معاوية، هذا أغضب الشيعة في زمانه عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل من أصحاب الحسن عليه السلام يقال له سفيان بن ليلى وهو على راحلة له، فدخل على الحسن عليه السلام وهو محتب في فناء داره، قال: فقال له: السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال له الحسن عليه السلام : انزل ولا تعجل فنزل فعقل راحلته في الدار، وأقبل يمشي حتى انتهى إليه، قال: فقال له الحسن عليه السلام : ما قلت؟ قال: قلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين، قال: وما علمك بذلك؟ قال: عمدت إلى أمر الأمة فخلعته من عنقك وقلدته هذه الطاغية يحكم بغير ما أنزل الله[1].

هذه الواقعة لها أصل عند أهل السنة والجماعة نقرأ عند الترمذي: « عن يوسف بن سعد قال قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال سودت وجوه المؤمنين أو يا مسود وجوه المؤمنين فقال لا تؤنبني رحمك الله فإن النبي صلى الله عليه وسلم أري بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت إنا أعطيناك الكوثر».

[1] موسوعة كلمات الإمام الحسن (ع) - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع) - الصفحة ١٧٨

ونقرأ في كتب الشيعة: « حين كان في طريقه إلى حرب معاوية، وقد حاولوا الفتك به عليه السلام، وضربوه بالمعول في فخذه، ثم خاطبوه بـ: يا مذل المؤمنين، حين انتهى الأمر إلى تسليم الأمر إلى معاوية ولكن هؤلاء لم يكونوا من شيعة علي عليه السلام بل كانوا من بقايا الخوارج، ومن طلاب الدنيا ومحبِّي الفتن[1]».

مشكلة العقب: ما أفسد عقيدة الشيعة هو توقف النسل، بمعنى أن النسل يتوقف في نهاية السلسلة، كما حصل مع الحسن العسكري وهو الحادي عشر من أئمة الشيعة ووقع التأزم والانغلاق، وظهرت حكاية المهدي الغلام الخائف المختفي. هناك حالة تشابه بين الحسن العسكري وإدريس الأكبر، كلاهما عاشا حياتهما عقيمين، والجميع يعرف كيف يحرص هؤلاء على الانجاب، وطلب الذرية حكاية مهدي الشيعة عُرفت، أما ما وقع لإدريس في نهاية حياته أحدثت جدلا وما زال قائما ليومنا هذا، وبقيت حكاية كنزة وجنينها، وتصادفه مع موت بطل الحكاية، يحدث مفارقة في الفكر، وكل من تكلم عن هذه الحادثة، لا يستطيع أن يتجاوزها، لأن الأخذ بها ولو جدلا، يطيح بنظرية الأشراف من أساسها نسمع ما يقول ابن خلدون في المقدمة: « ومثل هذا و أبعد منه كثيراً ما يتناجى به الطاعنون في نسب إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم، الإمام بعد أبيه بالمغرب الأقصى ويعرضون تعريض الحد بالتظنن في الحمل المخلف عن إدريس الأكبر إنه لراشد مولاهم قبحهم الله، و أبعدهم ما أجهلهم أما يعلمون أن إدريس الأكبر كان إصهاره في البربر، وإنه منذ دخل المغرب إلى أن توفاه الله عز و جل

---

[1] كلمة الإمام الحسن ص 102 ومستدرك سفينة البحار ج 8 ص 580.

عريق في البدو، و أن حال البادية في مثل ذلك غير خافية. لا مكامن لهم يتأتى فيها الريب و أحوال حرمهم أجمعين بمرأى من جاراتهن و مسمع من جيرانهن لتلاصق الجدران وتطافن البنيان، و عدم الفواصل بين المساكن، و قد كان راشد يتولى خدمة الحرم. أجمع من بعد مولاه بمشهد من أوليائهم وشيعتهم ومراقبة من كافتهم، و قد اتفق برابرة المغرب الأقصى عامة على بيعة إدريس الأصغر من بعد أبيه، و آتوه طاعتهم عن رضى و إصفاق، و بايعوه على الموت الأحمر وخاضوا دونه بحار المنايا في حروبه و غزواته. و لو حدثوا أنفسهم بمثل هذه الريبة أو قرعت أسماعهم، و لو من عدو كاشح أو منافق مرتاب، لتخلف عن ذلك و لو بعضهم كلا و الله، إنما صدرت هذه الكلمات من بني العباس أقتالهم، و من بني الأغلب عمالهم كانوا بأفريقية و ولاتهم».

ظهور الأدارسة: المدارس التاريخية المعاصرة، عابت على ابن خلدون ثنائيه التصريح بالمنهج العلمي، ونقد سابقيه من المؤرخين، وهو نفسه لم يلتزم بالقواعد التي طرحها لتصديق الكتابة التاريخية، هذا الكلام عن نهاية إدريس كتبه في فصل عنوانه: في فضل علم التاريخ و تحقيق مذاهبه و الالماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها. ابن خلدون اختزل مسألة نشأة دولة على أنه طعن في نسب، والطعن في الأنساب له أصول فقهية، الكلام هنا عن مفارقة وتجمع صدف، ونتائج عالقة بالذهن ما يهم هو تشكل ملاحظات على من أسس هذه الدولة. المؤسس رجل تقي ورع طامح ليعيد المجد لقومه في أرض هي غير أرضه، وبين قوم هو يجهلهم هو عربي وهم بربر الرجل فاقد للرؤية السياسية الصحيحة، لم يعتبر من الحوادث التاريخية التي عاصرها هو وآباؤه لم يحضر للشمال الافريقي ليعلم الناس، جاء ليحكمهم في ظل وجود دولة

هي الأعظم في تاريخ الاسلام. ينافسه أبناء الحسين رضي الله عنه، ويدعون مشروعية الحكم، وأنهم هم ورثة النبوة. وزراؤه راشد بن مرشد مدعي النسب لآل البيت، الطامح هو وأبناؤه في الحكم، ولما لقي إدريس اشترط عليه مقاسمة السلطة، وهناك ملاحظة لا يعرفها إلا من قرأ مصنفات الشيعة، وهي أن الأسماء والألقاب لها دلالاتها الخاصة، ولقب راشد بن مرشد لم ينزل من السماء، نجد عند الشيعة الألقاب يتوارثونها: الصادق والصدوق والحجة، وهي مراتب تعرف الرجال عندهم. يبقى في الأخير الوزير البربري الذي تنازل عن ملكه، وزوج ادريس ابنته كنزة، نأخذ مقتطفات اثمد الأبصار يقول المؤلف:

« ثم رجع إلى زرهون عند المجيد مصعب الورب الزرهوني، فوجده أميرا وكانت الخلافة له في قبائل البرابر. فقام عبد المجيد وعقد لمولانا إدريس البيعة وترك له الحكم كما هو على حاله، وزوجه من ابنته كنزة المرضية وكان لإدريس ثلاثة من الوزراء وهم: عبد المجيد بن مصعب الورب الزرهوني، وأخيه عمر وراشد بن المرشد ويقول كذلك قال الراوي: فقام سيدنا ومولانا محمد بن إدريس وقسم البلدان على إخوانه، بأمر جدته كنزة المرضية مخافة الفتن فأول ما أعطى لعمران بادس وأحوازها، وأعطى لعلي تافلالت وأحوازها وأعطى لأحمد هبطة وأحوازها وأعطى لعيسى آيت عتاب وأحوازها وأعطى لعبد الله تادله وأحوازها.. ».

النهاية والأفول: لأنه القائل: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران الآية: 140 يكتب ابن خلدون في كتابه ديوان العبر الفصل: الخبر عن دولة حمود ومواليهم بسبتة وطنجة وتصاريف

أحوالهم وأحوال غمارة من بعدهم قائلا: «كانت الأدارسة لما أجلاهم الحكم عن العدوة إلى المشرق، ومحا آثارهم من سائر بلاد المغرب، واستقامت غمارة على طاعة المروانية، وأذعنوا لجند الأندلسيين، ورجع الحسن بن كنون لطلب أمرهم، فهلك على يد المنصور بن أبي عامر فانقرض أمرهم، وافترقت الأدارسة في القبائل، ولاذوا بالاختفاء إلى أن خلعوا شارة ذلك النسب، واستحالت صبغتهم منه إلى البداوة، ولحق بالأندلس في جملة البرابرة من ولد عمر بن إدريس رجلان منهم، وهم علي والقاسم ابنا حمود بن ميمون بن أحمد ابن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس فطار لهما ذكر في الشجاعة والإقدام، ولما كانت الفتنة البربرية بالأندلس بعد».

فلقيت الشيخ[1] العالم، العلامة البحر الفهامة، سيدي وسندي وثمرة فؤادي فريد عصره وقطب زمانه، الجامع بين الشريعة والحقيقة، سيدي عبد القادر ابن محمد الفاسي رحمه الله[2]، وجالسته أياما عديدة، وأوقاتا سعيدة من نحو ثمان سنين، إلا أن طَلبته الرضى من الله ورسوله. فقال محبة الله في محبة رسول الله، ومحبة رسوله من محبته، إنه يا بني من أحب شيئا مدحه، ومن بحث على شيء ناله، أو نال بعضه، وانت إن أردت محبة الله عليك بمحبة رسوله، ومحبة رسوله في محبة آله، فان أردت ذلك، خذ محبة آل النبي صلى الله عليه وسلم. فقلت يا سيدي كيف أنال محبة آل النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال يا بني عليك بتعظيمهم واحترامهم، وقوة الركون إليهم، ولو بطيب الكلام وإن كنت

[1] كتاب اثمد الأبصار أول مصدر تكلم عن سيدي نايل وهو سند لكل من أثبت هذه الشخصية التي هي مزج بين الحقيقة والأسطورة. المؤلف: عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي توفي 1096 هجرية هو الإمام العلّامة أبو زيد عبد الرحمن ابن الشيخ عبد القادر الفاسي الفِهري، ولد عند زوال يوم الأحد سابع عشر جمادى الأخيرة عام(1040هـ)، بمدينة فاس وبها نشأ، في حجر أسرة اشتهرت بتضلُّعها ورُسوخها في علوم شتَّى، فكانت بذلك منطلقه الأول في طلب العلم، على يد والده، وعمّه أحمد بن علي الفاسي(ت1062هـ)، وقريبه محمد بن أحمد بن أبي المحاسن الفاسي(ت 1084هـ)، وتتلمذ أيضا على أقرانهم المعاصرين لهم في ذلك الوقت، مثل: الشيخ حمدون بن محمد الأبار(ت1071هـ)، وأحمد بن محمد الزموري(ت1057هـ) وأحمد بن محمد القلصادي(ت1063هـ)، ومحمد بن أحمد الصبّاغ(ت1076 هـ)، وله إجازات عن مشايخ مغاربة ومشارقة. الموقع: الرابطة المحمدية للعلماء المملكة المغربية.

[2] والد المؤلف.

لست كذلك، فلست أنت محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن لم يكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يكن محبا لله. فحدث في قلبي أن أرفع تأليفا في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم و تعظيم آله، وشاورت الشيخ المذكور، فقال لي نعم المحبة قصدتها. فشرعت في جمع ذلك أي في تأليف عجيب، **وسميته جوهرة العقول في ذكر آل الرسول**، التي كتبت منه خمسة كراريس أو ستة، وذكرت آل النبي صلى الله عليه وسلم، وفَرغت فيه إلى أن نبلغ كل أحد إلى أصله، ويَشُفَ علي فرعه، فقدمت إلى الشيخ المذكور، ونظر فيه وتأمل وقال: بني أترك سبيله، فانك لا تقدر عليه، ولكن بني عليك بأخيار الأشراف وتعينهم، ولا تزد عليهم، ومزق الكتاب وقال: يا بني كثرة التخليط يوقع في الغلط. فَاهْتَمَمْتُ لأجل ذلك اهتماما كثيرا، واستخرت إلى الله وهو وليا ونصيرا، وداومت قراءة الكتاب والحديث من نحو إحدى وعشرون يوما فابتدأت هذا الكتاب مع الاعانة من الله الملك الوهاب، وعرضته على شيخنا المذكور بعد تمامه وفرح به، وكتب عليه ما سيذكر بعد ختم الكتاب، وقال: بارك الله فيك وفي الكتاب وذلك قلت: الحمد لله، اعلم أن الخالق الباري حقت قدرته وعلت كلماته، وتوالت آلاؤه وتتابعت نعماؤه، وزين خلقه بآله، مَنَ وأنا مَان بمعرفتهم بالوحدانية للملك الديان، ويبعث النبي صلى الله عليه وسلم وأرسله الله إلى الإنس والجان، وخلق الله تعالى الأمم الماضية قبل آدم، وجعلهم أفضل علم وبيان. فلما خلق الله آدم عليه السلام من تراب وصار بضعة مطروحة، دون روح وهو بُخَارة أربعين سنة، فأمر الله سبحانه الملائكة فَحَدَثُوا وأمرهم بالتسبيح والتهليل، وتعظيم الجليل إلى أن تواجدت الروح وأُدخلت في خياشيمه، ففاق عليه السلام بيديه حذو أذنيه، وقال: الحمد لله رب العالمين، قال الله: يا آدم لقد رحمتك أنت ومن آمن بي من ذريتك ورحمتي

سبقت عذابي، ثم خلق الله من خلقه حواء بعد نومه من ضلعه. و رُوي أنه لما قام رأى في منامه ما يرى النايم أنه خرجت من ضلعه مدينة، وفيها من الخلق لا يخفى عدده إلا الله، فخاف من ذلك واهتم فنظر يمينا وشمالا، فوجد حواء جالسة فقال لها: من أنت، قالت له: أنا حواء التي خرجت منك[1]. قال الراوي فألقى الله محبتها في قلبه قال: يا رب زوجني إياها فأجعلها طوع يدي قال: يا آدم هات مهرها قال: يا رب ما مهرها قال: أن تصلي على حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم عشرا قال: اللهم صل وسلم إلخ الصلاة ثم قال: يا حواء أدني مني فقالت له: أدن منك وأدن مني أنت قال الراوي: فقرب إليها آدم عليه السلام ومن ذلك بقيت العادة الرجل يأتي المرأة إلا أن قال الله له : أسكن وأنت وزوجك الجنة، فلما حملته منه انتقل النور من وجهه إلى وجهها فال الراوي: وقد كان نور النبي صلى الله عليه وسلم خلقه الله بين أكتافه وأمر الملائكة بالسجود إليه ثم قال: يا رب وما هذا السجود الذي أمرت ملائكتك به قال: يا آدم للنور الذي بين أكتافك قال: يا رب وما هذا النور الذي بين أكتافي قال: يا آدم هو نور محمد صلى الله عليه وسلم[2] قال: يا رب اجعله أمامي ولا تجعله خلفي، كي أرى الملائكة قال الراوي: فانتقل النور من بين أكتاف آدم إلى

---

[1] هذه روايات القصاصين لا تصح، وكل ما يأتي بعد هذا الكلام لا أصل له هو خلط بين الإسرائيليات، والروايات المكذوبة، المؤلف جاهل بعلم الحديث وعلم السيرة بشكل مطلق.

[2] حكاية النور وانتقاله هو تدليس لا يصح، وهو مقدمة لتثبيت نظرية النسب الشريف وتبرير أن الشرف ينتقل من الآباء إلى الأبناء، وهي فلسفة وثنية، مستمدة من نظرية السادة والعبد، وتقسيم الناس إلى طبقات وهذا من ميراث الفلسفة المجوسية، والهندية وكذلك اليونانية.

جبهته، فصارت الملائكة أمام آدم، قال الراوي: فمكث آدم مدة من دهره إلى أن قال: اللهم إنك أكرمتني بهذا النور العظيم وصاحبه، فانقله من بين عيناي إلى أصابعي كي أراه، قال: فإذا بالنور انتقل من بين عينيه إلى أصابع يديه فقال: يا رب الحمد لك كما حمدت به نفسك، أَنَ النور الذي بين عيناي مجتمع فاذا به عند نزوله على يدي مفترق قال: يا آدم ذلك نور محمد صلى الله عليه وسلم، و خلقآ به قال: يا رب ما خلقآ به قال: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي قال: ما هذا محمد وما خلقآ به، قال: يا آدم محمد هو الذي خلقت من نوره النور والظلمات، والبهاء والسموات السبع، والأرضين السبع والجنة والنار والشمس والقمر والنجوم، وكل شيء، و عزتي وجلالي، لولا حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم، ما خلقت جميع ما خلقت، وما خلقآ به، فأتم من نسبي وأصهاري يا آدم من آمن به، وصدق برسالته، فانه آمن من مكري. يا آدم من خالفه وأنكر رسالته، يحق عليه عذابي وشَدَ عليه غضبي، وقال: يا آدم و عزتي وجلالي لولا صاحب ذلك النور ما رحمت من رحمت، و أرزقت من رزقت، قال الراوي: خلق نور النبي صلى الله عليه وسلم في سبابة آدم، وأبي بكر في الوسطى وعمر في البنصر وعثمان في الخنصر، وعلي في الابهام. وصار آدم ينظر إلى أصابعه، وذلك في يده اليمنى وذلك قوله تعالى: وهو الذي خلق من اسمه[1] الآية. ثم صار ينقل نوره صلى الله عليه وسلم، من صلب إلى آخر إلى أن بلغ صلب عبد الله، فزوجه أبوه من آمنة بنت وهب من بني زهرة، وبقي معها ستة أشهر، فلما أكمل حمل حمله وضعته صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين في ربيع الأول، ليلة اثني عشر منه، ويروى في الساعة العاشرة في ربيع الأول ليلة اثني

[1] لا يوجد في كتاب الله هذا القول.

عشر منه، ويروى في الساعة العاشرة من تلك الليلة، والملائكة حافين ببيت آمنة، تلك الليلة كاملة، فرفعوه الملائكة إلا أن بلغوا به إلى العرش، وهم يقولون هذا محمد بن عبد الله، هذا صاحب الخاتم، هذا شفيع الأمم، هذا البشير النذير، وهذا خاتم النبيين، هذا إمام المرسلين، هذا رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم، قال الراوي: وتكفل به عبد المطلب إلى أن شب وبلغ عشرون سنة، فرأت خديجة بنت خويلد في منامها أن الشمس نزلت من السماء، ودخلت في بيتها، ثم خرج نورها، فلم يبق بيت في مكة إلا تنور به. فلما انتبهت قصت رؤياها على عمها ورقة بن نوفل، لأنه كان معبرا فقال: أنه يأتي نبي في آخر الزمان، يكون زوجك فقالت: يا عمي وهذا النبي من أي بلدة قال: من مكة قالت: أي قبيلة قال: من قريش قالت: ومن أي بطن يكون قال: من هاشم قالت: ما اسمه قال: اسمه محمد صلى الله عليه وسلم، فكانت خديجة تنظر من أي جانب تطلع عليها هذه الشمس في يوم من الأيام، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عمه أبي طالب، يأكل الطعام، وكان عمه أبا طالب يأكل معه، وعمته عاتكة وهم ينظران إلى أديم وحسن سيرته، ويقولان أن محمد كبر وشب، وليس لنا يَسَار بأن نزوجه، ولا نعرف كيف ننصحه في أمره، ثم قالت عاتكة: يا أخي إن خديجة بنت خويلد امرأة ميمونة، كلامه تعلق بها فبارك الله في معاشه، وأنها تريد أن ترسل عير إلى الشام فَنُأَجُرها محمد صلى الله عليه وسلم، كي ينال شيء من المال نزوجه به، قال الراوي: فتشاوروا في هذا الأمر مع محمد صلى الله عليه وسلم، فذهبت عاتكة إلى خديجة وأخبرتها بأجرة محمد صلى الله عليه وسلم، فلما سمعت بهذا الخبر

تفكرت في نفسها وقالت: هذا تأويل رؤياي[1]، لأن عمي ورقة قال: أنه يكون من العرب، وهذا عربي مكي قريشي هاشمي، واسمه محمد صلى الله عليه وسلم وهو حسن الخلقة عظيم الخلق وليس هو إلا نبي الخالق الحق. ففهمت أن تزوج نفسها منه في تلك الحالة، ولكنها خافت من التهمة قالت: أستأجره الآن وأصبر على عشقه، حتى يتيح الله بيننا، ثم قالت خديجة: يا عاتكة إني استأجرت كل أجير بعشرين دينارا، وأنَ أجر محمد صلى الله عليه وسلم بخمسين دينارا، فرجعت عاتكة مسرورة، وأخبرت أبا طالب، وقالت لمحمد صلى الله عليه وسلم: سر إلى باب دارها، فذهب صلى الله عليه وسلم وجلس مستحيا حزينا وكانت دموعه تقطر على خديه. فبكت ملائكة السماء لبكائه رحمة عليه فلما حان رحيل البعير جاء ميسرة، وهو أمير العير، وقال يا محمد البس ثيابا من صوف وضع قلنسوة الجمال على رأسك، وخذ زمام الحفظ وتوجه نحو الشام. فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره به إلى أن بلغ الشام، وبلغ ما بلغ في التجارة إلى أن رجع من التجارة وكان ميسرة، إذا أتى من مكة بمقدار سبعة أيام، يرسل أحدا إلى خديجة يبشرها بقدومه. فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد لو أرسلناك بشيرا هل تقدر على ذلك، فقال: نعم، فَقَدم ميسرة ناقة وزينها بأنواع الحرير، وأركب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجهه إلى مكة، وكتب كتابا وقال: يا سيدة قريش، إن التجارة هذه السنة أربح من تجارة هذه السنين، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غاب عنهم، فأوحى الله تعالى لجبريل عليه السلام، أطو الأرض

[1] هذا الكلام و ما جاء قبله، وما يأتي بعده، كذب على الله ورسوله لا يصح، وضعه المدلسون والكذابون، وهو منتشر في كتب الصوفية.

تحت قدم محمد صلى الله عليه وسلم، و يا إسرافيل احفظ محمد صلى الله عليه وسلم، وكن عن يمينه ويا ميكائيل كن احفظ عن يساره، و يا سحابة ظللي عليه، فألغى الله عليه سُنة ونوما فغلب عليه فأوصله الله مكة في تلك الساعة. وكانت خديجة رضي الله عنها على الرواق، فنظرت نحو الشام، فرأت راكبا مقبلا والسحابة على رأسه تظلله، وكانت عندها جواري كثيرة فقالت: هل تعرفين ذلك الراكب الآتي من نحو الشام، فقالت واحدة منهن لونه يشبه محمد الأمين، فقالت خديجة إن كان محمدا فقد أعتقت جميعكن لقدومه. فوصل صلى الله عليه وسلم إلى باب دارها، فاستقبلته خديجة وأكرمته، وبجلته وقالت: لقد وهبت الناقة وما عليها لك، ثم ذهب صلى اله عليه وسلم إلى بيت عمه ومرت أيام ثم جاء إلى باب خديجة، فقالت له تكلم يا محمد أخبرني بما تريد، فقال: إن عمي وعمتي أرسلاني إليك فأسأل إن يريدان يزوجاني، وقال هذا القول وسكت واستحيا، ونكس رأسه، فقالت خديجة: يا محمد إن الأجر قليل، فلا يحصل لك به شيء، ولكن أزوجك زوجة من أشراف قريش، أبهى وأحسن جمالا، وأكثرها مالا، وهي التي ترغب فيها ملوك العرب والعجم، فلم تقبل، وإذا أردت تزويجها أنت، أزوجك منك[1]، ولكن فيها عيب، وهي كانت لها زوج قبلك، فان قبلت هذا العيب، فهي خادمك وجاريتك. فقام رسول من عندها ولم يجب بشيء، وأتى بيت عمه وجلس مغموما حزينا، فسأله عمه وعمته فقال: إن خديجة سخرت مني، وقالت كيت وكيت فقامت عاتكة وقالت: إن كان ما قاله حقا وإلا أَتُنَازِع هي، ثم ذهبت إليها وقالت: إن كان لك مال ونسب، فلنا حسب ونسب فلم تسخرين بابن أخي محمد، فقالت خديجة: وأعذرت من

[1] لفظ منك لا يستقيم مع المعنى هو أسلوب ركيك و ضعيف بالمجمل.

يطيق أن يسخر بأنسابكم[1]، ولكن عرضت نفسي عليه الصلاة والسلام فان قبلني زوجته نفسي منه، و إن لم يقبل لا أتزوج أحدا غيره إلى أن أموت فقالت عاتكة هل عرف هذا القول عمك ورقة بن نوفل، قالت: لا ولكن قولي لأخيك أبي طالب، بأن يتخذ ضيافة ويدعي عمي إليها ويسقيه أنا شربة والخمر ويخطبني منه. فرجعت عاتكة وأخبرت أخاها بقول خديجة فاتخذ ضيافة، ودعا ورقة وأشراف العرب وخطب خديجة، فقال قبلت ولكن أشاور خديجة فذهب إليها وشاورها، فقالت: يا عمي كيف أرد خطيب محمد، وله أمانة وصيانة وحسب وأصالة، فقال ورقة: نعم إلا أنه ليس له مال فقالت: إن لم يكن مال، فلي مال بلا حدود ولا غاية، ولا حاجة لي بالمال، فرأى منها الوصال والمراد، ولكن وكلتك يا عمي بتزويجي إياه. فرجع ورقة بن نوفل إلى دار أبي طالب وعقد النكاح، وخطب بنفسه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وقال: يا صديقي أريد أن تذهب معي إلى بيت خديجة فقال أبا بكر: حبا وكرامة ثم أتى أبا بكر بدراعة مصرية وعمامة وألبسهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب إلى دار خديجة، فأقامت مائة غلام على يمين قبتها، بيد كل واحد منهم طبق مملوء بدرر وياقوت وزبرجد، فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل صلى الله عليه وسلم دارها، وقدمت خديجة موائد فيها ألوان الأطعمة فأكلا، فرجع أبا بكر، فنهضت خديجة وقالت: يا محمد جميع مالي من الأموال صامت وناطق، والبضائع والمتاع والعقار والقصور والديار والأحمال

[1] هذا الكلام الساقط، الغرض منه أن يؤسس لنظرية الأشراف، التي تخدم مشروعه السياسي، الذي سيطرحه فيما هو قادم.

كلها لك، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ يعني مال خديجة[1] ويقال أن خديجة عاشت أربعة وعشرون سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام يعني مع رسول الله صلى الله عله وسلم، منها خمسة عشر قبل الوحي، والباقي بعده. وولد له من خديجة سبعة أولاد منهم ثلاثة ذكور وأربعة إناث وهن: فاطمة ورقية، وزينب وأم كلثوم رضي الله عنهن، وأولاده صلى الله عليه وسلم الذكور: قاسم والطاهر والطيب وإبراهيم وهو من مارية القبطية ولم يولد غير ذلك صلى الله عليه وسلم، فزوج زينب لأبي العاص بن الربيع، وأم كلثوم لعثمان بن عفان رضي الله عنه فماتت، وتزوج بعدها رقية. ولما توفت خديجة رضي الله عنها اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل بورقة من أوراق الجنة، منقوش فيها صفة عائشة رضي الله عنها، وقال: يا محمد الجبار يقرئك السلام، ويقول لك: إني قد زوجتك البكر التي تشبه هذه الصورة في السماء فتزوجها أنت في الأرض، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الدلالة وعرض عليها هذه لصورة فقال لها هل تعرفي في مكة بكر تشبه هذه الصورة فقالت: نعم فان هذه الصورة بنت صديقك أبي بكر، فدعاه وقال: يا أبا بكر إن لك بنت تسمى بعائشة قد زوجني الله بها في سمائه، وأمرك بأن تزوجني بها في الأرض، فقال: يا رسول الله إنها صغيرة، فلا أدري هل تصلح لخدمتك أم لا فقال له: لو لم تكن صالحة لخدمتي، لما زوجني الله بها، ثم عقد النكاح ورجع أبو بكر إلى منزله، وملأ طبقا من التمر، وقال لعائشة رضي الله عنها:

[1] هو يؤسس لنظرية الخمس عند الشيعة المجوس، أهل المغرب يسمونها الزيارة وحق الشيخ، وهو أن الشريف له الحق في أخذ أموال المسلمين، وستتطور النظرية بعد ذلك لنظرية الشريف أين يحل المكان له، والبشر المتواجدون صنفان عبيد وخدام، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

اذهبي بهذا التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقولي له أن والدي يقول: أن الشيء الذي سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه هذا، فلا يدر أيصلح له أم لا، فأتت إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته وحيدا ووضعت الطبق بين يديه، وأدت الأمانة أي الرسالة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة قبلنا، ومد يده وأخذ بطرف ردائها، فنظرت إليها مغضبة وقالت: يدعوك الناس باسم الأمانة وهذا من علامات الخيانة[1] وجذبت ثوبها من يده وخرجت، وأتت لبيت أبيها، فقال أبو بكر: يا عائشة كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا أبت فلا تسألني إنه أخذ ثوبي وجذبني إليه، فقال: يا قرة عيني لا تظنني به، كفى السوء، فاني زوجتك منه، فخجلت ونكست منه رأسها، وكانت عائشة رضي الله عنه تفتخر على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقول: إن الله زوجني من محمد صلى الله عليه وسلم، ودخل بها صلى الله عيه وسلم. وكان يحب ابنته فاطمة رضي الله عنها، وكانت له تذكرة من خديجة رضي الله عنها، وحب الولد الصالح من الإيمان. وكانت لم تكن لها والدة تربيها، وتهيء لها أسباب التزويج فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد الجبار يقرئك السلام، ويقول لك أتمم أجلها، فإنها أحب إلي منك ففوض أمر تزويجها إلي، فإني أزوجها مما أحببت. فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل جبريل عليه السلام وبيده طبق وميكائيل واسرافيل وعزرائيل صلوات الله عليهم، وبيد كل واحد طبق مغطى بمكبة مع كل واحد منهم ألف ملك، فوضعوا الأطباق بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا يا جبريل قال: إن الله تعالى يقول: إني زوجت

---

[1] ينقل كلام الوضاعين والقصاصين ويسيء لمقام النبي صلى الله عليه وسلم.

فاطمة لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهذه أثواب الجنة وثمارها ألبسها الثياب وأنثر عليها الثمار. فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا جبريل كيف كان تزويج فاطمة في السماء قال: يا محمد إن الله أبى أن تفتح أبواب الحنة ففتحت وأغلقت أبواب النيران فأغلقت، ثم زين العرش والكرسي وشجرة طوبى، وسدرة المنتهى ثم أمر الولدان والغلمان، أن ينصبوا في كل قصر خيمة، وفي كل خيمة غرفة، ومجلس لوليمة فاطمة رضي الله عنها. وأمر الملائكة المقربين والروحانيين و الكروبيين1 بأن يجتمعوا تحت شجرة طوبى، ثم أرسل الله تعالى الريح الحَشرة، فهبت في الجنان، فتساقط من أشجارها الكافور والمسك والعنبر على الملائكة، ورقص حور العين، وانتشرت الأشجار بالحلي والجواهر عليهم الولدان والغلمان، ثم نادى الجليل جل جلاله، وأثنى على نفسه وقال: إني زوجت سيدة النساء فاطمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقال لي: كنت أنت خليفة ابن عم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فزوجها الله وقبلت أنا لعلي بن طالب، فهذا عقد نكاحها في السماء، وأعقد أنت في الأرض يا محمد. فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، ثم فاطمة رضي الله عنهما، وجمع صلى الله عليه وسلم أصحابه في المسجد، فنزل جبريل عليه السلام وقال: إن الله أمر عليا بأن يقرأ بنفسه الخطبة فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأن يقرأ الخطبة فقال: الحمد لله المتوحد بالجلال المتفرد بالجمال، خالق ومحسن طبقات الكمال، خليفة الله الذي ليس كمثله شيء، ولا يكون كمثله شيء، ولا يكون كمثله إلا هو، خالق البلاد والعباد، والحمد لله

[1] الملائكة الكروبيون ذكروا في التفاسير والأخبار الموضوعة، البعض قال هم سادة الملائكة، والبعض قال هم حملة العرش، والبعض قال هم ملائكة العذاب.

على نعمه وأياديه، وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة تبلغه وترضيه وتجير قائلها و تقيه. يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، وصلى الله على النبي، الذي انتخبه لوجهه صلاة ترضيه، وتبلغه الزلفى وتحصيه، ورحمة الله عليه وعلى آله وأصحابه ومحبيه والنكاح ما قضاه الله وأذن فيه، وإلى عبد الله وابن أمته الراغب إلى الله، الخاطب خير نساء العالمين، ولقد بذلت لها من الصداق أربعمائة درهم عاجلة، غير آجلة، فزوجته إياها يا رسول الله على سنة من مضى من المرسلين. فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد زوجتك فاطمة بك يا علي، وزوجك الله تعالى بها، قال الشيخ المذكور: ذكر هنا حمل السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشابين الأسعدين وهما السيد محمد الحسن[1]، والسيد محمد الحسين، وسمى الكتاب بعدهما، فشرقت الآن فيما أمرني به شيخنا قلت: لما دخل السيد علي بن أبي طالب بسيدة النساء فاطمة رضي الله عنها، وطالت مدتها، ومعاشرتها معه ولم تولد ولدا. فأتت النبي صلى الله عليه وسلم، وجلست بين يديه وبكت وشكت له، فدعا لها صلى الله عليه وسلم، فحملت بالنجل السعيد السيد محمد الحسن، فلما بلغ أشده من محل الرضاع إلى محل الفطام، حملت أيضا بالنجل السعيد السيد محمد الحسين رضي الله عنهما، وقيل على قول ضعيف أنهما توأمين، وكان صلى

[1] لما يذكر سيدنا الحسن والحسين رضي الله عنهما يضيف المؤلف لفظ محمد فيقول محمد الحسن ومحمد الحسين والسبب أنه يأتيه الهلع من قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ الأحزاب الآية: 40 وقوله تعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ الأحزاب الآية: 5:

الله عليه وسلم يحبهما، وكان يقول: يا سبطاي، أي أولاده صلى الله عليه وسلم لأنه قال: ذريتي وذريتهم ذريتي إلى يوم القيامة إلخ، الحديث المورود. فأما السيد محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، كان جليلا جميلا شجاعا فارسا، بطلا خيالا في الحروب، لا تردعه أربعمائة فارس من الأبطال ويحكى أنه جلس يوما مع اليزيد بن معاوية[1]، ودخل عليهم الأعمش الشاعر وصار يمدح السيد محد الحسن، فأمر له بألف دينار فأخذ الأعمش رجل السيد محمد الحسن وقبلها، فقال اليزيد: أنا أحق بتقبيل الرجل منه، فقال له الأعمش: هو أفضل منك، قال له اليزيد: أنا أحق بتقبيل الرجل منه فقال له الأعمش: هو أفضل منك، قال له اليزيد: أنا خير منه فقال السيد محمد الحسن رضي الله عنه: يكفيني هذا أنت بمنزلة إبليس لعنه الله إذ قال: أنا خير منه فسكت ولم يجاوبه[2]، وكان رضي الله عنه ولد ولدين الأول سمي على أبيه علي، والثاني سمي على أخيه السيد محمد الحسين، فالأول مات من شهرين والثاني وقع فيه الخلاف قيل أنه كبر وتزوج، وخلف ذرية، وقيل أنه لم يخلف ذرية،

---

[1] هو يقصد يزيد بن معاوية رحمه الله الخليفة الأموي.

[2] هذه حكاية مكذوبة نقرأ في صحيح البخاري: ولقَدْ سَمِعْتُ أبَا بَكْرَةَ يقولُ: رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى المِنْبَرِ والحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ إلى جَنْبِهِ، وهو يُقْبِلُ علَى النَّاسِ مَرَّةً وعليه أُخْرَى، ويقولُ: إنَّ ابْنِي هذا سَيِّدٌ، ولَعَلَّ اللَّهَ أنْ يُصْلِحَ به بيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ. هذا السيد الحر يستعبد الناس، ويأمرهم بتقبيل رجله، المؤلف يدلس ليبني نظرية الأشراف في تقبيل الأيادي والأرجل، وينسى قول سيدنا عمر: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار .

.

وقيل مات من إحدى عشرة سنة وقيل من إحدى عشرة شهرا على الخلاف بين الرواة. هذا ذكر السبط الأول. وأما السبط الثاني وهو السيد محمد الحسين، أنه كان سميح الوجه نحيل الجسم، عالما ورعا عابدا زاهدا كريما رفيق القلب وقد سأله أبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذات يوم، وقال له: يا بني ما بين الصدق والاخلاص قال له مقدار أربعة أصابع، قال له: وكيف ذلك يا بني قال: كم بين الأذن والعين يا أبتي، قال: أربعة أصابع قال: الصدق ما سمعناه والاخلاص ما رأيناه قال له: والله أنت ولد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا، قال الراوي وتوفي السيد الحسن سنة تسع وأربعون في شهر الله ربيع الأول بسبب السم، الذي سقاه اليزيد ويقال أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس أسقته إياه، بإذن اليزيد ابن معاوية يحكى أنه وعدها فبعد وفاته رضي الله عنه، لم يقبلها اليزيد، أي لم يقبل تزويجها، وتوفي السيد محمد الحسين في واد كربلاء بعسكر اليزيد بن معاوية، خديعة ومكرا منه، وها أنا إن شاء الله أذكر أولاده رضي الله عنهم أجمعين، وجعلنا من أحبابهم وقربائهم وسميته **بإثمد الأبصار في الاختصاص بالشرفاء الأحرار الأخيار** لانفراد ما هو مشهور منهم، ولا يخفى على أحد، وتبعت في ذلك قول الشيخ سيدي عبد القادر المذكور، ولم أذكر ذريتهم كافة إذا ظهر الأصل فالفرع تابع، وأيضا لم أذكر أجدادهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنني بنيت التأليف على ذلك. إنه يفهم من كتابي هذا جميع ما يذكر فيه هو شريف، ولا نذكر سوى ما هو مشهور وأترك ما فيه خلاف بين العلماء، لأن الحق أبهى من الشمس ونذكر أول كتابي ذرية السيد محمد الحسن، وكيف وفاتهم وأي بلدة هم فيها، ولا أغفل عن ذلك إن شاء الله، وبيان ذلك أن السيد محمد الحسن، ولد خمسة أولاد ذكور وهم: السيد محمد والسيد علي والسيد زيد والسيد الحسن المثنى والسيد طلحة

ومن أهل المعرفة من قال خلف السيد محمد الحسن ثلاثة أولاد فقط: وهم السيد الحسن المثنى والسيد محمد والسيد علي وبنتين رضي الله عنهم أجمعين فأما السيد الحسن المثنى كان له أربعة أولاد كلهم ذكور وهم: عبد الله الكامل والعباس والحسين المثنى وعلي، أما علي فتوفي بإفريقية، كان واقفا على حدود الله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما، وخلف ولدا واحدا بإفريقية واسمه سعيد، وأما السيد محمد الحسن كان له غلامان أحمد وابراهيم وتُوفَي بالعراق، قال الراوي لما كبر حسن المثنى بن الحسين السبط، وشاع خبره في الشام أرسل له صاحب دولة الشام أحد من أصحابه فطعنه بسهم، وصادف قلبه فقتله رحمة الله عليه ذلك في شهر لله ربيع الأول عام ثمانية ومائة من الهجرة، وقيل السيد محمد بن الحسين نزل ببغداد، وأذكر إن شاء الله أولاد عبد الله الكامل، وأذكر بعضهم ولا نتعرض لجميعهم، وذلك بحسب ما يسر الله لنا بمعرفة بعض الأنساب وكثير من المؤلفين يعرف ذريتهم، ويكتب أجدادهم وذلك تخليط فكيف يحصي آثار من لم يشاهده، قال الراوي: فأما سيدنا ومولانا عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فان له ستة أولاد من الذكور وهم: إدريس وسليمان ومحمد ويحيى وجعفر وموسى، وهؤلاء أولاد مولانا عبد الله الكامل، فأما يحيى بن عبد الله فقام في الحجاز أميرا وقتل مغدورا عام ستة وستون من القرن الثاني، وأما موسى بن عبد الله الكامل، فأقام في البصرة أميرا وقتل مغدورا أيضا في أيام جعفر المنصور عام سبعة وستون من القرن الثاني، وأما محمد بن عبد الله الكامل، فأقام باليبنوع أميرا ومات مغدورا أيضا، عام ثمانية وستون من القرن الثاني وأما جعفر بن

عبد الله الكامل، فأقام في الديلم أميرا وقتل مغدورا، عام تسعة وستون من القرن الثاني في زمن هارون الرشيد. وأما إدريس[1] وسليمان فانهما فر بأنفسهما إلى المغرب، وهما يجدان السير إلى بلغا أم العساكر بحوز تلمسان، ونزلا على راشد بن المرشد القرشي، وذلك أن راشد سبق إدريس وأخيه سليمان بحوز تلمسان، ونذكر لك إن شاء الله سبب نزول راشد في حوز تلمسان، قال الراوي: سمعت من الشيخ سيدي يوسف الفاسي، أنه حدثني كما نقله عن الثقات عن سيدي إبراهيم ابن نافع قال: تلاقيت مع القطب سي محمد الهواري فتناولنا الحديث، حتى أمضى بنا الحديث إلى راشد، قال لي سي محمد الهواري، قرأت عن القطب الغوث أبي عبد الله سي محمد الرقاشى رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم آمين. فسألته عن راشد بن مرشد فقال لي كان المرشد بمصر، وكان له أخ اسمه المهدي مستخدما للأمير، وقال يوما للأمير إن أخي يريد الخلافة، فبعث إليه الأمير ليأخذه وكان الراشد شيخا كريما محبوبا عند الناس ثم إن واحدا من وزراء الأمير، اطلع على سر الملك، وكان بينه وبين الملك سترا. فأرسل من خدامه أحدهم إلى المرشد فأنذره، وكان المرشد لا يأوي إلى الحضرية، وكانت له خيمة بالبادية، فمكث فيها حتى جن الليل، وحمل على إبله من جميع أعز عليه من متاعه وترك ما هان. وصار يجد السير حتى بلغ حوز تلمسان، يعني ببلاد أم العساكر، فلما رأوه أهل ذلك البلاد، و رأوا خيره وجوده اتخذوه رئيسا، فمكث عندهم وتزوج منهم امرأة، فولد له منها ولد، وهو

---

[1] هو إدريس الأكبر أول من أسس دولة شيعية في الشمال الافريقي، التشيع يومها كان نظرية سياسية، ترى أن أبناء علي كرم الله وجهه أولى بالحكم من بني أمية، وبني العباس، وأنهم ورثة النبوة.

راشد. فلما حضرت الوفاة أي المرشد، حضر ولده راشد وستر له سترا قال المرشد: يا بني اعلم فإنني أنا المرشد بن ابراهيم بن عيسى بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله1عنه وهذا محمد هو الذي مر إلى العراق من سم اليزيد، ذكر هذا الشيخ المؤرخ سي محمد الرقاشي، وهكذا ذكر صاحب تحفة الأخبار وبعضهم لم يصح هذا عندهم، أي هذا الخبر وإنما هو عربي قريشي لا غير ويقال أن راشد والله أعلم هو الذي بنى أم العساكر[2] قال المرشد لولده راشد: أكتم هذا بني يُطلع عليه، لكي لا تُهلك نفسك، لأن هذا الأمراء يبغضون الأشراف ويهلكونهم، وقص عليه خبره مع أخيه المهدي، فتوفي المرشد رحمة الله عليه، وخلف ولده راشد وكان راشدا رجلا شجاعا كريما جميل الوجه محبوبا عند الناس ويرجع كلامنا إلى مولانا إدريس، وأخيه مولانا سليمان فلما فرا بأنفسهما، وجدا السير إلى المغرب إلى أن نزلا بأم العساكر2، عند راشد بن مرشد وأحسن بهما، فمكث إدريس وأخوه سليمان عند راشد ستة أشهر، فلما أراد إدريس القدوم إلى المغرب، قال له راشد: إن كان ولابد فلي عليك شرط بأن لا تؤثر علي أحد وتراعي أولادي من بعدي كما تراعيني قال له مولانا إدريس رضي الله عنه: فلك ذلك وأنا نشترط عليك أن لا تبدلني وتراعيني في نومي ويقظتي فقال له: نعم فتحالفا معا3 على ذلك، وسار إلى بلاد المغرب وكان

---

[1] يريد أن ينسب نفسه للنسب الشريف، حتى يكون لأبنائه صولة وجولة، فيما هو قادم، والمؤلف ينفي ليفسح المجال أمام إدريس الأكبر ليؤسس دولة الأشراف.

[2] مدينة معسكر الآن.

[3] هو حلف على تقاسم السلطة بين الرجلين، في كل الأحوال هي السياسة، هي فن الممكن والذي ينجح من يحسن ادارة الأمور، وينظر في ما هو قادم، ولا يعنيه ما هو قائم.

لراشد ابن مملوك، وخلف غلاما اسمه راشد الأصغر في بلاده، ومكث مع سليمان بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو مالك المغرب الأوسط، وهو رئيس مغربي يعني المغرب الأوسط ويسمون أولاده أولاد سليمان الرئيس، وترك ذرية هناك وهم أهل الراشدية، وهم شرفاء تلمسان وغريس وغيرهما، كما سَيُذكر بعض الأخيار منهم. وأما مولانا إدريس بن عبد الله الكامل، فحين سار إلى المغرب ومعه وزيره راشد بن مرشد، فبلغ إلى طنجة فلم يجد من يدله على الحال، ثم رجع إلى زرهون عند المجيد مصعب الورب الزرهوني، فوجده أميرا، وكانت الخلافة له في قبائل البرابر. فقام عبد المجيد وعقد لمولانا إدريس البيعة وترك له الحكم كما هو على حاله[1]، وزوجه من ابنته كنزة المرضية وكان لإدريس ثلاثة من الوزراء وهم: عبد المجيد بن مصعب الورب الزرهوني، وأخيه عمر، وراشد بن المرشد وكانت كنزة المرضية بنت عبد المجيد بن مصعب، ذات حسن وجمال وبهاء وكمال، وذات عقل واعتدال وقامة وخيال. فحملت منه بالنجل السعيد مولانا إدريس الأصغر، وسبب موت مولانا إدريس الأكبر قال الراوي: أنه أتاه سليمان بن جابر النبذي ثم الزفر من المشرق بأمر هارون الرشيد[2]، وتحته قارورة من المسك مسمومة، وما زال يتلبس ويتقرب إليه حتى صار من أحبابه، فدفع له ذات يوم تلك القارورة فشمها، فطلع السم على خيشومه فمات رحمه الله ورضي عنه، قال الراوي رحمه الله وذلك عام سبعة وسبعين من

[1] يتنازل الزرهوني عن السلطة، ويقبل أن يكون وزيرا لقادم غريب، هو لا يعرفه أمر محير وعجيب.

[2] القاتل هو سليمان بن جرير اليمني مولى المهدي المعروف بسليمان الشماخ.

القرن الثاني، وخلف زوجته كنزة المرضية حاملة منه من ستة أشهر، وذلك بالنجل السعيد، ووضعت حملها بعد تمامه فولدت ذكرا، سمته على أبيه إدريس من شوقها ومحبتها فيه، وقاموا به وزراء أبيه وتكفل به راشد بن مرشد، حتى بلغ ثمانية أعوام وقيل اثنى عشر سنة، وبلغ الحلم، وقرأ جميع العلوم. وأمر ببناء المدينة البيضاء وهي مدينة فاس وأعانه الله على بنيانها، لقوله صلى الله عليه وسلم ليلة عُرج به: رأيت بقعة بيضاء تلألئ في المغرب، فقلت يا حبيبي جبريل، ما هذه البقعة البيضاء، التي تتلألأ في المغرب، فقال هي مدينة لأمتك في آخر الزمان، تسمى بفاس ينبع العلم من صدور أهلها، كما ينبع الماء من حيطانها. ثم زوجته أمه الحسنى من بنات سليمان بن محمد الضباع، وكانت أمة كاملة العقل والدين، تابعة للكتاب والسنة، وروي أن إدريس كان لا يفعل شيئا حتى توافقه قال الراوي: إن إدريس كان لا يفعل شيئا حتى توافقه أمه قال الراوي: ثم توفي رحمة الله عليه بعدما استقر في مدينة فاس، وسبب موته رضي الله عنه حبة من العنب الزواع مسمومة، وخلف اثنى عشرة ولدا وهم: محمد وأحمد وأبو القاسم وعمر وعمران وعلي وعيسى ويحيى وحمزة وعبد الله وداوود وكثير هذا ما خلف مولانا إدريس بن إدريس قال الراوي: فقام سيدنا ومولانا محمد بن إدريس وقسم البلدان على إخوانه، بأمر جدته كنزة المرضية مخافة الفتن[1]. فأول ما أعطى لعمران بادس وأحوازها، وأعطى لعلي تافلالت وأحوازها، وأعطى لأحمد هبطة وأحوازها وأعطى لعيسى آيت عتاب وأحوازها

---

[1] هذا يؤسس للنظرية السياسية للأشراف، الشريف لما يصل إلى أي مكان هو ملكية له، ومن هم على الأرض عبيد وخدام، هم وأبناءهم وأحفادهم، وعقد التملك والحيازة هو الضريح، وإن تعسر الوضع يكفي المقام، لما يمر الشريف ويجلس بمكان هو كذلك له هذا يسعفنا في فهم جغرافية الانتشار للقبائل في الشمال الافريقي.

وأعطى لعبد الله تادله وأحوازها، وأعطى لحمزة تازة وأحوازها، وأعطى ليحيى مراكش وأحوازها وأعطى لأبي القاسم سبتة وأحوازها وأعطى لداوود تلمسان وأترار وأحوازهما، وأعطى لكثير مالقة وغرناطة وأطرق وجبل الفتح، وبقي سي محمد في مدينة فاس قال الراوي: أول ذريتهم بنو جرمون، والسقفيون وبنو ميمون، وبنو تودغير، وبنو حرمة والخرشفيون والمراغنة، والمرغانيون، وابن حمير، والقاضيون، وبنو كلال، وابن وكيل، وأولاد عنان، ومغراوة[1] والبدويون، وبنو عون، وأبو عمران، وأولاد علي بن يحيى، والعراقيون، وأولاد أبي بكر، وابن بجرير، وبن زيان، واللحيايون، وابن حرفص، وأولاد رحمون وأولاد زكرياء، وابن جنون، وابن سليمان، وأولاد خالد، وبنو قايد، وأولاد سالم، وأولاد عبد الحليم، وأولاد الحاج علي، وابن يلول، وابن يلمان، وأولاد علي، وأولاد أبو علي، وسجرارة، والهلاليون، وابن دالون، ومزاجة، والزرالدة وأولاد أبو عيشة، والقنوات، ونوغة، وأولاد مهد، والعلويون، وأولاد عبد الرزاق، وأولاد بوزيد، وابن كثير، وأولاد عبد العزيز، وأولاد الناصر، وأولاد عبد الحق، وأولاد عبد الصمد، وأولاد أرزقي، وأولاد العباس، ومديونة وأولاد أبو التقى، وأولاد عبد الله، وأولاد عبد الرحمان، وأولاد السكنام **وأولاد نايل**[2] وأولاد أبو الليث، والبربريون، وكلهم فرقة واحدة والهمديون والعنابر، والجرطيون، والعلاميون، ومناضة، وأولاد سليمان، وهوارة، وبنو

[1] القبيلة الأمازيغية من عواصمها الأغواط وما جاورها وعاصمتها القديمة مدينة الشلف.

[2] سيدي نايل ولد سنة 1494 ميلادية المؤلف ولد سنة 1634 ميلادية الفرق بينهما 137 سنة.

عد، وبنو خالد، والمناصرة، وأولاد برح، والزمريون رضي الله عنهم، وجعلنا في حماهم في الدارين، بجاه جدهم الأمين أمين . آمين . آمين. والآن أذكر أخيار أولادهم، وأولاد أبنائهم يعني من ذرية مولانا جعفر بن عبد الله، ومولانا موسى بن عبد الله، ومولانا محمد بن عبد الله، ومولانا يحيى، ومولانا سليمان ومولانا إدريس، والسبب في ذلك أن الشيخ المذكور في أول الكتاب، قال لي: يا بني لا تذكر إلا أخيار الأشراف المشهورين، وأترك غير المشهورين، ولا تذكر لقوة التفريق فيهم، وكثرة أسماء الناس يسمون بأسمائهم، وتوقع في الغلط، ويوقع التغليط بين أهل التأليف والوثائق. وتخرج عن الصحيح، وأترك التسلسل بآبائهم وأجدادهم، لأنهم مشهورين في الكتب المتقدمين فنذكر إن شاء الله كما أمرني الشيخ، فأول ما أذكر من ذرياتهم من أخيار الشرفاء، ميمون بن ميمون الوديغي الذي ملك بلاد فجيج وكان ملكا وكان يهد البلاد بجيوشه، وكان فارسا عارفا بالحروب وكان يشعر ذات يوم ويقول:

أقسمت إلي الجيوش وصرت أميرها وطاعت لي الأملاك وكانت لي غلمانا
ووقفت عند الحدوبة حاكم ولاحت بي الأزهار ســـــــــــــرا وإعلانا
وقتلت بسيفي الكفار والزنادقة وأحيين سنـــــــــــــــــة نبي عدنانا

ومن أخيار الأشراف مولانا إبراهيم بن أحمد السقفي، كان رجلا سخي الكف خير الكبدة كريم الضياف، صاحب سياسة ورياسة، هشوشا بشوشا، وهو جد أشراف االسقفيون وهو أنه بنا دارا وجعل أمامها سقفة، وسقفها بالبشنيخة. ومن أخبار الأشراف سيدي إحصاير بن رح، كان رجلا سخيا زاهدا صاحب تلاوة القرءان، ذو فقه محدث وقد ظهرت له كرامات عديدة

يحكى أن هو الذي كلمته برصة[1]، وهو قادم لصلاة الجمعة إلى ناحية ندرونة أي وهو كان بواد التافنة وشهد الملكوت، وطابت أوقاته وصارت الأيام له سعيدة ولذريته، وهو جد أشراف تمصلحت وخيرهم، وهو بإزائه مشهورين. ومن أخيار الأشراف الفقيه النزيه كامل الشرف من أبيه وأمه، العارف بالله الواقف على سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، العامل بكتاب الله الذي كان إذا وضع يده على عظام الدواب الميتة ترجع ذهبا، وإذا أشار إلى أوراق الأشجار ترجع دراهم[2]، وهو إمام الوقت وشيخ الطريقة، وإمام الحقيقة المناظر، أبي عبد الله سي محمد السنوسي. ومن أخيار الأشراف الشيخ العارف الذي إنحزرت له المواهب، ونطقت بين يديه المكاسب، وكلمته الشاة، وفك الأسير وطاوعته برصة في سيرها، وهو نايم على ظهرها، سي علي الحساني المعروف بالريف وهو من ذرية سي محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان ومن أخيار الأشراف شيخ زمانه وفريد أوانه، وحبيب الله ورسوله، صاحب الرجعة الطيبة والمشيئة الشرعية سي موسى بن صالح، وهو جد الأشراف المسمون بأولاد صالح. ومن أخيار الأشراف زيان بن محرز وزيان بن عهرب، اللذين كانا يتكفلان باليتامى والأرامل وينفقان على المساكين، ويزجران القوي على الضعيف بأموالهما وأنفسهما، وهما جدا أشراف الزيانيون. ومن أخيار الأشراف السيد الفقيه المدرس المحقق المدقق الشيخ إعطية، وهو جد أشراف أولاد

---

[1] برصة هو لفظ عامي هذا ما فهمته ويقابله في الفصيح الوزغ، الذي أمر النبي عليه الصلاة والسلام بقتله، ما يهمنا هو بداية نشأة الدعاية السياسية القائمة على أن الأشراف يقومون بالخوارق التي يسمونها كرامات، وستتحول إلى فلسفة حياة وموت تظهر وتقتل الدول، ولله الأمر من بعد ومن قبل.

[2] فلسفة الخرافة والوهم، ميراث الفرعونية، والفلسفات الوثنية.

عطية، ومن أخيار الأشراف القطب الكامل والبحر الهايل والنهر السايل الذي أشتهر بزيارته لنهر الجنون المعروف ببلاد جارت، وهو القطب الشهير المسمى بسيدي ورياش. ومن أخيار الأشراف الشيخ السخي العارف سي بهلول المعروف بقبايل بني يسر. ومن أخيار الأشراف فارس الحروب وكاشف الكروب، من هرب إلى الله سخي الكف، قريب السقف، الشيخ عزوز المعروف بالصفيصيفة. ومنهم الشيخ الحسن التقي لله عز وجل السيد أبو غيول أحمد بن عبد الله. ومن أخيار الأشراف الحبيبين التابعين للشريعة والحقيقة، وهما سيد زيان بن محرز وسيد زيان بن عهرب، وهما أجداد أولاد مخلوف بن خلف الله. ومن أخيار الأشراف الشاب الأديب، الفاضل الحسيب أرزين، وهو جد أشراف بني يفرن، ومن أخيار الأشراف الرجل الصالح والقطب الواضح، القاطن بإزاء بني عامر سي اعمر بن صالح. ومن أخيار الأشراف الرجل الأمين، والبدر المنير، والبحر الخطير، حامل العلم ولواء القرآن أعنان بن عنان، الذي غدره عبده وقتله، وهو جد أشراف أولاد أبو عنان، ومن أخيار الأشراف الرجل الزاهد والتقي العابد، التارك أحوال النفس من الطبايع والعوايد الذي كان يعيش بالبقول والجراد في عبادته وكانت حرفته رعاية البقر، وصناعة الحلفة وهو سيدي خالد بن زكرياء المشهور بمخروق الشاهد، وهو جد أشراف السرسر ومن أخيار الأشراف الضيغم الهمام وطلسم الحكام، السيد الحسين ابن موسى، وهو جد أشراف وزان، ومن أخيار الأشراف البحر الخطيم الدر النظيم، الذي كانت الأشجار تسجد لسجوده وتركع لركوعه، وترفع لرفعه، عظيم المقلاع وعزيز الكلام، القطب الغوث سي عبد

السلام بن مشيش1 الذي أشتهر للزيارة، وحَجَةُ الأخيار، ويروى أنه من وقف على قبره ثلاث مرات بنية خالصة، وإقامة الدين، يعتقه الله تعالى من النار وهو جد أشراف بني حرفص، وهو معروف بجبل العلام، نفعنا الله ببركاته آمين. ومن أخيار الأشراف الرجل التقي النقي الزكي، السيد حمزة بن أحمد المعروف بواد مجردة بإزاء إفريقية، وهو جد أشراف أولاد حمزة. ومن أخيار الأشراف العالم الأمثل، والقاضي الأكمل والسر الأفضل، والجوهر الأصقل سي القاضي المعروف ببسكرة. ومن أخيار الأشراف الذي ظهرت ولايته واشتهرت بركاته، الشاب الأديب التقي الحسيب، الولي الطيب المعروف بواد يسر سي عبد الله السكناوي. ومن أخيار الأشراف صاحب الأحوال الربانية والطرائق السنية، الذي كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم وكان كثير العبادة وكانت عبادته مع الوحوش والهوام سي نايل، وهو جد أشراف أولاد نايل1. ومن أخيار الأشراف القطب الغوث، السالم من الطعن واللوث، سي إسماعيل بن برويسون، وهو جد أشراف أولاد بريبسون. ومن أخيار الأشراف الفارس المكرم والليث المطمطم، والرجل المعظم، وهو السيد الحسن بن أبي القاسم، وهو جد أشراف مراكش من بلاد سوس. ومن أخيار

---

[1] هو جد سيدي نايل: هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي **بن سيدي عبد السلام بن مشيش** بن أبي بكر بن علي بن عيسى بن سالم بن مروان بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيدي ادريس الأصغر بن سيدي ادريس الاكبر.

الأشراف أمير الناس، وطيب الأنفاس السيد محمد بن كثير، وهو جد أشراف أولاد كثير، ومن أخيار الأشراف الأخوة الأشقاء والأحبال.

1 المؤلف يعرف بسيدي نايل على أنه من الأشراف، وأن عبادته مع الوحوش والهوام.

لما تكلم النبي محمد عن ذريته الشرفة النبي قال[1]:

الله يلعن كل من ادعى النسب إلينا وكل مارق من آل بيتي !

لن تدخلوا الجنة إلا ما بقي على الأرض من ذريتي !

المودة لأهل بيتي لأن الله يودهم من ظلم من أهل بيتي أنا كفيله !

قال أهل العلم في ذرية النبي: الطعن في ذرية النبي لا يلحقهم وإن غيروا الدين وتعاليمه.

قال النبي كذلك في ذريته:

من أحب ذريتي أحبني ودخل الجنة.

من أبغض آل بيتي أبغضني ومصيره جهنم.

من قتل أحدا من ذريتي لن ينال شفاعتي.

الويل والثبور لمن أذلهم الويل والثبور لمن سلبهم شيئا الويل والثبور لمن أخافهم وأفزعهم الويل والثبور لمن عاداهم.

أيها المسلمون لا تحقروا نسلي من فعل ذلك هو خصمي يوم القيامة لما نجتمع أمام الله.

حتى يكتمل إيمان المؤمن يجب عليه الإيمان بقداسة آل البيت ولا يرفع ذلك حتى نثبت بالدليل كذب النسب.

---

[1] هذه ترجمة للنص الفرنسي، الأحاديث التي ذكرها المؤلف، لم أجد لها ما يقابلها في الأحاديث الصحيحة، باستثناء بعض المعاني فقط، وجدت صعوبة في ترجمة بعض الأماكن، فاكتفيت بالترجمة الحرفية ونقلت النص الفرنسي الذي يقابلها.

مؤلف الكتاب يكتب هذه الملاحظة المهمة: البعض يدعي أن الحسن بن علي لا عقب له ونحن نقول أن له ذرية تعيش في المشرق.

تأسيس وقيام القبائل الشريفة التي تنسب نفسها لأبناء علي في الجزائر.

شهر محرم سنة 169 هجرية 786 ميلادية، الحسين بن علي سبط الرسول قتل في المعركة العظيمة، التي أمر لها وجهزها يزيد بن معاوية، قريبا من وادي كربلاء، أو واد الطف، ثلاثة من أبنائه: عمر وأحمد وعبد الله، فقدوا حياتهم في هذا اليوم الدموي العصيب، وقتل كذلك 87 من رجال الحسين، ما تبقى من ذرية الحسين وهم: علي وهارون وقادر ومحمد هذا الأخير هو المتبقي الذي عليه أن يحمي، ويحمل نسب محمد.

محمد بن الحسين ترك ستة أبناء هم: سليمان ومحمد وابراهيم وعيسى ويحيى وإدريس.

سليمان سلطان مكة قتل في مواجهة.

ابراهيم سلطان البصرة قتل.

عيسى حاكم المدينة زمن هارون الرشيد قتل مسموما.

إدريس الذي أثار عداوة هارون الرشيد، هرب ناحية المغرب المحافظة الواقعة بين وهران والمغرب، رافقه في رحلة الهروب وزيراه راشد بن مرشد القريشي وعمر بن مصعب الزرهوني[1]

أقام مدة قصيرة في تلمسان، ثم اتجه إلى مدينة مليانة، يومها كانت تسمى قصر أبي المعالي وتسمى كذلك قصر فرعون.

كنزة بنت الحاكم عبد المجيد.

---

[1] الكاتب لم يذكر مصير محمد ويحيى.

سعادة إدريس لم تدم طويلا لأن عداء هارون الرشيد، طارده ووصل إلى خلوته أرسل له سليمان بن جابر التبيبي1 الذي نجح في كسب ثقة إدريس استطاع في يوم أن يخرج قارورة عطر ويقربها من أنف إدريس، ما استنشق ادريس العطر بقوة، حتى وقع مغشيا عليه.

بعد ثلاث أشهر من وفاة زوجها كنزة أنجبت ولدا وأسمته إدريس الأصغر.

ما بلغ إدريس الأصغر 12 سنة، تزوج حسنى بنت سليمان، هذا منحه السلطة والسيادة على البربر فحكمهم 804 ـ 188. مات لما بلغ من العمر 48 سنة، لما تناول عنبا مسموما، ترك 12 من الأبناء: محمد وأحمد وعبد الله وعمران وعيسى وداود ويحيى وابراهيم وحمزة وعمر وكثير وعلي.

محمد خلف والده في الحكم، إلا أنه واجه الحسد والغيرة من قبل إخوته، وحتى يمنع الفتنة قسم مملكة أبيه بالكيفية الآتية:

أعطى لأحمد جبل هبطة.

أعطى لعبد الله تادلة ـ شمال المغرب قرب سوس ـ

أعطى لعمران بادس ـ عند بني زروال في المغرب، وكذلك طنجة و مزمة ـ مزمة واقع في منطقة الريف في المغرب ـ

أعطى لعيسى أسلا.

أعطى لداود العرق ـ واقع جنوب تادلا ـ

أعطى لحيى المغرب.

أعطى لإبراهيم تادلا ـ مقاطعة ومدينة في المغرب ـ

أعطى لحمزة سلاهما ـ واقعة بين الناضول ومكناس ـ

---

[1] ابن خلدون يسميه سليمان بن حريز الملقب بالشماخ.

أعطى لعمر بادس ـ مدينة في الريف المغرب ـ

أعطى لكثير جبل فلاح ـ عند بني زروال ـ

أعطى لعلي تلمسان.[1]

هذا التقسيم هو الذي بشكل قبائل الشرفة في أرض الاسلام.

قبائل الشرفة: أولاد كثير وأولاد يحيى.

هاتان القبيلتان لهما الفضل في نشأة: بني عيسى وأولاد ناصر وبني خلان وأولاد بوزكري و رير وبني حافظ وأولاد رحمون هؤلاء كلهم شكلوا ما يعرف بالبدو العرب.

أبناء حمزة أو أولاد مالك حمزة الأب المؤسس توفي في جائحة الطاعون وخلف خمسة أبناء هم: محمد وأحمد وعلي وإبراهيم وموسى.

محمد الابن خلف والده في حكم السلاحمة.

أحمد تراجع ناحية صنهاجة، واستقر بقلة Kola وخلف ثلاثة أبناء: أحمد وموسى ويحيى هؤلاء جميعهم شكلوا قبيلة أولاد أحمد.

علي استقر بفليسا إلا أن السكان طردوه، لجأ إلى جبال بني فارس، ثم انتقل إلى ساهريدج Sahridj ابنه عامر ترك اثنين من الأبناء: عبد الوهاب Ouahad و إدير سيمنحان لقبهما لقبيلتين.

أما إبراهيم لما اجتاز جبل الكتول Ketoul ـ واقع في الريف المغربي ـ استقر نهائيا في أبتنيل Abtnil ـ قريبة من مدينة وجدة ـ

---

[1] هذا التقسيم يخالف ما ذكره ابن خلدون Trad du B. de Slane tom. II.p. 563 ـ المؤلف ـ

اختار موسى لإقامته منطقة بني أفال ـ المغرب ـ ثم تركها ليرحل ناحية مازونة ـ تقع شمال شرق مستغانم ـ

بني جرمون وسقافة جاؤوا من فجاج Fedjadj ـ تقع جنوب فقيق ـ

أولاد عيس وزردال المتواجدون في مناطق حمزة عند جبال البابور، وعند بني عبد الجبار.

بني سدرين وبني وزدرين هم أصولهم من بلاد فجاج.

الخراشفيون والحلازة وبني بودرار ووبني حرمة.

أولاد عمارة، أولاد كلج، أولاد يعقوب بني خالد بني سليمان، أولاد بو بصر، هؤلاء كلهم حضروا من جبل تاسمكات Tesmaket.

أولاد سليمان، أراكة Araka، مناد، أولا أوكيل كانت نشأتهم في أهل مكتر ـ جنوب وجدة ـ

أبو ليث، أو أولاد نايل، جاؤوا من جبل تاسمكات Tesmaket.

محمد ابن عبد الله حفيد ادريس الأصغر ترك ثلاثة أبناء: نايل، خليف، عبد الرحمن.

نايل خلف والده وأعطى اسمه للقبيلة أولاد نايل في قبيلته فرقتان، الأولى تسمى أولاد رحمون، والثانية تسمى بني إلال.

خليف سكن كل حياته منطقة بني سعيد، نسله شكل أولاد خليف.

بني سالم متواجدون على ضفاف وادي شطة Cheta ـ شمال فاس ـ البقية متواجدون ويقطنون جبال أمال ـ شرق العاصمة الجزائرية ـ

الشيجوارة Les chedjouara ينتشرون في بلاد الزيتون، إحدى فرقهم تسمى أولاد بوعلي، الباقي هم عند ميرووات les Mer'raouat، بني عيسى متواجدون في تاكلان يقيمون بين بني مليكش و بني عباس.

الحياينة متواجدون عند جبال أمال، وعند بني حبيب، وعند بني عيسى.
الأحلاف متواجدون في السويد ـ جنوب تيارب ـ جبل شنوة ـ قريب من شرشال ناحية الشرق ـ ولهم كذلك وجود عند العرب الرحل.
بني عامر متواجدون عند مسجد شطة ـ شمال مدينة فاس ـ عند جبل الحدج قريبا من بجاية، وكذلك جبل بن روبرين، وأخيرا عند جبال بني جاوود قريبا من كادجولا.
أولاد خالد قسم منهم متواجد في مناطق حمزة، وكذلك بني عباس، وزواوة وقسم منهم متواجد في جبل العمور.
هذه القبيلة في الأصل هي فرقة من بني يحيى، يقطنون منطقة تاورازوة ـ جنوب تيارت ـ وكذلك يقطنون منداس ـ عند فلاتة ـ
قصر سيدي بوزيد ـ واقع في جبل العمور ـ سكان القصر ينحدرون من قبل سيدي بوزيد، قسم من ذريته أسسوا قبيلة أولاد زردال ـ تونس ـ
أولاد عنان الذين نشأوا عند أهل المطهر، انتشروا وتوسعوا عند جبال بني جاد في مناطق حمزة، كذلك زواوة، نجدهم كذلك في مناطق محصورة بين موزاية وبني عيسى وهم منتشرون كذلك في الجنوب الجزائري، يعيشون حياة الرحل، ومنشرون كذلك في جبل التيطري ويعرفون بأولاد علان.
أولاد زكري أو أولاد زرارة يقطنون جبل ماكنين ـ جنوب مدينة فاس ـ ومواطن بني جناد، جدهم زكري سكن مغنية ـ لالا مغنية ـ
بني علان أصلهم من فاس جدهم علان، فر من المغرب ليسكن كولا دجماد ـ قريبة من مستغانم ـ نجد لهم فرق منتشرة في كولا مسبير، وعند بني جناد وعند فليسة وعند كولا ونورة.

الزرارة وبني هادي و دجوات Djouata يقطنون جبل بني رومارة ـ الريف المغرب ـ وكذلك جبل أمال، وجبل راشد، وديالمة ـ منطقة سوس غؤب فاس ـ المراورة وبني ويرتيدلين Ouertedr'ine وبني ميمون نجدهم في المراورة ـ مناطق واقعة على ضفاف واد الشلف ـ يسمون أنفسهم أولاد سيدي يعقوب الشريف، هم كذلك في مناطق حمزة. بني عمران الذين نشأوا في جبل راشد جدهم عمران تزوج 16 زوجة، ولم ينجب إلا البنات، أخيرا احدى نسائه أنجبت له أربعة أبناء: محمد ويحي وأحمد وعون. بعد وفاة عمران خلفه ابنه محمد واسحب ناحية جبل راشد، يحي وأحمد اتجها ناحية جبل بن عيسى. الأخ عون كانت له قداسة في بلاد المغرب، من أجل ذلك ذهب ناحية فاس، إلا أنه لم يجد ما كان يتوقعه ترك فاس، وعاش زمنا في المغرب، ثم قفل راجعا ناحية تلمسان ثم ترك تلمسان، وطاف موطن هابت Habeut، ومناطق الجنوب ثم دخل القنطرة ـ مدينة واقعة على ضفاف الشلف ـ أمسكت به قبائل بربرية تسكن المنطقة وأبقوه ثلاث سنوات عبدا عندهم، إلا أن تدخل الأمير محمد بن كبوش، فأعتقه من الرق وقربه ومنحه من ماله وزوجه ابنته، ذريته حملت اسمه أولاد عون. أولاد الرز يسمون كذلك أولاد سليمان لهم فرقة تعيش نواحي المغرب، باقي القبيلة منتشر في مناطق بني ميمون، وكذلك زركفاوة، ومناطق بني عبد الجبار. أولاد عيسى بلوصيف، وأولاد أبو عدنان المقيمين عند زواوة هم يسكنون بلاد الزيتون. أولاد سيدي عبد القادر الجيلالي، جدهم هو جعفر بن الحسين بن محمد بن عبد القادر البغدادي، هذه القبيلة قاطنة في لالمان l'Iemène1.

[1] ARNAUD, Interprète militaire Les Tribus Cheurfa Nobles المجلة

سلسلة جبال تسمى جبل السحاري، لأنها تفصل بين التل والصحراء، عرضها متغير يتراوح بين 29 كيلومتر و ما يقارب 54 كيلومتر، اسم السحاري لا يثبت هو يتغير بتغير الأمكنة والمواقع، تجد له اسم جديد كلما خطوت خطوة، أو وصلت منحدرا جديدا، تغير المسميات يمتد من بسكرة شرقا إلى جبل العمور غربا، هذه السلسة لم تعرف دراسة تضاريس، تمكننا من معرفة الارتفاعات مع العلم أن قممه ليست بالعالية جدا، مقارنة مع الجبال الأخرى المنتشرة في المغرب العربي. لما تلج إلى داخل السلسة، تجد تقاطعات وانكسارات سببها الوديان التي تخترقها، جبل السحاري تكثر أشجاره، وتغطي جل مساحاته هي تسقى بالوديان، التي لا تنقطع حتى في فصل الصيف. الزائر يشاهد كثرة ينابيع المياه تغذيه وتعطيه الحياة طول السنة، وتتحول في الشتاء إلى سيول تغمر كل شيء بالماء. الظاهر أن جبل السحاري كان من أكثر المواطن، التي استوطنها الرومان والشاهد على ذلك كثرة الآثار المنتشرة والمبعثرة في أرجائه وأنحائه الآن الجغرافية السكانية هي انتشار قبيلة أولاد نايل، وهي من القبائل العربية الكبرى تنشر خيمها والبعض آثر أن يسكن في منازل بدائية، بنيت بهندسة وطرق بدائية.

تنتشر قصور بدائية متباعدة، غرضها أن تكون مخازن للحبوب والبذور، وتلبي بعض الحاجات الأساسية، التي تدخل في المعاش اليومي، هذه القصور ليست آهلة بالسكان بل هناك رجال يقومون على حراستها، هذه القصور رغم

الافريقية السنة 17 العدد 99 ماي 1873

تباعدها، تفضي مقاربة بين القصور الواقعة جنوبا من جهة، والواقعة شمالا من جهة أخرى[1].

معادلة الحياة والعقد الاجتماعي، الواقع بين القصر والبادية، أن القصر بصنع وينتج وأن البادية تمد القصر بالمادة الأولية، وتلتقي المصلحة بينهما، لما تفتح القصور أسواقها للتبادل بالمقايضة والنقد، حضي القصر بهذه المزية وتجاوز البادية، لأنه يمتلك تاريخ مادي موثق في الدفاتر والذاكرة الشعبية على خلاف البادية، تاريخها هو الوهم وتغلغل الخرافة. هكذا يكون تاريخ من سكن الجنوب، وجلهم أهل بادية عرب وبربر مدفون في ظلمة التقاليد والحكايات والأحاجي، بدو الجنوب منتشرون لا تحدهم جغرافية محددة المعالم، هم أشتات متفرقون يظهرون في العام مرة واحدة، لما يهاجروا ناحية الشمال، ثم يعودون مسرعين لمضاربهم من الصعوبة أن يرصدهم المؤرخ، أو يتركون أثرا يدل على وجودهم. التشتت والتفرق جعل ذاكرتهم تكون بعيدة بالمطلق عن المنطق والسنن الالهية الحاكمة المتحكمة في مسارات حياة البشر وتنقلاتهم. ما هو موجود بالكاد التفاخر القبلي على طريقة العرب في حياتهم الجاهلية، أو التعبير عن الحاجات اليومية كما عبر عنها العربي قبل الاسلام، الفخر والهجاء والرثاء والملاحم، وما درج عليه من أرخ للحياة العربية أيام الجاهلية، هي الأيام نفسها مع تغير المكان والزمان، يبقى الحدث واحدا متجليا لا يخطئه البصر مع وجود فارق في غاية الأهمية، وهو أن ميراث البدوي الذي سكن الهضاب والجنوب الجزائري، ثري وخصب ومتشبع بالخرافة، ليست هي الخرافة العبثية، بل هي الخرافة التي تخدم الميول والغرائز، وتصنع الوجود والوطن.

---

1 Sahara algérien.

الخرافة العبثية أسست فن الأسطورة، كم هي الملاحم كثيرة وكم هي الخوارق التي نسجها خيال الأطفال والنساء، لمعارك وحوادث وهمية في كل الأحوال هو فرط خيال، يجب على المؤرخ الا ينساق مع الوهم والأسطورة، ليسجل حوادث الشعوب والأمم، إن فعل ذلك قاتل للحقيقة العلمية، يلغيها من قاموسه. هذه الأحاجي والحكايات الجميلة الموصوفة بالأسطورية، تدرج في مباحث الأنثروبولوجيا، لا مباحث التاريخ، يجب على متلقي الرسالة التاريخية وعلى المخبر، أن يفصل الفصل التام بين الأحجية والواقعة التاريخية القائمة على مبدأ السببية التاريخية، الحدث التاريخي ليس عبثا هو نتيجة لسلسلة أحداث بشرية، تخضع لمنطق السنن الالهية القاهرة الغالبة. لا نعني هنا التفسير القدري المعطل للإرادة، بل القصد أن المقدمات تؤدي لنتائج، وفق قاعدة المقدمة والنتيجة، وما يفسر ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ الأنفال الآية: 60 المؤرخ لا يغفل الذاكرة الشفوية رغم بساطتها وسذاجتها، تمده بمعالم طريق تمنحه فرصة ليسترجع الوثائق، يعيد المؤرخ بناء الحوادث بناء متسقا، ينسجم مع نظرية الحدث التاريخي، وتواتره في الحياة البشرية. صفوة القول أن الرومانسية لا تسعف في كتابة الأحداث، وأن القبول بها هو نهاية كل مسعى يتوق لبناء حادثة تارخية، تعطينا الحق أن ندرج نحن في التاريخ العالمي، الذي هو ذاكرة الانسانية وسجلها الذي تودع فيه أيامها.

نحن الآن لا نملك الوثائق لفقرنا العلمي، نحن لا نبحث ولا نؤسس لبحث علمي، ولا نترك من يريد ذلك، لأننا محاصرون بقداسة الأفراد أفراد نحن لا نعرفهم، نسمع عن أسمائهم فقط بين الحين والآخر، نحضر بعض المجالس يذكر

سيدنا معاوية رضي الله عنه، ويسترسل بعض الجهلة في قدحه ولا يعترض معترض، ولما يذكر رجل ممن تسمى بهم القبائل وهم نكرات، وكأن على رؤوس القوم الطير، الكل يندفع في مدحه واطرائه بدون وجه حق.

نتوقف ونستمع مقالة من سكن جبال السحاري، لما تقترب من القبائل القريبة والبعيدة من جبل السحاري، لا تحتاج لخبرة اضافية حتى تعرف أن هؤلاء بربر، ترى ذلك في تقاطيع الوجه والبنية، هذا القول ليس من باب القطع. لبيان ذلك في الفصل العاشر في اختلاط الأنساب كيف يقع يكتب ابن خلدون: « اعلم أنه من البين أن بعضاً من أهل الأنساب، يسقط إلى أهل نسب آخر بقرابة إليهم أو حلف أو ولاء أو لفرار من قومه بجناية أصابها فيدعي بنسب هؤلاء و يعد منهم في ثمراته من النعرة و القود و حمل الديات و سائر الأحوال، و إذا و جدت ثمرات النسب فكأنه وجد لأنه لا معنى لكونه من هؤلاء و من هؤلاء، إلا جريان أحكامهم وأحوالهم عليه، وكأنه التحم بهم ثم أنه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان، ويذهب أهل العليم به فيخفى على الأكثر، وما زالت الأنساب تسقط من شعب إلى شعب، ويلتحم قوم بآخرين في الجاهلية و الإسلام و العرب و العجم ».

فرضية البحث التي نقترحها لا تصمد، ليس لعدم صدقها وانما لا نمتلك الحجة على وجودها، القول أن من جاور جبل السحاري بالمطلق بربر لا يتفق مع مسار الأحداث والقول بأنهم عرب كذلك مغاير لنسق الأحداث. كلامنا هذا واقع قبل الفتح الاسلامي نعم هم بعد الفتح الاسلامي مسلمون، السياق الذي نريده الآن هو التعريف بالجغرافية البشرية الخالصة، لنفهم الأصل والنشأة قبل أن تندمج، هذه المجاميع البشرية في أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

الذاكرة الشفوية تحكي حكاية، سكنت جبل السحاري مجاميع بشرية فرت من ظلم الفرعون المصري، مراجعة المصادر التاريخية الفرعونية، تعرفنا بالفرعون سنوسرت الأول عاش حوالي 1980 ـ 1936 قبل الميلاد، عرف المصريون قبله رمسيس الثاني الذي عاصره سيدنا موسى هذا واقع حوالي 1303 قبل الميلاد أو 1213 قبل الميلاد، الفرق الزمني بينهما هو 677 سنة التاريخ يخبرنا عن هجرات بشرية، وعن أقوام فروا من مصر واستوطنوا مناطق في نوميديا[1] من هذه المناطق جبل السحاري، هذا ذكرناه في فصل الجوتيلي[2] في سياقاته العامة، وهذا لا ينفصل عن تاريخ ليبيا القديم. رأى هيرودوت أن ليبيا تمتد من حيث تنتهي مصر الغربية، تذكر كتب التاريخ أن الليبيون قبل 2900 قبل الميلاد وصلوا الوجه البحري لمصر، وجعلوا واحة سيوة بداية لزحفهم على مصر، هذا البحث عن العلاقة بين الفراعنة وسكان شمال إفريقيا يحتاج دراسات بحثية علمية، تجلي الهجرات والتنقلات التي قامت بها القبائل النايلية نسبة لأهل النيل، أما القول بأن هذه القبائل ظهرت مع ظهور سيدي نايل هو محو للذاكرة وتحطيم للهوية أين كانت هذه المجاميع البشرية، قبل ظهور هذا الرجل، القبائل النايلية تاريخيا تتابع مصب ومجرى وادي الجدي العظيم، ذكره الكتبة والرحالة الرومان قالوا: وادي الجدي يصب في نهر النيل العظيم.

التمييز بين المراحل التاريخية تصنعه الحوادث العظيمة، هناك حدثان عظيمان فارقان ينقلاننا من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، وبفصلان فصلا تاما في الحقب القديمة، وما بعدها الحدث الأول هو دخول البطل المسلم عروج بربروس المدية، لفظ بربروس يعني اللحية الوردية، الدخول وقع سنة 1517

---

[1] نوميديا قبل الفتح الاسلامي هي الجزائر الآن.

[2] راجع بالتفصيل تاريخ بني لقواط للمؤلف.

ميلادية وضع فيها حامية من المشاة الأتراك، وفرسان من الأندلسيين الفارين. سنة 1546 ميلادية أنشأ حسن باشا بن خير الدين بايلك التيطري عام 1546 ميلادية، يمتد من جنوب بوغزول ويصل جنوب الأغواط. الحدث الثاني هو قدوم المجاهد محمد باي الكبير[1] إلى الجنوب الصحراوي الجزائري سنة 1785 ميلادية، ودخوله زنينه وحصاره الأغواط في حوادث ذكرناها في سياقات البحث التاريخي، لو افترضنا أن سنة 1517 ميلادية هي بداية تشكل ونشأة ما يعرف الآن بأولاد نايل، نجد أن حياة سيدي نايل غطت القرن السادس عشر، ونوافق[2] من جعل حياة سيدي نايل محصورة بين 1500 و 1594 ميلادية وجوده لم يأتي عبثا، جاء ليكون لسلطان المغرب الذي ناصب العداء هو ومن قبله ومن جاء بعده من سلاطين المغرب للدولة العلية، وأن يكون له أي سلطان المغرب موقع قدم، وأن يوقف تقدم الدولة العلية، التي أخذت لها مسمى جديد بعد هذه التواريخ، وهو الدولة العثمانية سلاطين المغرب رفضوا نصرة الخلافة العثمانية، ومن نتائج ذلك فقد المغرب المعاصر مواطن وأقاليم له من أعظمها جبل طارق، هي الآن حكم ذاتي تابع للتاج البريطاني، أضف لهما سبتة ومليليه مدينتان محتلتان من قبل الدولة الاسبانية.

إذا أراد المؤرخ أن يكتب تاريخ القبائل النايلية، تكون بدايته من جبل السحاري، هو يندرج في التاريخ القديم لما يعرف بتاريخ الجوتيلي، الباحث .M

---

[1] طلب حضوره سلطان الأغواط السايح بن زعنون رحمه الله، ليخرج التحالف الماسوني الذي أثار الفتن على الدولة العثمانية، وبشر بقدوم الصليبيين، راجع ابن هطال التلمساني رحلة محمد الكبير هذه الموضوعات مبسوطة المرجع تاريخ بني لقواط.

[2] الكتبة الفرنسيون.

Arnaud عاين بنفسه وثيقة تاريخية على شكل مخطوطة، غير موقعة في أرشيف الأغواط تثبت أن من سكن مناطق جبل السحاري هم les Isaflenses وهي من القبائل البربرية الكبرى وتعدادها خمس، يسميها الكتبة الرومان Quinquégentiens، هرب إليها فيرمس Firmus بعد هزيمته من قبل ثيودوسيوس Théodose، المدافع عن الامبراطورية الرومانية، وطارد خصمه حتى هزمه، لما لحق به في جبل السحاري، ووصل به الحال أنه وصل أرض النخيل، ليبسط ملك روما بقوة جنده وسلاحه، وأرض النخيل هي الأغواط ومناطقها.

سكان السحاري دفعوا الغزاة باعتلائهم قمم الجبال والمرتفعات، جعلوها حصونا تأويهم وهي أوتهم وحمتهم حتى أن الفتح الاسلامي لم يصلهم بجيش الفتح، ما وصلهم من المسلمين المصاهرة والمودة والمصالح المشتركة، وما غير حياتهم هو قبولهم للدين الجديد. هم قبلوا الدين طوعا لا كرها، وقبلوا مع الدين لغته لغة القرآن العربية، وهم لا يذكرون اليوم الذي تركوا فيه ألسنتهم، وعودوا أنفسهم اللسان العربي المبين، وهم كذلك ليومنا هذا ولله الحمد والمنة، وأبقوا فيهم حياة البداوة، ويقيت الخيمة علامة مكوثهم وترحالهم.

لما عزمت فرنسا على غزو أراضيهم، سمعت من قال لها أن القبائل النايلية هي خليط بين الجنس العربي والبربري1، وأن هذا الخليط غير المتجانس، لا هو بالجنس البربري الثائر المتحفز ضد الأعداء، ولا هو بالعربي الجلد الأبي، وأن هؤلاء هم بدو رحل يسلمون أراضيهم للمتغلب القاهر بقوته وسلاحه، وهم مجاميع بشرية لا وطن لها، تسكن الصحراء وإن أخذ منها وطن تسكنه، هي

---

[1] هذا الحديث وغيره كثير ينسب للتحالف الصليبي الماسوني الذي بشر بقدوم النصارى واستباح الأعراض والأموال غنيمة للغزاة.

تبحث لها عن وطن آخر. بحث الفرنسيون الغزاة ما يؤكد صحة فرضيتهم، ولم يجدوا شيئا يذكر في كتب التاريخ، ما وجدوا إلا أنثروبولوجيا الأساطير تحكي حكايات، لا يعتد بها في تفسير حركة شعوب عظيمة، استوطنت ضفاف واد جدي، ووصلت كما قال الكتبة الرومان نهر النيل العظيم. كيف قزمت الخرافة والأسطورة حركة أمم في التاريخ، واختصرتها في حياة رجل لا حول له ولا قوة ما شاهده الفرنسيون أن هؤلاء وإن كانوا أشتاتا، إلا أن الطبيعة الجبلية صقلتهم هم سكنوا قمم الجبال واستوطنوها. ما حير كل باحث هي التناقضات داخل هذه الشعوب، تجد داخل المجتمع الصغير منهم كل شيء، الإيمان الخالص والفجور الفاضح، تجد الفارس القوي الأبي وتجد الفاسد المفسد. بمنطق الحدث التاريخي، هذا قانون طبيعي عام، إلا أنه في هذه المجتمعات هو أكثر وضوحا ليس لكثرته بل لمفارقته، كيف هذا المجتمع المنتج للقراء والحفاظ والفرسان والقادة، ينتج مثل هذه البضاعة الفاسدة، هنا هو موقع التناقض والمفارقة، هذا ما شد انتباه الكتبة الفرنسيون، ومن عاصرهم الذين لا علم لهم بما فعل القرامطة[1]، أحفاد الدولة الفاطمية وما فعله الزحف الأسود الشيعي المجوسي الذي أدخل ثقافة زواج المتعة والخمس لنفوس طاهرة، محبة لدينها ونبيها وآل بيته الطاهرين وحول المغرب العربي إلى قطعان تحكمها، نظرية السيد والخديم والله المنتقم الجبار.

من يصدق أن هذه الشعوب المسافرة في التاريخ، المتنقلة في الجغرافيا تصل إلى هذا الحال من الضعف، عاصرت الفراعنة وصنعت بعض تاريخهم، وصلت بقطعانها أسواق مصر الفرعونية، لها أدوار سياسية في الأسر الحاكمة الفرعونية، شهدت أراضيها معارك الرومان، يؤول بها المآل لهذا الحال، أشتات

[1] راجع فصل غزو القرامطة للشمال الافريقي المسمى غزو بني هلال تاريخ بني لقواط.

بشرية تقرأ تاريخها برواية شفوية، أكثرها خوارق ودجل، هؤلاء الرعاة الأشاوس ساكني قمم الجبال، تخضعهم الأسطورة والعالم فيهم يختزل وجوده في نسب رجل، وكأن الأنساب تصنع الشعوب والأمم، وقراؤهم وما أكثرهم يقرؤون في صلواتهم قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ المؤمنون الآية: 101.

القبائل العربية وجدت في مصر منذ الحقب التاريخية البعيدة وقبل الفتح الاسلامي مثل قبائل لخم وجذام المسيحية، الشاهد نجده في السيرة العطرة لنبينا عليه الصلاة والسلام نقرأ في صحيح الترمذي: « أتيتُ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ فقُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ ألا أقاتلُ مَن أدبرَ من قومي بمن أقبلَ منهم؟ فأذنَ لي في قتالِهِم وأمَّرَني، فلمَّا خرَجتُ من عندِهِ سألَ عنِّي، ما فعلَ الغُطَيْفيُّ؟ فأُخْبِرَ أنِّي قد سرتُ، قالَ: فأرسلَ في أثري فردَّني فأتيتُهُ وَهوَ في نفرٍ من أصحابِهِ فقالَ: ادعُ القَومَ فمن أسلمَ منهم فاقبَل منهُ، ومن لم يُسلِم فلا تَعجَلْ حتَّى أُحْدِثَ إليك قالَ: وأُنْزِلَ في سَبَأٍ ما أُنْزِلَ، فقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللَّهِ، وما سَبأٌ، أرضٌ أو امرأةٌ؟ قالَ: ليسَ بأرضٍ ولا امرأةٍ ولَكِنَّهُ رجلٌ ولدَ عشرةً منَ العربِ فتيامنَ منهم ستَّةٌ، وتشاءمَ منهم أربعةٌ. فأمَّا الَّذينَ تشاءموا فلَخمٌ، وجُذامُ، وغسَّانُ، وعامِلةُ، وأمَّا الَّذينَ تيامنوا: فالأزدُ، والأشعرون وحِميرٌ وَكِندةُ ومَذحِجٌ، وأنمارٌ،. فقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللَّهِ، ما أنمارٌ؟ قالَ: الَّذينَ منهم خثعَمُ، وبَجيلةُ » الراوي : فروة بن مسيك | المحدث :الألباني | المصدر : صحيح الترمذي

يشير مصطفى كمال عبدالعليم في كتابه دراسات في تاريخ ليبيا القديم صفحة 32 و33 يكتب: قائلاً: « إن الجيش المصري أصبح ابتداء من عصر الأسرة

العشرين، مؤلفاً من الليبيين[1] دون سواهم. وقد منحهم ملوك مصر هبات الأرض كأجر لهم، وهكذا استطاعوا أن ينشئوا في البلاد جاليات عسكرية وكان يترأس كل حامية رئيس ليبي يحمل لقب الرئيس الكبير».

قبل الفتح وبعده من سكن جبل السحاري، حافظوا قدر الامكان على عرقهم البربري هذا طبع في النفوس، إلا أن هذا لم يطُل، حواليهم سكنت شعوب وأمم من الصعب، أن نتعرف على وجودهم التاريخي والمقتضيات التي دفعت هؤلاء ليجاوروا سكان جبل السحاري، لما نقوم بجولة أثرية في المنطقة المسماة سنلباء le Senn el-Lebba، نجد آثارا لقوم سكنوا هذه المناطق نجد مثلا:

أبو عيشاوية، حسى العود، عقيلة، عين كحلة، أرجام، وادي نموسن، وادي مجدل، مخوخ، وارو، هذه المسميات كلها موجودة على طريق الجلفة حجرة الملح، تقول الذاكرة الشفوية، أنها معالم طريق لعصابات مجرمة، تقطع الطريق رئيسها يسمى ورو هي مناطق واقعة خمسة كيلومترات شمال مدينة الجلفة يسار الطريق الكبرى القريبة من مطحنة راندون، من يتجول في هذه المناطق يجد القبور القديمة متناثرة، وهناك من قام بعملية بحث فوجد بقايا عظام تعود لأقوام سكنت هذه المناطق، منذ زمن بعيد أبعد من ذلك. نجد أثار قصر مخوخ، هذا بني على بقايا قصر قديم، بناه الأمازيغ القدماء، حتى أن هناك جدر باقية من هذا العهد، تستطيع أن تميزها بالحجارة الجافة التي رفعت بها، لما دخل الفرنسيون هذه المناطق، وجدوا قبورا تشبه الأولى لما سألوا عنها العرب المقيمين، قالوا هي مصايد للأسود.

[1] شعوب سكنت الشمال الافريقي منذ العهد الروماني.

الكتبة والرحالة الرومان تكلموا عن الوديان، وخصوا بالذكر الوديان الثلاثة التي أخذت لها مسارات في جبل السحاري، هي موجودة ليومنا هذا، وهي تأخذ طريقها ناحية السهول، ونذكر واد حدجيه، وواد باب عين مسعودة، وهما متفرعان عن واد الجلفة وهذه مسميات جديدة وطارئة، لوديان واقعة بين مطحنة راندون ومدينة الجلفة الدكتور روبود Dr. Reboud اكتشف حجرا أثريا نقش عليه صورة سيدروريس Zdresis و تاج عمود، لما تبدأ رحلتك الاستكشافية شمال منطقة يسميها العرب قيقع، وتأخذ طريق مركز الحراسة كريرين، وبالضبط عند قدم قنجاية، تجد سلسلة تلال واقعة بين شبكتي الزراز، شرق المنطقة التي يسميها العرب المصران، يتحدث العرب عن خندق كبير واقع بين المصران و كريريش، يحدثون بعضهم أن من حفره هم قوم جملة وفعلوا ذلك ليوصلوا المياه لمزارعهم من الواد الذي يسميه العرب الآن واد الملح. السنة الماضية لما أراد سكان جبل السحاري بناء سد واد بسطامة وجدوا في قاع الوادي وعلى عمق، وجدوا جرتان محفوظتان بشكل جيد، إلا أنهما لم يصلا للمتحف، وهو المكان الطبيعي لهما للأسف.

إن أثار كريريش أثارها تحمل نفس الخصائص الموجودة في وادي حدجيه شاهدنا في منتصف قاعة مستطيلة جدران واقفة على مستوى الأرض وسماكتها هي أقل من 24 سنتيمتر، شاهدنا وسطها أربعة أو خمسة قطع من الحجارة، نصفها مدفون في الأرض لا نقوش أثرية فيها.

جبل السحاري الواقع في مناطق الجلفة منذ زمن بعيد، يطلق عليه الأهالي اسم المشتل، وهي تعني المكان الذي تكثر أشجاره[1].

---

[1] هذا ما هو متوفر من معلومات أثرية شحيحة، الرواية الكاملة موجودة عند الكتبة الرومان والرحالة خاصة، وهذا عمل يحتاج لمجهود خاص لأننا لا نمتلك هذه المصادر، هي

لما نعود لزمن ليس هو بالبعيد، الشعوب التي سكنت جبل السحاري، حكمها شخص يسمى علية بن علي بن عثمان، هذا الشخص ستسمى به قبيلة سيكون لها أدوار في مستقبل الأيام، لا أحد يعرف أصوله أو من أين جاء، بعد زمن استقر بعض من أحفاد سيدي بوزيد في مضايق واد قعيقه، هؤلاء المهاجرون الجدد، زاحموا من وجدوه. ما كان من هؤلاء إلا أن تركوا أوطانهم لهؤلاء الغرباء، البقية الباقية من سكان السحاري تعايشوا مع هؤلاء القادمين، ونشأ بينهم ميثاق مشترك، يحضر لما يواجه أحدهم عدو حقيقي، يبتغي سلبهم أراضيهم وموطنهم مع الزمن، كثرت أعداد أحفاد سيدي بوزيد وتزايدت مساكنهم وقراهم، وضاقت بهم ضفاف وادي قيقه. زحف أولاد بوزيد اتسع ووصلوا بين الشجرة والشجرة، وبين الصخرة وأختها، وتمادوا في زحفهم حتى جاوزوا الأراضي التي منحها لهم أهل جبل السحاري. واصلوا الزحف والاستيلاء على أراض جديدة، ووصل بهم الحال أن استوطنوا مرتفعات بوتريفيس، ووصلوا الزحف حتى وصلوا المناطق التالية: تيز ألوين و تاسطارة و الضاية وحسى العود و قطاية، وتوسعوا حتى وصلوا واد حدجيه، ووصلوا حدود قصر الشارف، وحتى يثبتوا وجدوهم شرعوا في بناء مساكن ليسكنوها. شعر سكان السحاري بالقلق أمام تسارع هذا الزحف والاستيطان، بدأ الناس ينظرون كيف استطاع هؤلاء، أن يوسعوا مناطقهم ونفوذهم وتحول توجس السحاري إلى تحرك، فكثرت النزاعات وزادت المشاجرات، وبدأت الأنفس يسكنها

تحتاج لجمعها فرق مختصة، وقبل ذلك نحتاج لقاموس تاريخي جغرافي، لأن الرومان لهم ألفاظهم ومسمياتهم وهم لما يتكلموا عن من سكن الهضاب العليا ومناطق الأغواط مثلا يسمونهم الجوتيلي، وكل فئة لها مسمى وكذلك كل منطقة، هذا العمل ميسر، إلا أنه يحتاج أدوات بحث تتجاوز ارادة الأفراد.

الغضب، وتحول الغضب إلى أحقاد. تراكم الحقد وبدأ أهل السحاري ينتظرون اللحظة الحاسمة، التي يظهرون فيها غضبهم وجاءت اللحظة الفارقة، ووقعت معركة حسي[1] النقيب، هو بئر من أبار ممالك نوميديا، واقع عند المدخل الجنوبي لمجرى واد قيقة. المعركة يفترض أن تحسم البقاء لأحد طرفي المعركة إما أن يبقى أهل السحاري أو أحفاد سيدي بوزيد، وقعت المعركة خسر أهل السحاري 66 قتيلا وخسر أحفاد بن بوزيد ما يقارب من 40 قتيلا، رغم هذه النتيجة مسك أهل السحاري مناطقهم، توالت هزائم أحفاد سيدي بوزيد وتكاثرت خسائرهم، من أجل ذلك انسحبوا ناحية المناطق الشرقية. لما تركوا مناطقهم تركوا أثارهم العمرانية وراءهم خرابا، ووصل الخراب حتى ضريح شيخهم ووليهم سيدي بوزيد، وعرفوا سنوات من التيه، عاشوا خمس أو ست سنوات في جبل مشتل، وعرفوا يومها أنفسهم أنهم أولاد سيدي سليمان بن يوب، هذا هو الابن الصغير لسيدي بوزيد الجد. المرازيق أعلنوا أنفسهم خداما لسيدي سليمان، أحفاد سيدي بوزيد طالبوا الأمان من خصومهم أهل السحاري فنالوه، ما ثبت هذا الأمان هم المرازيق، هذه فرقة تنحدر من مرزوق الأسود هو عبد من عبيد علية بن علي، المرازيق انتشروا في مناطق التل، ما تبقى من المرازيق سكن جبل مشتل، أين لهم أراض حرث، هؤلاء تجمعوا وعرفوا بمسمى جديد هو الطريفة، والبعض يسميهم أولاد سيدي عبد القادر، تغير التسمية سببه حلول أولاد نايل، وحيازتهم المناطق، ضريح مرزوق هو قريب من ضريح سيدي سليمان مول الطرفاية في عين أورو بالقرب من الطريق الكبير.

---

1 الحسي في العامية تعني بئر الماء.

قبائل أولاد سيدي بوزيد المنتشرة في بقاع الأرض، كلها تعود لشخص واحد هو سيدي بوزيد الشريف، عُرف بالطالب والولي له حلف مع عائلة سيدي عبد القادر الجيلالي، من وصف سيدي بوزيد قال: بشرته مشربة بالحمرة حاجباه غير منفصلين واقعان عند قاعدة الجبهة، له لحية شديدة السواد، يحمل جمال الرجل، متألق يوجد أثر يقارب عينيه، سببه ركلة حصان تلقاها صغيرا.

« سيدي بوزيد ساح في مناطق جبل عمور، ووصل عين لبيوض في هذا الوقت، لم يصله بعد الفيض الالهي، ولم تتنزل عليه الكرامات بعد، ومع ذلك شرع في بعث دعوته للناس، إلا أنهم رفضوا دعوته وجاهروا بالعداء، ورفضوا أن يكن وليا من أولياء الله فكر هؤلاء في قتله. ما كان من سيدي بوزيد، إلا أن أخرج نفسا عميقا وبثه، فتحول هؤلاء وكانوا أربعين فارسا إلى تراب وغبار وحتى تصدق ولايته تحول إلى نسر وحلق في السماء، وترك جبل العمور وذهب ناحية الهامل. ترك فيها بعض أولاده، ثم انتقل وهو على حالة النسر إلى ماجن، ثم خلق خلقا هم أولاد مغران، هذا الولي النسر المحلق في السماء أقلق أهل الحل والعقد ورجال الحكم، فقرروا أن يفعلوا به ما فعل النمرود بنبي الله ابراهيم، حضروا له نارا عظيمة وألقوه فيها، ما دخلها سيدي بوزيد حتى صرخ قائلا: « ناركم هي بردا وسلاما، أوقدوا ما شئتم، قال كلامه هذا وهو ينظر لمن حضر من الجموع، سيدي بوزيد وهو في النار آمن مطمئن، تسكنه سكينة أولياء الله الصالحين ! ».

« سيدي بوزيد خرج من الجحيم المستعر سالما غانما، ذهل الجميع وهم يشاهدون هذه الخوارق الجمة، فآمن به من آمن، وبقيت بقية من الأعداء عاندت ورفضت، ولم بغادر الزبانية الذين أرادوا حرقه مكانهم، حتى ارتفع عاليا وقبل أن يغيب عن أنظارهم، ألقى عليهم لعنته: « يا قوم الويل والثبور لكم، ما

أتعسكم، الهوان والذل يلحقكم، ستزدريكم الأمم، ستزحف ناحيتكم لتغطيكم بأشرعتها الغامقة السواد1 ».

نقرأ في كتاب سلسلة الأصول الصفحة 72 و 73 كلام مهم: « وأما البوزيديون فهم فرق عديدة في أماكن متباينة بعيدة، قال في إثمد الأبصار وكذا في العشماوي وغيرهما ومن الشرفاء الأخيار سيدي أبي زيد بن علي فهو رجل أشقر اللون مقرون الحاجبين كثيف اللحية ذو حسن وجمال، وله علامة في جبهته تحت عمامته، أصابه بها جواد من الخيل بمكة، ولما توفي خلف أربعة أولاد وهم: محمد وعبد الله وعلي وعبد الرحمان ومنهم امتدت الغصون اليزيدية ببجاية يعرف بأولاد علي بن بلخير ومنهم فرقة يقال لهم أولاد عيسى بن إدريس، ومنهم فرقة في الأرباع تعرف بأولاد صالح، وفرقة بمكره بإزاء سيدي بلعباس وفرقة في عين جرناز وُجدة يعرف بأولاد بوزيد، ومن هذه الفرقة بعض العائلات بتلمسان ومنها ارتحلوا لمحروسته فاس2 فهم الآن بها نسبتهم محفوظة عليهم ومنهم فرقة بقلعة صفروا، وفرقة في بلد السويد وفرقة في بلد

---

[1] اللعنة والتبشير بقدوم المحتل ما أكثرها عند أولياء الله الصالحين، أثبت بالحجة القاطعة ما فعله المسمى الحاج عيسى، لما ترك قصيدة التنبؤات يتنبأ بقدوم فرنسا وقتل المسلمين، وان صدقت هذه اللعنة لسيدي بوزيد، نحتاج لقراءة جديدة للتاريخ مع العلم أن أمثالهم كثر، راجع طبقات الصوفية للشعراني وتقرأ الكرامات والدجل والخرافات والعجب العجاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[2] يريد الأشراف بناء دولة عاصمتها فاس التي أسسها ادريس الثاني ويكون ملوكها الأدارسة أما أركانها تشكلها القبائل والعروش التي تدعي الشرف لإعادة بعث دولة القرامطة من جديد حيث يكونوا هم القادة والمسلمون العبيد والخدام وعبادتهم خدمة السادة.

التواجر، وفرقة في بلد تالوت وفرقة في مقطع كيرت بالمغرب وفرقة في مقطع الملح وفرقة في بحنوش وفرقة في الخشنة تعرف بأولاد الطيار ومنهم من يعرف بأولاد شايب الذراع وفرقة في الأغواط تعرف بأولاد الطالب وفرقة في العطاف تعرف بأولاد الشيخ البوعبيدي قائد العطاف وفرقة في الصحراء أهل مواشي ببلدة الدوسن منهم الآن الفاضل المبجل السيد العيد بن العجال ومنهم فرقة في تونس وفرقة في نفطه يقال لهم الشرفاء منهم الشريف مولاي الهاشم بن أحمد مؤسس الزوايا القادرية[1] وله أولاد منهم الآن العلامة الشيخ السيد عبد العزيز المستخرج من جامع الزيتونة ومنهم فرقة في الجزائر وفرقة في البيض سيدي الشيخ تعرف بالبوازيد في إستيتن وفرقة في ببطحاء وادي الشلف بقرب من مستغانم ومن الفروع اليزيدية قطب دائرة الصالحين وتاج العارفين سيدي محمد فتحا الهواري دفين وهران وأولاده وصنوه ولي الله وصفوته سيدي محمد ضما الهواري دفين تافلالت وأولاده هناك ومن أولاد سيدي أبي زيد فرقة في جبل العمور بازاء ضريح جدهم تعرف بأولاد بوزيد ومنهم أولاد سيدي عبد الرحيم في أبي سعادة بقرية الهامل.»

ما ذكر عن سيدي بوزيد فيه كفاية، لتعرفنا من هو الرجل، بقي أن نعرف من هم الشرفة، أي أصحاب النسب لشريف، وما هي العائلات المقدسة التي أسسها، وكان له الفضل في نشوئها.

نعود لذكر أهل السحاري، لما هرب أحفاد سيدي بوزيد، السحاري توسعوا في جبل المشتل وأضحى لهم نفوذ من عين حليلة شرقا حتى واد حدجيه غربا

[1] استطاع التحالف الصليبي الماسوني اختراق الزاوية القادرية وظهر ذلك في حروب الأمير عبد القادر ضد المسلمين وحصاره الشهير لقصر عين ماضي.

ووصلوا إلى كتلة صخرية تسمى جبل بن يعقوب[1]، هو يقع بين الشارف وزنينه، وبقت تادمايت وواد عمار أضف لها واد حدجيه، حدودا آمنة تفصل بينهم وبين أولاد سيدي عبد العزيز الشارف، بالمختصر يسمون عبازيز الشارف.

أولاد بوعيش البوعايشة الذين وضعوا خيمهم في منطقة عتقان، شرق وادي مجدل، عرفوا أن وضع مضاربهم أضحى مستحيلا، وأن جيرانهم السحاري يتربصون بهم، وهم يريدون طردهم من الجبال التي هم الآن يسكنوها، لما علم السحاري خوف وجزع أولاد بوعيش تذكروا الأيام الجميلة أيام الانتصارات على أولاد بوزيد من أجل ذلك، قرروا أن يعاودوا الكرة ويطردوا أولاد بوعيش من الجبال، والمساكن التي سكنوها هي الحرب الخاطفة. ذهب أهل السحاري إلى موطن أولاد بوعيش، وكانت الإغارة، وقعت المعركة قرب ضفاف وادي المجدل، ولأن الحرب جاءت خاطفة، فقد أولاد بوعيش مع الوهلة الأولى 71 مقاتلا، إلا أن رد فعل أولاد بوعيش هو كذلك جاء متجانسا مع المفاجأة وقتلوا 67 من أفضل محاربي السحاري بين فارس ومقاتل، تراجع أولاد بوعيش تركوا ميدان المعركة، وذهبوا ناحية خيمهم لحمايتها والدفاع عنها، رغم هذه المتغيرات لم يستطع السحاري أن يحسموا الموقف، هم ربحوا معركة، ولم يربحوا الحرب، لأن الأيام دول.

أولاد بوعيش ما تركوا أراضيهم ولا رفعوا خيمهم، وعاودوا الكرة على خصومهم فاسترجعوا أراض سلبت منهم، وعاودوا زحفا جديدا، هذه المرة مساره وادي

---

[1] القبائل المنحدرة من بن يعقوب وزنينه والشارف ومن جاورها، هم من جبل السحاري من أصول بربرية، لذلك الثقافة الشفوية تفرق بينهم وبين أولاد نايل، ويعتبرون أولاد نايل القاطنين، أنهم حلوا هذه المناطق متأخرين.

قعيقه، جمع السحاري جمعهم ونظر كبراؤهم في وقف زحف أولاد بوعيش وتوسعهم الذي أضحى مع الأيام مخيفا. بعد معركة وادي قعيقه لم يعرف الخصمان حالة لا حرب ولا سلم، بل هي بلغة العصر الحالي حرب استنزاف وشهدت ضفاف الوادي، ومناطق أخرى حروبا خاطفة وتساوى الطرفان في أعداد القتلى، إلا أن النصر كان يميل دوما ناحية أولاد بوعيش.

الحرب سجال ولم يظفر أحد الطرفين بحسمها، لأن هناك توازن قوة بين المتخاصمين، بين السحاري يوجد مرابط من أولياء الله الصالحين، هو في قومه نجم بين النجوم، اعتقد قومه أن الله أرسله ليضيء ليلهم، ويخرجهم بقدرة قادر من الحرب إلى السلم، والظفر على أولاد بوعيش وهزمهم. هذا الرجل عرف الناس مقامه في الجنوب خاصة، اسمه محمد بن علية لما كانت الحرب واقعة بين المتحاربين، السحاري وأولاد بوعيش. فجأة محمد بن علية يقف على صخرة، هذه الوقفة ستغير مسار المعركة، ما نظر ناحية المتحاربين حتى تقع المعجزة تطايرت السيوف والخناجر في السماء، وما استطاع أحد أن يمسكها، لما كانت الأسلحة تتطاير في السماء، محمد بن عليه يضج بالدعاء ويرفع صوته عاليا وطلب من الجميع أن يضع نفسه موضع السجود، وأن توضع الجباه على الأرض، هكذا حسم المرابط المعركة لصالح قومه أهل السحاري. أنصاره وأعداؤه يعرفون أن والدة محمد بن علية هي مريم بنت رحال وهي من السحاري، وأن مرضعته هي علية من أولاد بوعيش. لما ارتفعت الأسلحة في السماء، أصاب المقاتلين الحيرة والاحراج ووقعوا بين نقيضين إما أن لا يلتفوا لما أحدث هذا المرابط ويواصلوا حربهم، أم أنهم يتوقفوا وينظروا فيما يمكن أن يفعل محمد بن علية في هذه اللحظة الزمانية الفارقة. لما كانت السكينة تغطي الجميع فجأة، يخرج بين الجموع مداح يطرب الناس بصوت شجي، وكلام رقيق خرج من جانب السحاري وهو يذكر بأمجاد جبل السحاري ومن سكنه. فعل ذلك وهو يقوم بحركات غريبة، لما

ينطق بأبيات الشعر يتغنى يشبر لنفسه تارة ولقومه السحاري تارة أخرى، ثم توقف وأشار ناحية الجنوب صارخا: أحضروا من خلقهم الله إنني أراهم من هنا هم هناك، هم السبعة أبناء سيدي نايل، هم من قبيلة أولاد فرج من فرقة أولاد زرليش إذا وقع هذا أنتم منصورون لا محالة وناصركم هو الله، ما ختم كلامه حتى ظهر سبعة من العماليق واقفون فوق رؤوس السحاري.

حسم محمد بن علية المعركة بكرامات الأولياء الصالحين، وظهرت جغرافية جديدة يتعايش وفقها أولاد بوعيش و السحاري، أمسك أولاد بوعيش المنطقة الجغرافية بين بسباسة وصولا إلى ضاية العضض، ومنها إلى منطقة تسمى العناتر، جغرافية السحاري ممتدة على امتداد مروج واد مويلح ويحوزون خلجان و قندوزة جنوب ثنية وادي قيقه. الكرامة التي حسمت المعركة لصالح السحاري ومنحتم المروج والأراضي الخصبة، تركت المجال واسعا للعيون كي تنظر والعقول تختبر أخفت القلوب الأحقاد، وانتظر كل واحد اللحظة الفارقة التي تحسم الموقف لصالحه، ووقعت الواقعة هي الحرب من جديد على غير العادة، ظهر السبعة الأقوياء من أولاد زرليش يتقدمون فرسان السحاري وما هو إلا زمن قصير حتى أوقعوا الموت في خصومهم، وسقط أولاد بوعيش بين ميت وجريح وشملتهم الفوضى، ورغم قوتهم وشدة بأسهم جاءهم الخوف وسكنهم الفزع، مما شاهدوا وأبصروا، من شاهد الواقعة قال: أولاد بوعيش حقل قمح حصدت سنابله هي مقتلة عظيمة، ترامت فيها جثث القتلى، هي مبعثرة بعثرة السنابل الساقطة بعد حصادها. شاهد أولاد بوعيش ما حل بهم وما وقع، وما أحدثه فيهم قومية السحاري، ومع ذلك صابروا وعاندوا واستمسكوا بحقهم في أراضيهم ومساكنهم، وعلموا أن الحرب لم تخنهم خانتهم فقط خوارق هذا الولي المسمى محمد بن علية وأن النصر فاتهم، وما حل هو الخراب. ظن السحاري أن الأمور حسمت، فاستكانوا للسلم والسلام، وأخذوا بالحكمة المتداولة بلاد

العافية تزار، إلا أن الذي زارهم هم قومية أولاد بوعيش، ففروا هاربين. وقع ما لم يكن منتظر، الفرسان السبعة الذين جالوا وصالوا وحسموا المعارك السابقة انطفأ سحرهم، استطاع أولاد بوعيش أن يوقعونهم أرضا جثثا خامدة لا حياة فيها. تقول الروايات أن الأرض ابتلعتهم وسمي المكان الذي غابوا فيه في دركات الأرض تحت مسمى الموقوف. شاء السحاري أن يجعلوا لهؤلاء الفرسان السبعة قبورا تذكر القادم من الأبناء والأحفاد، انتصارات السحاري وأن الفضل يعود لهذا الولي محمد بن علية صاحب الخوارق، هذه المعركة خسر أولاد بوعيش مائة فارس، واحصوا مع القتلى كلبا أسودا وخسر السحاري ثلاثة وستون فارسا.

حتى يتفادى أولاد بوعيش خسائر اضافية، انسحبوا ناحية واد الصوف قرب جبال دروية، عزم السحاري على مطاردتهم وأرسلوا كتائب مطاردة صغيرة، ما حل الليل حتى اجتمعت هذه الكتائب عند وهاد وادي الروع، وانتظروا طلوع الفجر حتى يشرعوا في الاغارة، وأرادوها أن تكون معركة حاسمة، تحسم الموقف لصالحهم. أولاد بوعيش رصدوا حركة خصومهم، وتركوا قمم الجبال التي تحصنوا فيها، وأخذوا طريقهم ناحية رقيقيسة واقعة بين كثبان رمال الزرزاز والجبال القريبة منه، إلا أنهم خسروا معاركا أخرى، حتى يظفروا بالنجاة سلكوا الطرق الجبلية وما استراحوا إلا لما وصلوا منطقة تسمى فرطاسة، واقعة غرب وادي الملح. وضع السحاري معسكرهم قرب عين معبد قريبا من زميلا، لما غزت فرنسا هذه المناطق جعلت زميلا مركزا للحراسة والمراقبة هذا المركز واقع شرق واد الملح، بقيت هذه المنطقة تماس بين الطرفين وحتى أيام الغزو الفرنسي، الرعاة يقومون بمهمة المراقبة والاستطلاع بشكل يومي لرصد حركة أي طرف، أولاد بوعيش ومن باب الحذر والتوجس، يتجهون بشكل دائم ناحية جبل أبو زغبة غرب قصر الشارف.

سكان جبل السحاري ما توقفوا عن الرصد ومراقبة أولاد بوعيش، وأظهروا لهم وبشكل يومي أنهم موجودون وعازمون على نزالهم، إذا ما جاءت اللحظة الموافقة، ولما يحل الليل يقومون بحركات ومناورات لزرع الخوف، هذا جعل أولاد بوعيش في حالة لا أمن هم كل ليلة وجلون قلقون. لما يرفعوا خيمهم للتنقل والترحال يباغتهم عدوهم في يوم على حين غفلة، هاجم السحاري مرابضهم وقتلوا عددا من فرسانهم لا يعلم عددهم، ممن قتل اثنين من أكابر الفرسان الأول اسمه دغمان والثاني اسمه أبو زيزة. بدأت انتصارات السحاري تتوالى، وفقد البوعيش الكثير من مضارب خيمهم، وكثرت غنائم السحاري وزادت وأضحى كل مكان، إلا وهو علامة على معركة وقعت، كل صخرة كل هضبة كل ضفة واد، إلا وسقط فيها قتيل أو وقعت عليها دماء، ضاقت الأرض بما رحبت على البوعيش، وعزموا أن يرتحلوا بعيدا هذه المرة، وأخذوا طريقهم ناحية بوغار.

هكذا تحققت دعوة محمد بن علية، وطاشت الأسلحة من بوعيش، وها هم يغادروا مناطق الزراز ومع ذلك بين الحين والآخر، البوعيش يحطون خيمهم قرب عين تيس ألوين، هي الآن تبعد ثمانية وعشرون كيلومتر عن الجلفة الغرض من التواجد هو حب البوعيش للصيد من هوايات شباهم صيد الصقر، جاء يوم تقع حادثة. شباب من كبار خيم البوعيش خرجوا في رحلة صيد مع صقورهم، إلا أن حظهم تعثر هذه المرة ولم يصطادوا شيئا، وهم في طريق عودتهم منهكين، لمحوا عجوزا جالسة هي من السحاري تضع على ركبتها طفلا أحد الشباب وهو غر وطائش قال لزملائه: الصقور جائعة، ماذا لو أطعمناهم هذا الصبي الصغير، قال رفقاء الشاب الغر: نعم الصقور جائعة وهذه العجوز عدو هي من السحاري، فأزاحوا أغطية الرأس عن صقورهم، ما رُفع الغطاء عن الصقور، وما أبصروا الطفل الصغير حتى شرعوا في تقطيع لحمه وأكله. لما بدأت الصقور النهمة تأكل، كان أصحابها يرفعون أصواتهم تشجيعا لها، بدأت

الصقور تأكل عيني الطفل العجوز شهدت الواقعة وهي تصرخ وتستغيث، والد الطفل اسمه بن ملاح، ما سمع خبر الولد حتى ذهب جزعا مهرولا، ليخبر الولي محمد بن علية بما حصل ووقع، ما سمع محمد بن علية الخبر جلس على ركبتيه وهو يسمع بن ملاح يطلب الانتقام. المرابط محمد بن علية ذهب إلى أولاد بوعيش ووبخهم قائلا: « ألا تخافون الله يا أولاد بوعيش، ألا تعرفون أن الله هو الجبار المنتقم ألا تعرفون حرمة الدماء، كيف تقترف أياديكم جريمة بحق طفل صغير كيف تركتم الصقور الكاسرة تلتهم هذا الصبي. »

كبراء البوعيش سمعوا مقالة المرابط في صمت وسكون، وردوا عليه قائلين: « أما وجدت أفضل من هذا الكلام تردده علينا وتذكرنا به. »

تفرق جمع البوعيش وهم يضحكون، ويستهزؤون منه ويشيرون إليه مازحين.

المرابط محمد بن علية نظر إلى قادحيه ورفع صوته صارخا: « يا أولاد بوعيش لن تعرفوا اليوم السلام والأمان وتتركوا موطنكم وستذهبون ناحية تقنسة[1] سيقل رجالكم وتكثر نسائكم. »

محمد بن علية غاضب، ولأنه مرابط غضبه يستحق العقاب الالهي، وقبل أن يأتي العقاب هي الحرب، لم يستطع البوعيش الصمود أمام محاربين قائدهم مرابط، لما تتعسر الأمور الاله موجود ليحقق لعنات الأولياء على المارقين. بدأت المعارك تحسم لأهل السحاري، وفقد البوعيش خيرة فرسانهم، تركوا أوطانهم يقول رواة القبائل، وهم عادة الشعراء: « البوعيش هم الآن بعد لعنة سيدي محمد بن علية هم أشتات، ضائعون في مناطق الزراز يقل رجالهم وتكثر

---

[1] تقنسة موجودة قرب بوغار.

نساؤهم » يقول الرواة كذلك: « البوعيش بعد دعوة سيدي محمد بن علية، ما بقيت لهم قبيلة تذكر، رأيناهم تائهين ما أكثر نساءهم وما أقل رجالهم.[1] »

سلسلة الأصول الصفحة 122 و 123 نقرأ نسب سيدي بن علية: « فرقة بجبل السحاري ما بين الجلفة وأبي سعادة من عمالة الجزائر يعرف بأولاد سيدي بن علية وقد مكنني من نسبه الشريف المحب في جانب جامع هذا الكتاب حضرة المبجل السيد سليمان بن علي أحد حفدة سيدي بن علية المذكور ونص النسب بالحرف نثرا ونظما هذا نسب الشيخ سيدي ابن علية مخراق الارض رحال الجبال القادري الحسني الحسيني كما هو موجود بخزانة الآباء والأجداد مؤرخ بيوم الثاني والعشرين من ربيع الأول عام 1200 هجري وقد صححه العلامة الأجل فريد عصره سيدي بلقاسم بن الشيخ الحاج محمد القاسمي شيخ زاوية الهامل والجهبذ الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان الديسي كما هو مبين بجواب مؤرخ بيوم 14 رجب الفرد 1338 من الهجرة نصه سليمان بن علي بن يحيى بن أحمد بن الحاج بن الشيخ سيدي محمد بن علية شهير الضريح ببسطامة عليه مزارة عظيمة تقصده الزوار لقضاء حوائجهم ويتبركون به ويغاث به عند الشدائد ويحملون عليها مشهدا عظيما رضي الله عنه: « ابن الحاج بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن سعد بن أحمد بن جعفر ابن الحسين بن سعد بن مرزوق بن عبد القادر بن عبد الجبار بن سعد بن عيسى ابن صالح بن يحيى بن علي بن الطاهر بن الخضر بن عبد الرحمان بن الوافي بن

---

[1] حتى تتعرف عن صنوف هذه الحروب النفسية، وأصناف الدجل وفلسفة الخرافة وميراث الشيعة المجوس، راجع غزو القرامطة للشمال الافريقي، المعروف عند الكتبة الفرنسيين، باسم غزو بني هلال، تاريخ بني لقواط.

نصر بن عبد الرزاق بن سيدي عبد القادر الجيلاني وهو بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن الامام عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم».[1]

بعد هذه الغزوات أمسك السحاري جبل المشتل ومناطقه بالحرب والمكيدة هذه الجبال مجتمعة منذ هذا اليوم أخذت لها مسمى جديد نسبة للسكان الجدد وهو جبل السحاري، ها هم سحرة الفرعون بعد كذا زمن أضحى لهم وطن وضموا لهم أشتات بشر وحق فيهم قوله عز وجل: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ الأعراف الآية: 116. هؤلاء الذين ميزوا أنفسهم عن الآخرين، بالسحر والخوارق يسمونها الكرامات يندسون بين القبائل ويتربصون مواسم الترحال ومواسم الحج، ويظهرون للعوام الخوارق، ويكلموا الناس في الغيب. هم جنس لما تخالطهم يقولون أن أنسابهم تعود لسيدنا آدم عليه السلام، عرفوا أو لم يعرفوا هم محقون، لأن سحرة الفرعون في زمن سيدنا موسى عليه السلام، هم عارفين بأنسابهم يحرصون عليها وكانت بضاعتهم، منذ أبد الآبدين صناعة الخرافة والوهم، صناعة حسمت المعارك وأزالت الدول وإلى يومنا هذا 2021 ميلادية هذه الصناعة رائجة بدايتها في الأسواق مع المشعوذين والدجالين، ونهايتها في قمة الهرم الاجتماعي، لهم كلمة الفصل في الحكم والرياسة وصناعة الشيوخ والساسة، أما جاء من المغرب أو عاد إليه، وجده ادريس الأكبر أو الأصغر وهو شريف و غيره وضيع هذه عربة يركبها، ليقتحم بها حصون المسلمين، ويغزهم في عقر دارهم هم كالفناء أين حلوا ويصدق فيهم قول المتنبي:

---

[1] الصفحة 123 وضع المؤلف القصيدة الكاملة في نسب سيدي بن علية.

نُعِدُّ الْمَشْرَفِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمَنُونُ بِلا قِتَـــــــالِ

وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ ومَا يُنجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَـــــالِي

وَمَن لَّمْ يَعْشَقِ الدُّنيا قَدِيمًا ولَكِن لاَّ سَبيلَ إلَى الوِصَـــــالِ

نَصيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبيبٍ نصيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ.

من يقرأ التاريخ ويعرف فلسفته له الحق أن يبحث، ويجتهد ويطرح السؤال: من هم هؤلاء ؟

عُرفوا زمن الفراعنة، الله تبارك وتعالى عرفهم في محكم التنزيل، دون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ذكر نبي الله موس عليه السلام، وقد تكرر اسمه في القرآن ستا وثلاثين ومائة مرة كما قال محمد فؤاد عبد الباقي في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، وذكر نبينا المصطفى صلى الله عليه و آله في القرآن الكريم بلفظ محمد أربع مرات من أجل ذلك، نفهم لما جعل الله تبارك وتعالى نبي الله موسى أسوة لنبينا ولنا وللأمم جمعاء، ما يهمنا هو الحكمة من مواجهة نبي الله موسى للسحرة، لمعرفة عظم هذا الفعل في حياة الناس.

هذه الأحداث التي نذكرها نحن الآن عن السحاري، نفترض لها فترة زمانية ممتدة بين 1600 و 1700 ميلادية، لأن هذه الفترة قبلها وبعدها بقليل هي الفترة، التي تواترت فيها قصص وملاحم المرابطين والأولياء الصالحين في الذاكرة الشفوية، هذه الأحداث غير منعزلة عن أحداث العالم. هذا الزمان هو القرون الوسطى عند الأوروبيين، نقرأ فعلا غريبا قامت به الكنيسة الكاثوليكية يومها وتبعتها بعد ذلك الكنيسة البروتستانتية حوادث تسمى في التاريخ مطاردة الساحرات ومن باب التركيز نقول حدثت أوائل العصر الحديث أو حوالي ما بين عام 1450 إلى 1700 ميلادية، مرورا باضطرابات الإصلاح وحرب الثلاثين عاما، ما أسفر عن الآلاف من عمليات الإعدام وصل عدد ضحايا

مطاردة الساحرات بين 40,000 إلى 60,000، لأن الكنائس المسيحية عرفت ما يمكن أن يفعله هؤلاء، إلا أنها كعادتها اعتمدت الوسائل غير القانونية وحصلت عمليات الاعدام في الغالب خارج القانون.

قلنا أن السحرة الذين هربوا أيام الفرعون، لما يسمى جبل السحاري، كانت لهم مكانة خاصة في قصر الفرعون، جاءتهم المكانة من علوم السحر التي حازوها الكاتب الفرنسي والمترجم السيد arnaud يذكر لنا أن سحرة الفرعون، سحرهم يقوم على علوم مؤسسة لأن السحر في النهاية ليس علما بل هو فن من الفنون، خارج المعايير الأخلاقية، العلوم التي ذكرها الكاتب و لها صلة بالسحر هو ذكرها، وأنا أفصلها باختصار هي:

l'art divinatoire : هو علم يدعي صاحبه معرفة الغيب، أو كما نسميها جدلا التنبؤات وتأتي عادة على شكل قصائد شعرية أو منظومات نثرية وأشهرها وأقربها عهدا جفريات المسمى الحاج عيسى، صاحب الضريح الذي رفعته فرنسا فوق قمة باب الربط بالأغواط. هذا العلم الذي عرفه سحرة موسى، أخذ له مسمى عند الشيعة المجوس يسمونه الجفر، وتسمى قصائده الجفريات، وله كتب متداولة ليومنا هذا، الجفر هو طلاسم وجداول وصهر الرصاص، كتب السحر هذه بالمجمل يسمونها الحكمة، يتوارثونها بسرية تامة، ويتناقلونها بطقوس تشبه طقوس المحافل الماسونية، وهناك دواوين وقصائد غير قابلة للحصر تسمى الجفريات عامرة بالتنبؤات وما سيقع في المستقبل، وسنأخذ بعض الشواهد من باب البينة علم من ادعى:

الشاعر سيدي بلوهراني يتنبأ بسقوط الدولة العثمانية، وقدوم الروم وكيف تتحول المسلمات إلى عاهرات يقول[1]:

راهم يجوا الروم يملكوا ذا القوم اللي هو محروم عندهم راه امبهدل

ويقول الكذاب في الدولة العثمانية:

أسباب الهلاك يبدأ من الأتراك أحسن يا من راك في الخلقة تبدل

ويبشر بقدوم الروم:

يملكوا ذا البر هوا و بحر واللي يلحق ذا الخبر عمره طال

ويتنبأ كيف يكون حال المسلمات الشريفات:

يهوموا لبنات يضحو متفرقات ما باقي شايفات كل أمر هجال

يقول وهو يكذب ليحدد الزمن، الذي يمكثه الروم في الجزائر:

ثمانية وثمانين وسمشهم ضاوية هذاك ما أعطاهم الحي القيوم

ويؤرخ لكتابة جفرياته يقول:

في ألف ومتين واثنين وعشرين ترى للعارفين قيد ذا القايل2

Les sciences hermétiques: هي معارف سرية تنسب لشخص يسمى هرمس Hermès، يعتبره المؤرخون أب الحركة الماسونية، نقرأ عند ساتيل Staël في كتابه الألمان الجزء الخامس الصفحة 128 السنة 1810 ميلادية يقول: « أن الحركة الماسونية ومنذ القدم إنقسمت إلى ماسونية فلسفية، ستظهر في الفلسفة اليونانية الأفلاطونية والفلسفة الهندية، وهناك

---

[1] راجع بالتفصيل الجفر في الشعر الشعبي الجزائري بومداني أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه.

[2] 1222 هجرية تقابل 1807 ميلادية.

الماسونية المقترنة بالفيلسوف هرمس ـ يسميها ساتيل ـ la franc-maçonnerie hermétique ou égyptienne ». هذا هو بيت القصيد وبالمجمل هذه الديانة المحاطة بالأسرار، تتلون مع الأديان السماوية، ومن ينتسب إليها يعتقد أنه يمتلك الأسرار، ولذلك تجد في أدبيات الشيعة والفرق الصوفية المنحرفة عن منهاج النبوة، لما يعرفوا أحد شيوخهم يقولون: فلان قدس الله سره[1].

Cabalistiques : من معانيها اللغوية من سكن بيت اليهود، وهي فكر غامض وأسرار دينية مقترنة بالديانة اليهودية، كما نجد التوراة كمصدر هناك التلمود كذلك، ويدعي اليهود أنهم هم وحدهم من يمتلك هذه الأسرار، وهم يتوارثونها ويمنحونها لمن يثقون فيه، ومن هذه العلوم التي دخلت على المسلمين، وهي من علوم الشيعة أساسا، علم الجفر، وعلم أرقام الحروف يعرفه ابن خلدون: « هو المسمى لهذا العهد بالسيمياء، نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة، فاستعمل استعمال العام في الخاص و حدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها، و عند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس و ظهور الخوارق على أيديهم.. و هو من تفاريع علم السيمياء، لا يوقف على موضوعه و لا تحاط بالعدد مسائله.»

العائلة التي أحاطت بالفرعون زاد نفوذها، ولأن الفراعنة يومها هم قوة هيمنت على العالم أضحى لها الأتباع في العالم، بل أمسك السحرة، هذا الكون البشري مسكا بالعلوم التي حازوها علم السحر والأسرار، جاء في نفس السحرة أن

[1] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَن كتمَ علمًا ألجمَهُ اللَّهُ يومَ القيامةِ بلجامٍ من نارٍ» صحيح أبي داوود الألباني: حسن صحيح.

يجربوا سحرهم على الفرعون نفسه. ما عرف الفرعون خبرهم وما يدبرون وعرف ذلك بجواسيسه، وأدرك أن السحر سيلحقه لا محالة، عرف عظم الشر الذي يمكن أن يأتي من قبل هؤلاء من أجل ذلك طردهم ونفاهم إلى أراض بعيدة إلى الشمال الافريقي، وبالتحديد للمنطقة التي نسميها الآن باسمهم السحاري نشأت أربعة عشر قبيلة تتجانس أعدادها، بالقدر الذي يتيح لها البقاء والصمود أمام أعدائها الشرسين، هذه القبائل أضحى لها وطن هو جبل المشتل. لما نعدد هذه القبائل ونحصيها: نجد أولاد خليف هؤلاء لهم وجود بمحيط مدينة تيارت أولاد خليف منذ زمن بعد، وقبل وقوع الحروب التي ذكرناها تركوا اخوانهم ورحلوا ناحية تيارت ومناطقها، نجد كذلك سبع من هذه القبائل انحدرت من هذا الأصل الأول هم علية بن علي بن علمان، وهم بالترتيب: أولاد سيدي يونس أولاد راشد، أولاد يحيى، أولاد يعقوب، أولاد سعد، أولاد يونس، الرقادة. هذه الفرق مجموعها شكل قبيلة كبيرة تسمى السحاري العطية، أي السحاري أبناء عطية، أهل السحاري يرفضون هذه التسمية أبناء عطية، ويعتقدون أنها سبة وشتيمة، جاءتهم لما أدرجهم الأتراك مع قبائل أولاد نايل ليدفعوا ضريبة زهيدة جدا، اعتبر خصومهم هذا الفعل ليس في موضعه وأنهم يريدون الانتساب لأولاد نايل، وتنكروا لأصلهم من أجل دفع ضريبة زهيدة.

القبائل السبعة التي تعود للأب الروحي علي هم: أولاد معين، أولاد ابراهيم أولاد بدران، أولاد خمكان، أولاد بوعزيز، أولاد عمارة، أولاد خليف ذكروا سابقا.

عاش السحاري فترات طويلة من تاريخهم آمنين مسالمين، وهم كذلك يعرفهم الداني والقاصي في هذه المراحل الطويلة، عملوا على تربية أولادهم والعناية

بقطعانهم. فرضت عليهم الحروب فرضا وخاضوها، وهم كارهون، لما يسألوا عن هذه الحروب التي قاتلوا فيها إخوانهم يقولون: هو القدر وقدر الله و ما شاء فعل.

جاءهم الحسد من أربع قبائل من قبائل الصحراء، حسدوهم على المراعي والكلأ والماء وغزوهم في عقر ديارهم، بل وصلوا إليهم وهم في قمم الجبال، هذه القبائل هي: قبائل الأرباع، السلامة، الحوامد، وأولاد مادي، هذه القبائل تغزو السحاري في غيبة محمد بن علية. حصل أن المرابط ذهب ناحية بني ميزاب هي الفرصة السانحة للإغارة والغزو، عند السحاري كغيرهم من القبائل أفراد يحسنون القول، يسمونهم القوال ينشدون الشعر والملاحم. أحدهم ما سمع قعقعة السيوف وشاهد قدوم الفرسان، والمرابط محمد بن علية غائبا، صرخ في قومه قائلا: « آه أخبركم يا أهل السحاري عن ذلك الرجل هو ولي الله لاريب في ذلك، هو ولي هذا الزمان الله المتعال أرسل على يديه الخير الذي سكن وعمر وانتشر في جبالنا ووهادنا من أجله، بركاته تجعل الأرض أيام الزرع خضراء وتجعلها أيام الحصاد صفراء، آه يا بني يعقوب بعد سيدي محمد بن علية الفرسان الذين وقفوا وصالوا وجالوا ما بقوا، من كان يرفع رايتنا ويحقق نصرنا هم فرسان ذهبوا ولن يعودوا بعدك. يا سيدي محمد بن علية عمارة النزلة بقت خاوية، بعد الرحال والتجوال هي الآن هناك في القمة ثابتة، لا حركة فيها ولا إقدام، لقد اجتمع علينا الأعداء، كما تجتمع على القصعة جياعها. اجتمعت قبائل

الأرباع عند أولاد مادي، الحوامد هم كذلك اجمعوا عند سليمة، نحن الآن محاصرون بالقومية الشرسين، هم كثير عدد هم عدد رمال نبكة1 الزراز».

الحلفاء الجدد وحتى يحلوا التنازع بينهم وبين أهل السحاري، اتبعوا العرف يومها وهو المسمى بالميعاد، يتواعدون على يوم محدد يلتقي حكماء الطرفين، للفصل في النزاع والخصومة، قبله اشترط الحلفاء على السحاري، أن يتركوا الجبال التي هي موطن لهم الآن، السحاري أو أولاد عطية، اعتبروا ما سمعوه من المبتعثين كلام غير لائق بل ووقح. حلفاء السحاري نصحوهم أن يخضعوا للأمر الواقع وطلبوا قبائل السحاري الأربع أن يدقعوا ضريبة تسمى غفارة ـ لها معنى أدبي يعني الجزية ـ لأنهم مخيرون بين الحرب أو ترك المكان، أو دفع الغفارة. أولاد عطية عرفوا أن العناد في مثل هذه الأحوال لا ينفع، حكماء السحاري نصحوا بالتريث، وقبول الدخول في مفاوضات ربحا للوقت، وراهنوا على أن حلف خصومهم لا يدوم طويلا، دخل السحاري في المفاوضات، وما هو إلا زمن قصير وخرج الحكماء، وأعلنوا أن السحاري أولاد عطية لن يستسلموا، وجمعوا الناس وقالو: « سنترك هذا الوطن ونهاجر، ونهيم في الأرض، وسنجد لا محالة السعادة والسكينة، أما أنتم يا من كنتم تدعون أنكم لنا حلفاء، أتركونا وألحقوا بأعدائنا ».

ترك أولاد عطية مرابضهم، وخرجوا من دورهم وداورهم في قمم الجبال، ما خرج أولاد عطية حتى جاءت الفرصة لقبائل الأرباع وحلفاؤهم، ليلحقوا بأولاد

---

1 النبكة يطلق على الرمل عامة في الأغواط هناك باب النبكة القريب من وادي مزي أين يجلب رمل البناء من مسارات الوادي.

عطية، وأسرعوا الخطى وأدركوهم في منطقة سميت من يومها فيجة المراحيل هي واقعة شمال سنلباء الحلفاء حاصروا أولاد عطية وأغلقوا عليهم كل المنافذ المحاصرون لم يكن أمامهم إلا الاستبسال في الدفاع، لأن عددهم لا يعطيهم القدرة على الدخول في معركة غير متوازنة. ركبوا القمم والمرتفعات حماية لهم ولنسائهم وأطفالهم، ولأنهم في حالة من الغضب قل نظيرها قسموا أنفسهم مجموعات، كل مجموعة تحمي العيال والأطفال، وكل واحد يضيف لوظيفة الحماية أن يتصدى لأكثر من مهاجم وتداعى أولاد عطية لحماية النساء والذراري والقطعان، وتحول كل فرد إلى فارس يدافع ببسالة عن عرضه وناسه، إلا أن الجغرافيا العسكرية أقوى من المشاعر والعواطف. يوم المعركة يوم من أيام الشتاء عاصف، برد وريح وثلج كبير، انهارت دفاعات أهل السحاري، شاهد أولاد عطية الفرسان الكبار يسقطون، شاهدوا مهدي و زميله و عبرا ومسعود و ربيعي و جنة وغيرهم كثير، النساء والذراري والكبار خافوا وتراجعوا وتركوا المعركة، من يومها لما يمر أهل السحاري عابرين فيجة المراحيل، يتذكرون أحبة لهم تركوهم أجسادا هامدة، فيجة المراحيل وقف عندها الشعراء، ليذكروا صولات الربيعي والمسعود ومن شد أزرهم في مثل هذا اليوم العاصف
الرهيب مر على فيجة المراحيل قوال أي شاعر من السحاري و قال قولة[1] :
« الأرباع و السلامة والحوامد و أولاد مادي هي المعارك الكبيرة غلبتنا كثرتهم

[1] تم توظيف هذه الحوادث التي هي مزج بين الحقيقة والخيال و هي من أيام العرب الحرب على الماء والكلأ، تذكر بأيام البسوس وداحس والغبراء في الجاهلية، تنافس الشعراء يومها في بذل قصائد الفخر هي حياة العربي، الترحال والغزو والصيد. أما أن تكون أيام العرب سببا في تقسيم المسلمين، هذا باطل وفجور، فلسفة فرق تسد

وهزمتنا قلتنا، آه يا بني يعقوب أردنا أن نعطيهم الغفارة، أولاد عطية قالوا، لا نحن لا نرضى بالدنية، جاءت الحرب وحلت السيوف والخناجر، آه يا أهل السحاري، شبابنا الأقوياء تركتهم الحرب عشبا أبيضا، أراد الأعداء أن يمحو قبيلة أولاد عطية من قبائل العرب1.»

السحاري اقتحموا منطقة أبو ظهير غرب واد الملح، وأخذوا طريق هذا الوادي الذي يقودهم ناحية الشمال، ما حل الليل حتى وصلوا رمال الزراز بالقرب من المصران، ما طلع الصبح حتى شاهدوا عن بعد قدوم الأعداء، حتى لا تقع الحرب الخاسرة هرب السحاري نحو صخور جبل خيذر، المكان يسمى الآن قلتة السطل، المهاجمون الغزاة جاءتهم نشوة الانتصار، وسكنهم الغرور عندما وصلوا عند قدم جبل خيذر، جزموا أن السحاري هم أضعف، وأنهم لا طاقة لهم بالهجوم أو حتى الدفاع عن أنفسهم. الغزاة انفضوا وتفرقوا وكل جمع أراد أن يريح نفسه، بعد يوم كامل من المطاردة، ما شاهد السحاري تفرق أعداءهم حتى قالوا في أنفسهم هي الفرصة السانحة، انتظروا منتصف الليل وهجموا هجمة الرجل الواحد على الأعداء المتفرقين هي المباغتة. انفردت كل مجموعة من السحاري بقبيلة وما تركوهم يجتمعون، الأرباع ما استطاعوا رد الهجوم تفرق جمع الحلفاء، الأرباع هربوا ناحية الصحراء، السليمة هربوا ناحية الزيبان الحوامد

حدثت قبل وبعد الغزو الفرنسي، وما زالت فلسفة قائمة ليومنا هذا، وكأن المسلمين ملائكة هي حياة البشر، هي سنن التدافع ولله في خلقه شؤون.

1 ما فعله الشعراء في تقسيم المسلمين وزرع الحروب والفتن ونشر الرذائل، تعجز عنه أقوى وسائل الاعلام المعاصرة، وصدق الله فيهم لما قال: ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾.

وأولاد مادي هربوا ناحية الحضنة في طريقهم، بسطوا سيطرتهم على منطقة المحقن جنوب مدينة بوسعادة هذه المناطق هي لهم، استغل أولاد نايل غيابهم فاحتلوها، معركة استعادة الأرض كلفتهم ثلاثين من فرسانهم فقط، وغنموا غنائما عظيمة الله وحده يعلم قيمتها.

سيدي محمد بن علية ما زال يعيش بين السحاري، إلا أنه الآن يعاني الفقر والعوز مثله مثل قومه، ما بقي له إلا الدعاء المستجاب ويظهر بين الحين والآخر الكرامات، رغم تقادم الزمن بقيت هذه الهالة تحيطه في كل الأحوال هو الولي الصاحب والمرابط الذي لا تخطئه العين وهو في حياة الفقر والكرامات أراد الزواج وأن تكون الزوجة هي ابنة رجل يسمى بن حراق رجل قوي صاحب فخامة وعزة من قبيلة أولاد راشد. محمد بن علية عزم وخاطب بن حراق، وسأله الزواج من ابنته، ابن حراق لم يصدق الخبر صعق وجاءه الذهول، وحار في أمر الخاطب وتعجب ونظر إليه نظرة الاحتقار والازدراء وكلمه قائلا : « اسمعوا يا قومي كيف يتطاول أهل السحاري، وهذا الرجل منهم، كيف يتجرأ هذا الرجل ويتطاول ؟ هو يطلب ابنتي ولا يستحي ؟ أنا لا أعرف كيف تجاهل المسافة بيني وبينه المسافة بين السيد والعبد ! أُلقي ابنتي مائة مرة تحت أقدام هذا العبد الأسود مراح، الذي هو من عبيدي، ولا أسلمها لمثل هذا الرجل ! » ما أنهى كلامه ابن حراق، حتى استرسل هو وقوم من السحاري في الضحك على هذا الشيخ مدعي الولاية. غضب الولي المرابط واشتد غضبه من هؤلاء العصاة المارقين ثم أزبد وأرعد، ورفع سبابته واتجه ناحية القبلة صارخا: « الشنار والثبور والعقاب لحقكم الويل لكم ! أولاد

نايل اشتروا مني الرضى والحب، الذي أنتم حرمتنني منه، كم هي اللعنات العظيمة ستسقط عليكم من السماء ! ».

رجل من أولاد نايل يسمى كرد الواد، هذا استطاع بما يمتلك من قوة ونفوذ أن يجعل فرقة من أولاد نايل تسمى باسمه، وهي من فرق قبيلة أولاد سعد بن سالم. ما سمع لعنة محمد بن علية على قومه حتى تطوع هو وبعض اخوته بإرسال 20 شاة سوداء الصوف وأضافوا للغنم السوداء ثورا أبيضا، وزوجه كرد الواد ابنته، لما ذكرها الشعراء قالوا هي مثل حور الجنة، ووضعوها في الجحفة وهو هودج غاية في الجمال، وأضافوا الهدايا ليفرح ويرضى ولي الله المرابط سيدي محمد بن علية. ولأن مرضاة الأولياء من رضى الله، فرح الشيخ بما حملت الجحفة، وما رافقها من هدايا، ورفع سبابته ناحية القبلة قائلا : « أبشركم أولاد سيدي نايل، لكم السعادة والخير ووفرة الأرزاق وما وجد في هذا العالم من خير تحصلوه، تكثر قطعانكم، تكثر جمالكم، تزداد غلاتكم، ترتفع أسلحتكم فوق أعناق أعدائكم، ستنزل على أعناق السحاري، كما تنزل سكاكين الذبح على رقاب الثيران أما أنتم يا سحاري هي لعنتي : الفقر سينزل أينما حللتم وارتحلتم، ستقهرون وتذلون، الهزائم والاستسلام هو حظكم ونصيبكم، يا أهل السحاري هذه قسمتكم اظفروا بها ».

لما يتكلم الأولياء أصحاب اللعنات على المخلوقات، يصمت الجميع، يروي الشعراء في قصائدهم والقصاصين في قصصهم، أن الله استجاب دعوة سيدي محمد بن علية، وأن لعنته لحقت مبغضيه، تهافت أولاد نايل من كل حدب وصوب، ليظفروا بغنيمة ولي الله، السحاري جاءهم الغزو من كل الأنحاء وأضحى قتلهم وتشريدهم وسبي نساءهم مقربة تقرب إلى الله.

هكذا تسقط دول وعوالم وتنتهك حرمات، وتزهق الأنفس وتستباح المحارم لأن رجل لم يرث ميراث النبوة بل ورث ميراث سحرة موسى الضالين، يفعل ما لم يفعله الصليبيون في المسلمين.

يقول عز من قائل في محكم التنزيل: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة الآية: 102.

التاريخ الفرعوني القديم، يصرح أن شيشنق ينحدر من العبيد، وأن وصوله للحكم واعتلاء السلطة وكونه فرعونا في حدثه، يشبه ما وقع زمن حكم المماليك في مصر لما حكم العبيد. نصل إلى درجة اليقين العلمي، أن هذه الشخصية لها وجود، تثبته المعالم المادية التي لا يختلف عليها إتنان، له كتابات أثرية تثبت وجوده في معبد الكرنك والأكثر من ذلك له مقبرة تخصه، كتاب سليم حسن موسوعة مصر القديمة الجزء التاسع أُلف سنة 1952 ميلادية، أي قبل ظهور الحركات البربرية وقبل ظهور التيار القومي السياسي، أي قبل ظهور جمال عبد الناصر، وظهور ما يعرف بالتيار العروبي، أي أن ما نكتبه ونثبته الآن هي معلومة لها مرجع علمي معتبر، يؤكد لنا بالقطع العلاقة بين الشعوب البربرية وممالك الفراعنة، بالتقريب منذ خروج بني إسرائيل، وانتشارهم في الأرض ووصولهم جبل السحرة أي السحاري.

اخترت هذا المرجع حتى أخرج نفسي من جدل عقيم واقع يومنا هذا، بين منكر ورافض لوجود شخصية لها أصول بربرية مغاربية، وهؤلاء الرافضون يصنفون أنفسهم على أنهم من يدافع عن الهوية العربية، يقابله التيار البربري الذي يستميت في الدفاع عن شيشنق ويعرضه كشخصية وطنية، ترمز للهوية مع العلم أن شيشنق في البداية والنهاية شخصية تاريخية، وجوده أو عدمه لا يقدم أو يؤخر في حضارتين وثقافتين عظيمتين، هما حضارة العرب والبربر، وأذكر الإخوة هنا وهناك، أن يتركوا هذا السجال العقيم، وإن أرادوا أن يعرفوا من هم العرب والبربر، فعليهم كمبتدئين في علم التاريخ، أن ينظروا في كتاب العلامة ابن خلدون، وقبل أن ينظروا صفحاته، فلينظروا عنوانه الرشيد: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم

من ذوي السلطان الأكبر، يوما لن يحتاجوا ليرفعوا تمثالا لا للفرعون شيشنق ولا لغيره، لما يعرفوا الامبراطورات البربرية العظيمة، كدولة المرابطين والموحدين ومن سلك طريقهم الرشيد أذكر الإخوة والسادة القائلين بالعروبية أن يصححوا مفاهيمهم، ويطلعوا على العلوم اللسانية التي تثبت أن العرب ليسوا عرقا، ولا جنسا خالصا. العرب من تكلم اللسان العربي الفصيح المعرب، وأن العربية هي جذر كل اللغات الانسانية، وأن أول من تكلمها هو سيدنا آدم عليه السلام والفرق بين العربي والعجمي، أن العربي يتكلم الكلام المعرب، وغيره يتكلم الكلام المبسوط، هذا لا يعني التقليل من قيمة الألسن المتداولة، لأن تنوع اللسان خارج الجذر اللغوي الأول، هو في حد ذاته آية من آيات الله تبارك و تعالى في خلقه[1] يقول عز من قائل في محكم تنزيله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ سورة الروم الآية: 22.

قبل طبع الكتاب سنة 1952 ميلادية، كانت مقبرة شيشنق مكتشفة ومعروفة قبل هذا التاريخ بسبع سنوات تقريبا، قبل أن يبتلى المسلمون بوباء العصبيات والعرقيات والله المستعان.

لما قمت بعملية بحث سريع في الكتاب ظهر لي، أن لفظ شيشنق تكرر ما يقرب من مائتين مرة، الوقوف على حياة هذه الشخصية الفارقة في التاريخ يحتاج بحثا أكاديميا موسعا، تجتمع عليه خبرات وعلوم ومناهج، وأنا العبد الضعيف سأكتفي بإبراز ما يوضح العلاقة التاريخية بين الشمال الافريقي وممالك الفراعنة والزمن ممتد منذ خروج بني إسرائيل عقابا لهم ووقوعهم في التيهان الزماني والمكاني، وسيدنا موسى عليه السلام مات زمن التيه قال الله تعالى: ﴿ قَالَ

---

[1] راجع كتابنا اللسانيات النظرية العامة في اللسانيات الاسلامية لم يطبع بعد.

فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ المائدة الآية: 26 نظرية التيهان الزماني والمكاني للذي لا يفقه فلسفة التاريخ، تعني خروج الأمم التي تؤثر العبودية، وتنفر من عزة الاسلام أنها عقابا إلاهيا تخرج من التاريخ والجغرافية، وهذا ما هو واقع للأمة الإسلامية في عصرنا هذا.

نقرأ موسوعة مصر القديمة الجزء التاسع نكتشف الأدلة المادية على وجود الملك الفرعوني شيشنق الصفحة 33:

« وقد كان من أهم المقابر التي كُشف عنها قبر الفرعون « بسنوسن الأول » ويقع هذا القبر وغيره من مقابر الملوك التي كشف عنها حديثا داخل أسوار المعبد العظيم الذي أقامه في الأصل رعمسيس الثاني، وقد كان أول قبر ملكي كُشف عنه في هذه البقعة هو قبر الملك أوسركون الثاني، أحد ملوك الأسرة الثانية والعشرين ... وقد زينت جدرانها بالنقوش وصور الآلهة، كما وجد منقوشا عليها عدة طغراءات الفرعون « عاخبررع بسوسنس » وفي هذه الحجرة الخارجية وجد تابوت الملك « شيشنق » لا تابوت « الملك بسوسنس » ومعه ثروة جنائزية عظيمة، سنتحدث عنها فيما بعد عند الكلام على الأسرة الثانية واعشرين » .

نقرأ نفس الكتاب الصفحة 8:

« ولم يمضِ طويل زمن حتى وجدنا أحد كبار رجال اللوبيين يعتلي عرش الكنانة ويلبس التاج الأبيض والتاج الأحمر إيذانًا بأنه صار ملك مصر الموحدة ثانية.

وهذا الأمير الكبير الذي أصبح ملك مصر هو شيشنق الأول هو فاتحة ملوك الأسرة الثانية والعشرين، ومؤسس الدولة اللوبية في مصر حوالي عام 950 قبل الميلاد».

« وقد دلت الوثائق التاريخية التي في متناولنا على أن أسرة شيشنق هذا كانت تقطن مصر منذ ثلاثة عشر جيلًا في أهناسية المدينة التي اتخذوها موطنا ومعقلا لهم وقد توارث حكم مقاطعة هذه المدينة هؤلاء الأمراء اللوبيون الذين ينسبون إلى قبيلة المشوش صاحبة الكلمة النافذة في عهد الأسرة العشرين في بلاد لوبية[1] .».

نقرأ نفس الكتاب الصفحة 09 :

« والواقع أنه لم تصل إلينا حتى الآن تفاصيل عن كيفية اعتلاء شيشنق الأول مؤسس هذه الأسرة عرش الكنانة، وتدل شواهد الأحوال على أنه قد تسلم مقاليد الحكم دون أية مقاومة، وكيف تكون هناك مقاومة وكل البلاد في قبضة أتباعه؟ والظاهر أن طول مقام اللوبيين في مصر علَّمهم كيف يستطيعون الاستيلاء على الملك دون أن يقاومهم الشعب المصري، وذلك بالحرص الشديد على تقاليد المصريين السياسية والدينية الموروثة».

نقرأ نفس الكتاب الصفحة 10 :

« وقد كان أول همٍّ له في سياسته الخارجية أن يستولي أولًا على فلسطين المتاخمة لحدود بلاده، وكانت وقتئذ في يد اليهود والإسرائيليين، وقد جاء ذكر شيشنق الأول الذي حكم من حوالي 950 ـ 920 قبل الميلاد في التوراة باسم شيشنق في موضعين بمناسبة حروبه مع الإسرائيليين كما سيرى القارئ بعد ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن المتون المصرية المهشمة التي بقيت لنا من عهده لم تزد في فهمنا للغزوات التي قام بها في فلسطين بدرجة يمكن القول بها

[1] النوايل ذكرهم ابن خلدون والورتلاني وأن لهم وجود في ليبيا هذه المناطق الواسعة عرفت قديما اللوبيون وقبائل المشوش لهم وجود ليومنا هذا.

في فلسطين بدرجة يمكن القول بها، أنها أضافت معلومات جديدة أكثر مما جاء في التوراة ».

نقرأ نفس الكتاب الصفحة 10 :

« وهذه الآثار التي أقامها شيشنق وأحلافه في الكرنك و بوبسطة لا تزال باقية معالمها حتى الآن، ويلفت النظر بوجه خاص القناطير المقنطرة من الذهب والفضة التي أنفقها أوسركون بن شيشنق على إصلاح المعابد المصرية وإقامتها وإعادة أوقافها من جديد مما يؤكد ما كان لسليمان من الكنوز الضخمة التي تقلها شيشنق إلى مصر» .

ولقد وردت هذه الحادثة في التّوراة في أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 12 الفقرات 01-12 كما يلي :

١ « وَلَمَّا تَثَبَّتَتْ مَمْلَكَةُ رَحُبْعَامَ وَتَشَدَّدَتْ، تَرَكَ شَرِيعَةَ ٱلرَّبِّ هُوَ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ .٢ وَفِي ٱلسَّنَةِ الخامسة لِلْمَلِكِ رَحُبْعَامَ صَعِدَ شِيشَقُ مَلِكُ مِصْرَ عَلَى أُورُشَلِيمَ، لِأَنَّهُمْ خَانُوا ٱلرَّبَّ، ٣ بِأَلْفٍ وَمِئَتَيْ مَرْكَبَةٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ فَارِسٍ وَلَمْ يَكُنْ عَدَدٌ لِلشَّعْبِ ٱلَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنْ مِصْرَ: لُوبِيِّينَ وَسُكِّيِّينَ وَكُوشِيِّينَ .٤ وَأَخَذَ ٱلْمُدُنَ ٱلْحَصِينَةَ ٱلَّتِي لِيَهُوذَا وَأَتَى إِلَى أُورُشَلِيمَ.

٥ فَجَاءَ شَمْعِيَا ٱلنَّبِيُّ إِلَى رَحُبْعَامَ وَرُؤَسَاءِ يَهُوذَا ٱلَّذِينَ ٱجْتَمَعُوا فِي أُورُشَلِيمَ مِنْ وَجْهِ شِيشَقَ، وَقَالَ لَهُمْ: «هَكَذَا قَالَ ٱلرَّبُّ: أَنْتُمْ تَرَكْتُمُونِي وَأَنَا أَيْضًا تَرَكْتُكُمْ لِيَدِ شِيشَقَ .«٦ فَتَذَلَّلَ رُؤَسَاءُ إِسْرَائِيلَ وَٱلْمَلِكُ وَقَالُوا: «بَارٌّ هُوَ ٱلرَّبُّ .«٧ فَلَمَّا رَأَى ٱلرَّبُّ أَنَّهُمْ تَذَلَّلُوا، كَانَ كَلَامُ ٱلرَّبِّ إِلَى شَمْعِيَا قَائِلًا: «قَدْ تَذَلَّلُوا فَلَا أُهْلِكُهُمْ بَلْ أُعْطِيهِمْ قَلِيلًا مِنَ ٱلنَّجَاةِ، وَلَا يَنْصَبُّ غَضَبِي عَلَى أُورُشَلِيمَ بِيَدِ شِيشَقَ، ٨ لَكِنَّهُمْ يَكُونُونَ لَهُ عَبِيدًا وَيَعْلَمُونَ خِدْمَتِي وَخِدْمَةَ مَمَالِكِ ٱلْأَرَاضِي .«٩ فَصَعِدَ شِيشَقُ مَلِكُ مِصْرَ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَأَخَذَ خَزَائِنَ بَيْتِ ٱلرَّبِّ وَخَزَائِنَ بَيْتِ ٱلْمَلِكِ، أَخَذَ ٱلْجَمِيعَ، وَأَخَذَ أَتْرَاسَ ٱلذَّهَبِ ٱلَّتِي

عَمِلَهَا سُلَيْمَانُ .١٠ فَعَمِلَ ٱلْمَلِكُ رَحُبْعَامُ عِوَضًا عَنْهَا أَتْرَاسَ نُحَاسٍ وَسَلَّمَهَا إِلَى أَيْدِي رُؤَسَاءِ ٱلسُّعَاةِ ٱلْحَافِظِينَ بَابَ بَيْتِ ٱلْمَلِكِ .١١ وَكَانَ إِذَا دَخَلَ ٱلْمَلِكُ بَيْتَ ٱلرَّبِّ يَأْتِي ٱلسُّعَاةُ وَيَحْمِلُونَهَا، ثُمَّ يُرْجِعُونَهَا إِلَى غُرْفَةِ ٱلسُّعَاةِ .١٢ وَلَمَّا تَذَلَّلَ ٱرْتَدَّ عَنْهُ غَضَبُ ٱلرَّبِّ فَلَمْ يُهْلِكْهُ تَمَامًا. وَكَذَلِكَ كَانَ فِي يَهُوذَا أُمُورٌ حَسَنَةٌ».

هذا الحدث التاريخي يصدقه قول الله تعالى:

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ الاسراء الآية: 4.

القبائل الرحل المنتشرة في الجزائر عامة وجنوب مدينة المدية خاصة، ينتشرون في الهضاب والصحراء يتنقلون حياتهم حياة الرحال، يسكنون البوادي ولا يسكنون المدن هم قبائل أولاد نايل من الصعب أن تضع لهم خارطة جغرافية بشرية. لا يثبتون في مكان وإن كان لهم بالمجمل أوطان يأوون إليها، ينتشرون بين بسكرة وبوسعادة ينسبون إلى جبال منها جبل سنجاس وجبل سبع رؤوس وجبل أوكيت. ينتشرون في حدود الغرب الجزائري، يصل انتشارهم على حدود جبل سردون، يصل انتشارهم كذلك إلى حدود جبال العمور، حتى يصلوا ضفاف وادي جدي، يستمر انتشارهم حتى يصل تقرت.

وجودهم لا يثبت دائما في الهضاب العليا، لأن معادلة التساقط والجفاف والمواسم، ترسم معالم التواجد والتنقل مع الزمن ولمقتضيات الجغرافيا والتاريخ جعلوا لهم وطن هو الجلفة في امتدادها الجغرافي والبشري شرق الجلفة، يحدهم جبل الجديد وجبل يوكحيل غربا جبل سردون في امتداده الطويل، ونجد جبل السحاري أو جبل مشنتل، أما منحى الجنوب يحده جبل سرة وأخيرا جبل كبتر هذان الجبلان في التضاريس هم مجرد سلاسل صخرية. الحدود والتضاريس لا تتوقف هنا من جبل سنجاس واصل المسار في اتجاه الغرب حتى تصل جبل سبعة رؤوس وجبل أوكيل حتى تصل إلى السلاسل الجبلية المعروفة جبل السحاري. تتوزع إلى ثمانية روابط وعشرون منخفض بالتقريب هذا يشكل حوض مغلق يسمى الزراز، هنا نجد سبختان السبخة طبعا هي الأرض المالحة الأولى موقعها يحاذي سفح جبل سنجاس، والثاني يحاذي سفح جبل أوكيت، السبخة الغربية يغذيها وادي الملاح ووادي حدجية. إذا اقتربت تجد طبقة ملح بسمك 0,40 سنتيمتر، نجد مسطح مائي تغذيه عين، نحن أمام

وسط مائي مالح، العارف بالتضاريس لا يجازف ولا يدخلها إلا بدليل، لأن بها حفر مائية، إذا وقع فيها الكائن إنسان أم حيوان تبتلعه، جبل سرة يقسم المياه المحيطة بالجلفة قسمين مجرى يتجه شمالا والآخر يتجه جنوبا، بين جبل سرة وجبل كبتر مساحات ممتدة من الحلفاء على شكل منحنى تنازلي، يستمر حتى يصل ضفاف وادي الجدي، خلف جبل كبتر تمتد الصحراء. هضاب الجلفة تمتد شرقا في غالبيتها هي أراضي مغطاة بالعشب طول السنة، العشب متنوع ووفير هذا السر في أن ماشية الجلفة ومناطقها من أحسن الماشية، تعطي لحما زكيا مفعما برائحة العشب الطبيعي المتنوع، خارج السهول لا ترى إلا نبات الحلفاء يمتد في الأفق لا نهاية له، مدينة الجلفة تغذيها أودية أولا واد الجلفة يولد خارج المدينة بحوالي أربعة أو خمسة كيلومتر، يقسم جبل السحاري قسمين، يمتد حتى يمر على صخور ملح، هنا يكتسب اسما آخر هو واد الملح، ينتهي مجراه لما يصل السبخة الغربية. الثاني هو واد حدجية هو غرب الوادي الأول، وينتهي مجراه في السبخة، وادي حمويدة ووادي بودريم هم مسارات لوادي الجدي كذلك الشأن لوادي مرقد ووادي تادميت، نحن أمام أشتاب بشر هم متفرقون، كلهم ينسبون أنفسهم لرجل يسمى سيدي نايل.

نقرأ في كتاب سلسلة الأصول الصفحة 42 و43 و 44 التعريف بسيدي نايل:

« ومن الفروع المشيشية الولي الصالح والمرشد الناصح الزاهد الناسك السيد محمد بن عبد الله الملقب نائل قال في اثمد الأبصار ومن أخيار الأشراف صاحب الأحوال الربانية والطرائف السنية الذي كان يرى النبي عليه الصلاة والسلام وكان كثير العبادة مع الوحوش والهوام سيدي نائل هو جد أشراف أولاد نائل وقال الشيخ العشماوي وأما سيدي عبد الله الخرشفي خلف أربعة أولاد وهم السكناوي سكن اللوات ومات وخلف ولده محمد الأعرج سكن وادي يسر وأبو الليث استوطن بوطن بني سعيد وخلف هناك أولادا وعبد

الرحمن سكن جبل بابور وله أولاد هناك يعرف بمضناته ومنهم من يعرف بأولاد عبد الله الخرشفي وأما نايل استوطن صحراء تيطري ـ وفي تحفة ـ الأفاضل قال وقبره بجمادة سيدي نائل قريبة من واد اللحم على ما قيل[1] وله رضي الله عنه فروع فخام انحصروا في خمسة فروع عظام وهم مليك بضم أوله وفتح ثانيه والظاهر أنه مختصر من عبد المالك ومن أولاد مليك أولاد سيدي مَحَمَدْ فتحا وهم فرق عديدة وأولاد ساعد بن سالم وأولاد يحي بن سالم ومنهم أولاد عامر وكل هؤلاء يفترقون إلى أفخاذ شتى وعيسى بن نائل جد أولاد عيسى وهم بطون كثيرة وزكري بن نائل جد أولاد زكري وهم عدة فرق ومنهم أولاد خالد ويحي بن نائل ومن نسله أولاد أحمد وأولاد سيدي زيان وفرج جد أولاد فرج ويفترقون فرقا كثيرة وكان من سراة أولاد نائل وأجل حماتهم وأشجع أبطالهم وكافتهم أولاد مليك مع ما خصوا به من كمال المروءة والشجاعة والفروسية وحسن الأخلاق وجمال الألوان وكثرة القراء والصلحاء كما هو معلوم ومقرر بالمشاهدة ومن أجل ذريته سيدي محمد بن عبد الرحمان بن سالم بن مليك بن نائل وعبد الرحمان هذا هو دفين الحظنة بوادي الشعير وقبره مشهور مزار متبرك به إلى العرفاني من جمع الله له بين الرئاسة الدينية والدنيوية وأعطاه في الدارين المرتبة الفاخرة العليا العلامة الجهبذ الشيخ السيد الشريف بن الأحرش قدس الله روحه وسقى بغيث الرحمة ضريحه فقد كان صدرا متقدما في الفضائل عالما عارفا شجاعا جوادا ذا شهامة وهمة عالية أخذ الطريق الخلوتية على العارف بالله الكامل المحقق الواصل الشيخ الرباني السيد المختار بن عبد

---

[1] ضريح سيدي نايل الذي يعرفه العوام، هو لا يصدق و محل شك حتى عند القائلين بنظرية الأشراف، خارج النسب لا أحد يعرف من هو سيدي نايل، ولا توجد ترجمة لحياته في كتب التاريخ، ولا أثر علمي له.

الرحمان وسلك على يديه وأجازه ونال أيضا من الدولة الفرنساوية اعزازا وتقديما ومكانة واستقر بالجلفة وبنى زاوية للعلم وقراءة القرآن وإطعام الطعام ولا زال مواظبا على فعل الخيرات واسداء المسرات إلى أن توفاه الله شهيدا سعيدا على يد بعض الأشقياء عام 1264 ودفن بمصلاه وقبره الآن ظاهر يزار».

سي الشريف أخذ الطريق الخلوتية، أي الأسرار والخوارق من السيد المختار بن عبد الرحمان، وأخذ التقدير والتوقير من الفرنسيين، وقتله المجاهدون، هذا سنتكلم لما نذكر حوادث بوشندوقة، سي المختار هذا هو من أئمة التحالف الماسوني الصليبي دون منازع هو مندس فيما يسمى بالطريقة الرحمانية، متواجد في منطقة أولاد جلال، نقف مستقبلا عند شخصية سي الشريف، لأن له أدوار خطيرة في تاريخ أولاد نايل، القرن التاسع عشر والعشرين، والقصد هنا هو وأولاده وخدمة المشروع الفرنسي.

أولاد نايل ينسبون أنفسهم للولي الصالح سيدي نايل هو من آل البيت يتصل نسبه لإدريس الأكبر النسابة العرب يذكرون نسب سيدي نايل كما يلي : نايل ابن عبد الله ابن أبو ليث ابن عبد الكريم ابن عامر ابن محمد ابن علي ابن عبد السلام ابن أب بكر ابن مزوار ابن عيسى ابن سالم ابن مروان ابن حيدر ابن عبد الله ابن مولاي إدريس الأول ابن عبد الله ابن محمد ابن الحسين ابن فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام. سيدي نايل ولد بمدينة فقيق زمن خروج المسلمين من الأندلس، دخل المسلمون بلاد الأندلس فاتحين بقيادة القائد الفذ طارق بن زياد رحمه الله، بعد معركة بواتي التي كانت في رمضان سنة 92 هجرية الموافق لسنة 711 ميلادية، خرجوا من الأندلس بعد سقوط غرناطة في أيدي الصليبيين الإسبان وغيرهم، في ربيع الأول من سنة 897 هجرية. الموافق: 1492 ميلادية أي استمر حكم المسلمين للأندلس حوالي 781 سنة شمسية. الدكتور أبو القاسم سعد الله ذكر في كتابه تاريخ الجزائر

الثقافي الجزء الأول أن سيدي نايل ولد سنة 1524 ميلادية. وهناك رواية شفوية ذكرها المترجم الفرنسي أرنو والباحثان مارت وادموند قوفيون في كتابهما أعيان المغاربة في 1872 ميلادية، مفادها انه ولد بقصر الوادغير بمنطقة فجيج بالمغرب في أواخر القرن الخامس عشر تقريبا، ما بين سنتي 1484 و 1495 للميلاد، المؤرخون الفرنسيون يضعونه بين سنتين 1500 و 1594 للميلاد. سيدي نايل من أصحاب السلطان مولاي حسان وانه قاد فيلقا ضمن جيشه ضد الحفصيين في تونس[1]، ان صحت الرواية التاريخية يكون سيدي نايل حارب دولة مسلمة هي دولة الحفصيين، دولة بربرية حكمت تونس وشرق الجزائر وطرابلس دام حكمها بين سنتي 1229 و 1574 ميلادية مقرها تونس وقع هذا أيام التحرشات والتوسعات الإسبانية في زمنه، انهزم فيلق سيدي نايل. تقول الروايات التاريخية انه كان حاكما مهابا، لدى الدولة الزيانية في رباط الساقية الحمراء، ترك الساقية الحمراء والمغرب، وأخذ طريق الجنوب وصل به المطاف إلى مكان يسمى العتبة، منطقة قريبة من عين الريش قرب مدينة بوسعادة، ثم سار نحو وادي اللحم في هذا المكان قبض والمكان الذي قبض فيه يسمى حمادات سيدي نايل.

سيدي نايل ترك أربع من الولد: أحمد و زكري ويحيى ومليك، أحمد مات دون أن يكون له ولد زكري ينتسب إليه أولاد زكري، ومن أبنائه أولاد حركات

[1] تعرف على الدولة الحفصية السنية وتاريخها التي حاربها سيدي نايل على عجل: ذاع صيت المستنصر الحفصي في العالم الاسلامي حتى وصلته بيعته من مكة سنة 657 هجرية 1270 ميلادية، كان حامل الرسالة من مكة إلى تونس أبا أحمد بن برطله الإشبيلي حيث أعطاه شريف مكة لقب الخليفة و أمير المؤمنين، لأنه كان هو الأجدر في ذلك الوقت بعد سقوط الخلافة العباسية.

وكذلك أولاد رابح وأولاد رحمان، وأولاد أحمد وأولاد خالد، مع الزمن تتشكل خمس قبائل من هؤلاء ومن تفرع عنهم موطنهم الجغرافي مناطق بسكرة وبوسعادة : أولاد عيسى الغرابة يتكونون من أولاد أم الخاوة، أولاد عيفة، أولاد الأعور أولاد زير، أولاد مهاش، أولاد عيسى. الشراقة والغرابة ينقسمون إلى مجموعتين كبيرتين هما : الدويب ومناد، الدويب أنفسهم ينقسمون إلى الشراقة والغرابة، الدويب الشراقة هم أولاد محمد بن مبارك وأولاد عمارة وأولاد عزوز وأولاد كرونة، هؤلاء موطنهم الجغرافي بوسعادة ومحيطها الدويب. الغرابة نجد أولاد الأعور، أولاد الأطرش، أولاد صالح، أولاد الميهوب، أولاد نقاز، أولاد مهاش هؤلاء موطنهم الجغرافي الجلفة ونواحيها. أولاد مناد هم سبعة فرق منتشرون في مناطق الجلفة وأنحائها وهؤلاء هم : أولاد أم الخاوة، أولاد كاتيا، أولاد عيفة، أولاد لكحل، أولاد سيدي ناجي، أولاد بولحية. أولاد الابن الرابع لسيدي نايل مليك ليس له إلا ابن واحد هو سالم. تنشأ عنه قبيلة أولاد يحيى بن سالم، ومنهم تفرع أولاد سعد بن سالم، هؤلاء وطنهم الجغرافي الجلفة تفرع عنهم أولاد عامر بن سالم، هؤلاء منتشرون بمناطق بوسعادة. أولاد سعد بن سالم انقسموا إلى قبيلتين هما : أولاد رقاد وأولاد خناثة، سالم الذي ذكرناه آنفا له ولد هو عبد الرحمان، تنشأ عنه قبيلة تحمل اسمه أولاد عبد الرحمان ترك ولد اسمه محمد يتزوج ثلاث نساء هن : داية وشليحة وأم هاني، يرزقه الله خمس أولاد هم : عبد القادر و أبو عبد الله، هؤلاء أمهم داية أحمد ورويني أمهم شليحة. ثامر أمه أم هاني هذا ينشئ توزيع جديد : أولاد عبد الله وأولاد عبد القادر، يجمعهم اسم أولاد داية، أولاد أحمد وأولاد الرويني هم أولاد شليحة القبيلة الخامسة لا تحمل اسم أولاد ثامر بل تحمل اسم أولاد أم هاني.

هذه التقسيمات والتفرعات لا تفسر انتشار أولاد نايل في الأرض، هم وغيرهم لأن الفرضية التي يبنى عليها التقسيم لا تصح، لا يمكن لرجل مهما كانت مكانته

المفترضة أصلا، أن ينجب في هذا الزمن القياسي هذه الشعوب، وهذا القول يصدق في سيدي نايل وغيره، مما تنسب لهم القبائل.
سيدي نايل عاش بين 1500 و 1594 ميلادية، نقارنه بالسيد أحمد التجاني عاش بين 1737 ـ 1815 ميلادية، الفرق الزمني بين الشخصيتين 221 سنة. لما نأخذ بالفرضية أن أولاد نايل هم أبناء نايل، وليسوا القبائل النايلية الذين عرفوا أيام الدولة العثمانية يجب أن نأخذ نفس الفرضية ونطبقها على أبناء السيد أحمد التجاني مع الفرق، وهو أن أبناء السيد التجاني يعرفهم الجميع لهم شجرة موثقة، لأن الوالد قريب العهد. لو جمعنا أحفاد السيد التجاني وأصهاره، بالكاد كلهم يسكنون قرية عين ماضي، الدعوة أن كل واحد ينسب لسيدي نايل هو ابن له، هذا يرفضه منطق الحدث التاريخي، والسؤال الأهم هذه الشعوب المتناثرة قبل حضور سيدي نايل من هم ؟ ولو صدقنا جدلا هذه الفرضية سيقول الخصوم من باب الجدل كذلك، من أعطاكم الحق أن تسكنوا هذه الأراضي، وهي أرض الله يحق لكل مسلم أن يسكنها، وأنتم ما وجدتم إلا منذ زمن هو قليل لمن يقرأ ويفقه صناعة الحدث التاريخي، يستطيع علماء الجغرافيا السكانية وتستطيع جداول الاحصاء، أن تفصل في هذه المسألة القائمة أصلا على فرضية لا تصدق.
الظاهرة أن هؤلاء الأولياء كلهم ظهروا في زمن متقارب واختفوا في زمن متقارب، وأن حضورهم يأتي من المغرب، نحن لا نعرف ولي على شاكلة هؤلاء جاء من الحجاز أو الشام الفرضية القابلة للتحقق بمقتضى الجغرافيا البشرية حتى يتعايش الناس وضعوا لهم عقدا اجتماعيا حتى يمنعوا عن أنفسهم وغيرهم نوازع الشر والفتن، والاقتتال في غياب سلطة الدولة المفقودة، وضعوا عقد الولي الصالح، ينسب إليه الناس عربا وأمازيغ بيضا وسودا حتى تتحقق معادلة الحياة، لذلك الذين هم مشغوفون بالأنساب قديما وحديثا يضعوا الأساطير حتى

يملئوا الثقوب حتى لو افترضنا أن هذه الأنساب صحيحة، فهي في النهاية لا تصح، لأن النسب ينتهي بالسيدة فاطمة رضي الله عنها، الرجل ينسب للأب لا للأم يقول تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

تروي الذاكرة الشفوية أن سيدي نايل، أراد الحج قبل أن يترك موطنه، عهد زوجته وأولاده لخادم يسمى مليك، رحلة الحج طالت حتى اعتقد مليك أن سيدي نايل قد هلك في رحلته من أجل ذلك، قرر أن يتزوج زوجة سيدي نايل، ويلحق الأبناء به عاد سيدي نايل بعد زمن، ما علم الخادم بقدوم الزوج حتى خاف وهرب، الزوجة غضبت إلا أنها شاهدت أمرا غريبا، أن خيمتها بدت أجمل مما كانت عليه، وأن هناك خيوطا جديدة نسجت خلاف ما هو متوقع، سيدي نايل لم يغضب مما وقع في غيابه سامح الخادم وكذا الزوجة[1] وألحق أبناء الخادم من زوجته لعياله، وتكفل بهم، تقول الرواية أن الشيخ فرح لما رأى عائلته تكبر.

بدأت فرق أولاد نايل تكبر وتتسع وتنتشر، والنتيجة أن أولاد نايل، زاحموا غيرهم في مناطقهم ولأنهم أكبر، تحالف عليهم خصومهم حتى يوقفوا زحفهم. العادة أن أولاد نايل أثناء خصوماتهم يتريثون ولا يردون العدوان، بل يظهروا أنهم ضعفاء وأنهم ظلموا، وأن الناس يكرهونهم دون سبب، وينتظرون الفرص

---

[1] إن صدقت الرواية كما رواها الكتبة الفرنسيون، أن سيدي نائل يؤمن ويعتقد بنظرية المتعة، وهو عقد مؤقت لا ينتج عنه توارث، هو من أصول الشيعة المجوس حيث يجوز التمتع بالنساء، وهو منصوص عليه في الدستور الإيراني الحالي، ومنه يكون الزنا والقيام به من المقربات لله، وتفرح به المتمتعة والمتمتع على السواء، وهذا يفسر نشر الزنا في المناطق التي يصلها فكر المجوس وعقائدهم الإباحية.

المواتية للانتقام، وهذا من فعل القبائل قديما وحديثا. لما ضاقت المناطق بهم قرروا التوجه ناحية جبل بوكحيل، هنا تنشط الذاكرة الشفوية وتحكي حكايات منها أن أولاد نايل في رحلتهم وما سلكوا مسالك جبل بوكحيل، وقفت دونهم صخرة عظيمة منعت تقدمهم من الذين منعوا من التقدم، شخص يسمى سيدي ثامر هو مؤسس قبيلة أولاد أم هاني نزع برنوسه، ثم لوح به ورماه على الصخرة، انشقت الصخرة بمقدار طريق يسمع لأولاد نايل بالمرور، سيدي ثامر آثر البقاء مع القبائل التي لم يشملها النزوح، وطالب قومه أن يكملوا طريق الهجرة، ولأنه أخلص النية وظهرت كرامته، الله جعل هذا الفعل خاتمة لأعماله، وقبض بمكانه وبين رجال قبيلته.

أولاد نايل شملتهم بركة سيدي ثامر في حياته وبعد وفاته، كانوا ينتشرون ويتخطوا قمم الجبال كأنهم الطيور لا يمنعهم مانع، وأضحت قمم جبل بوكحيل مقام لهم وسكن، أزاحوا خصومهم ومن وقف ندا لهم، وانتصروا في معاركهم وخرجوا دوما فائزين. أولاد نايل أحدثوا المفاجأة أين ما حلوا وتغيرت معادلة الجغرافيا البشرية، القبيلة الضعيفة، التي بالكاد تجد لها موقع قدم عند خصومها ها هي الآن تزيح قبائل وتجعلهم يتراجعون، اليوم الذي هاجمتهم فيه القبائل وأخرجتهم من موطنهم قرب وادي الشعير، أضحى من الذكريات التي بالكاد يتذكرها أولاد نايل، لما يسترجعوا أيامهم الغابرة. مجاميع من أولاد نايل تأخذ طريق الشرق، ومنهم من وصل حدود منطقة الزاب بل دخلها. مجاميع أخرى من أولاد نايل أخذت طريق الغرب، ووصلوا منطقة زكار وأخرجوا أولاد يعقوب من موطنهم التاريخي، وجعلوهم يتراجعون ناحية الجنوب على أطراف جبل العمور. دخلوا قصر زنينه من ناحية الشمال وسكنوها، وأضحى جبل السحاري طريقهم نحو التوسع وهنا ظهر واضحا أن حلم أولاد نايل أكبر، وأن حدود الحلم تتجاوز جبل السحاري.

هم الآن يحلمون بالذهاب بعيدا يحلمون بالأراضي الواسعة الخصبة، أعينهم الآن على منطقة الزراز لما يذكرها الفرنسيون أيام الاحتلال الأولى، يقولون هي جنة عدن خلقها الله في الأرض، هناك الزراز الشرقي والغربي، أراض ممتدة من جبل عمور حتى نواحي المسيلة وغيرها. القوافل البشرية المتقدمة من أولاد نايل لاقتحام مناطق الزراز، تتشكل مجاميع بشرية أكثرها من قبيلة أولاد امحمد مهمتهم الأولى الاستطلاع، والتعرف على المكان، ووضع موضع قدم إن أمكن لأن أولاد نايل يعرفون جيدا أنهم لن يحوزوا جنة عدن هذه، إلا بعد السيطرة الكاملة على جبل السحاري بسلاسله وقممه الممتدة، ليكون لهم ظهرا وحماية. إذا قرروا الدخول في معارك مع من يسكن منطقة الزراز، أو يطمع في حيازتها من قبائل وعروش أخرى، قبل وصول أولاد نايل هناك الحروب الطويلة بين قبائل الصحراء وساكني منطقة الزراز. أولاد نايل يرقبون الحدث عن قرب وينتظروا الفرصة المواتية، ليكونوا طرفا في الحدث، لم يطل الزمن وحسمت المعركة حسمها الصحراويون في معارك ومواقع، لا يتسع المجال لذكرها هي حروب الزراز.

الصحراويون المنتصرون سكن بينهم رجل من أولاد نايل يسمى سيدي محمد بن علية ظهر بين الصحراويين ولي من الأولياء وتقي من الأتقياء. الولي الصالح أراد الزواج تقدم وخطب امرأة من كبار القوم الصحراويين، والدها من أغنى أغنياء الجبل، الغني رد الخطبة ورفض زواج ابنته من الولي الصالح، هذا أثار غضب سيدي محمد بن علية واعتبره نقيصة في حقه، وأخذ يظهر سبب غضبه للناس، ويقول لهم إن من يمتلك الذهب والفضة، لا يحق له أن يرفع نفسه عن أسياده، وهو يشير لنفسه على أنه ولي صالح وله كراماته، وأن طاعته من طاعة الله، وإنه إن غضب سيأتي الناس غضب الله لا محالة، وأن رفضهم هذا

يستحق الانتقام، وجمع الناس وأخبرهم أن الانتقام قادم، وأن المنتقم هذه المرة ليس هو سيدي محمد بن علية، بل هو المنتقم الجبار[1].

هذا الكلام أخاف الناس، وأصابهم بالهلع والرعب بعد مدة خرج على الناس وأبلغهم أن الانتقام حل بهم، ولأنه ولي صالح وإرادته من إرادة الله، قد قرر أن يبيع الزراز كله لرجل يسمى كرد الواد من قبيلة أولاد سعد بن سالم، مقابل رؤوس من الغنم. سكان الزراز احتاروا ليس بمقدورهم وقف الانتقام هو من الله المنتقم الجبار، كما أخبرهم الولي الصالح، لم يكن أمامهم إلا منع البيع، ولو كان بالقوة. إلا أن الولي الصالح سيدي محمد بن علية مستجاب الدعوة صاحب الكرامات سبقهم وعقد الصفقة مع كرد الواد، وهكذا تحقق العقاب الإلهي، كرد الواد ولأنه رجل كريم وشهم سلم منطقة الزراز لقبائل أولاد نايل، لحق غضب الله الصحراويين، لأنهم رفضوا تزويج الولي، ترك الصحراويون جنة عدن وانتشروا في القفار2.

سكن أولاد نايل وطن الزراز وانتصروا على عدوهم بالحيلة والدهاء، وكسبوا معركتهم دون قتال ولا نزال، وصدق في الصحراويين مثل بني لغواط أعمل يا التعس من أجل الراقد النعس. للتغطية عن هذا الحدث، الذاكرة الشعبية أبدعت الخوارق والكرامات تنسبها لسيدي محمد بن علية وتحكى الأساطير حول مماته وحياته، من هذه الحكايات حكاية الناقة التي كانت تحمل جثمانه يوم مماته في العطوش. أصرت الناقة على السير إلى جهة واد بسطامة في مكان يسمى القصير في ثامدة، ورغم المحاولات المتكررة للأهالي لإرجاعها، إلا أنهم

---

[1] أعدنا ذكر حكاية محمد بن علية لنواصل مسار الأحداث وأهميته في تأسيس قبيلة أولاد نايل.

[2] ذكرنا حكاية محمد بن علية وابن حراق ورفضه زواج ابنته.

امتثلوا للقدر، ودفن في ثامدّة في جبل السحاري وهناك له ضريح. هكذا أمسك أولاد نايل منطقة الزراز وتم تقاسم المنطقة كما يلي : خمس قبائل من أولاد امحمد مسكوا جل المنطقة وبقي الحال هكذا حتى أيام احتلال المنطقة من قبل فرنسا وأعوانها. أولاد داية أمسكوا الهضاب الشرقية، أولاد شليحة مسكوا المنطقة الوسطى، أولاد أم هاني أمسكوا المناطق الغربية.

جد أولاد سي امحمد هو عبد الرحمن بن سالم، يقول أحفاده أنه رجل تقي وأن نسله يمتد لسيدي نايل، وأن له ضريح يزار قرب عين الريش، قبل وفاته اختار ابنه امحمد بعد أن أعلن أنه راض عنه وخصه بهذا الدعاء : « جعلك الله من أعظم وأكبر الرجال تسود رجال أولاد نايل، أنت وأبناؤك بعدك، هذا دعائي لك من عندي أنا » تحققت الدعوة خضع أولا نايل له، وأضحى سيدا مهابا في قومه لا ينافسه أحد، ولا يغار منه أحد.

أيام الربيع كما يقولون قليلة بعد زمن ليس بالقصير، حنت القبائل وقبائل الصحراء خاصة لموطنهم جنة عدن الزراز، وتظهر تحالفات جديدة وبرزت جماعات قوية تحاول أن تخرج أولاد نايل من جنة عدن، وتعيدهم لحدود جبل السحاري، ولما هو أبعد من ذلك تراجع أولاد نايل لموطنهم الأول بدأت حرب القبائل على أولاد نايل، نذكر أهم القبائل المناوئة اختصارا : قبائل رحمان وقبائل بوعيش، وقبائل الدوير، وقبائل بني حسان وقبائل أولاد مادي، وقبائل الأرباع وخاصة أولاد خليف، وقبائل الزناكحه، وقبائل أولاد سيدي عيسى وقبائل المويدات وغيرهم. الحروب هي حروب العرب في الجاهلية يوم لهم ويوم عليهم هي هكذا سجال، إلا أن القبائل الماسكة للأرض لها التفوق في أغلب الأحيان هي في كل الأحوال حروب البحث عن الكلأ والماء، الذين خاضوا الحروب واستبسلوا في الدفاع عن الزراز من قبائل أولاد نايل، نذكر حسين وعبد السلام هم من فرق من أولاد الريربي el-rerbi، كلهم ينتمون لقبيلة

أولاد رويني من أجل بطولاتهم عرفوا هم والمكان الذي نزلوا فيه باسم نزلة الفحلة، هذه الفرقة حافظت على نقاء دمها حيث لا يسمح لغير أولاد نايل الخاصة، أن يتصلوا بهم بنسب أو علاقة أسرية، هذه الفرقة ألهمت الشعراء وتغنى بأيامها الجميلة المغنين، في هذا الزمن الجميل كل فرد منها يوصف بالبطولة وهنا تتحرك الذاكرة الشفوية، لتحكي عن هؤلاء قصص وحكايات لا يخرج عنها التقوى والإيمان. يقولون أن الواحد فيهم لا يتزوج حتى يؤدي فريضة وركن الحج، يذكرون قوتهم وطاقتهم الجسمانية، يقولون أن الفارس والمقاتل فيهم إذا أراد السفر، وكانت المسافة المقدرة بين بوغار والأغواط يقطعها في مرحلتين هما الذهاب والإياب وكأنه في نزهة صيد.

ظهر لأولاد نايل خصم قوي هي قبائل التيطري أي قبائل التل، ظهر أن لها مطمع في حيازة منطقة الزراز، لفظ الزراز توسع معناه أكثر هو لفظ متعارف عليه قبل وأثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر وهو غائب الآن من المصطلح الجغرافي للمنطقة. بقصد به بالمفيد المختصر المناطق التي تأتي جنوب الجلفة الحضنة وهي الامتدادات الجغرافية لمناطق بوسعادة والمسيلة الآن، وصولا لمنطقة الشبكة جنوب الأغواط، وتصل حدود جبل العمور وتتجاوزه، حتى جنوب مناطق وهران، هذه المناطق كانت قبل الاحتلال جنات ممتدة وسلاسل خير غير منتهية. تنافس هضاب الشمال، بل كانت أفضل منها إلا أن جهل الإنسان والجفاف، وقتل الطبيعة المتعمد، جعلها قفارا، بالكاد تجد فيها شجرة تستظل بها.

قبائل الشمال لم يحضروا وحدهم، ولأنهم قريبين من سلطة القرار لدى الحاكم العثماني جاءهم العون من بايات الدولة العثمانية، لأن الحاكم العثماني يرى أن قبائل أولاد نايل بدو وليسوا بحضر، وأن حياتهم حياة تنقل وترحل، وغاب عن الحكام العثمانيين أن أولاد نايل في هذه المرحلة الحاسمة أرادوا أن يكونوا كغيرهم

من القبائل المنتشرة لهم حاضرة تجمعهم ويفترض في الحاكم العثماني أن يمكنهم من ذلك، إلا أن هذا لم يقع، وهذا بالقراءة التاريخية ظلم اجتماعي وقع على أولاد نايل حتى أن المدن التي رفعوها تكاد تكون من بقايا الحقبة الرومانية القديمة. هذا الظلم شعر به أولاد نايل، وهو يفسر حركة العصيان والتمرد التي قاموا بها ضد المرافق التابعة للحكم العثماني بعد سقوط العاصمة الجزائرية مباشرة.
قلنا أن قبائل الشمال لها عين على الزراز ومناطقه، قررت السلطات العثمانية أن تفرض ضريبة خاصة على فرقة حسين وعبد السلام، بعد كثرة الشكاوي التي رفعت للحاكم العثماني من قبل قبائل الصحراء والتل، مقدار الضريبة أن كل خيمة تدفع شاة ومكيال فطرة أي حوالي كيلوغرام من السمن، اعتبرت فرقة حسين وعبد السلام الضريبة حربية، لأنها خصتهم دون سواهم، قلنا أن هؤلاء لا يبيتون عن ظلم لحقهم، مهما كانت درجته وشدته. ليلة من الليالي فارس يسمى بلقاسم بن رعاش من أولاد عبد القادر دخل معسكر جند للأتراك وحَمَلَ حصانا بالحلفاء وما يساعد على الاحتراق وأضرم النار وأحدث خوفا وهلعا في المعسكر، مما جعل الجنود الأتراك يهربون ويتركون معسكرهم. هذه الحادثة غير المحسوبة والسلوك غير الحكيم، جعل أولاد نايل يدخلون في حرب غير متكافئة ومحسومة مسبقا، لأن خصوم أولاد نايل كانت فرصتهم، وجاءت اللحظة الفارقة المنشودة استغلت قبائل أولاد المختار، وحضرت نفسها لتحسم الموقف لصالحها لم يكن بإمكان فرقة حسين وعبد السلام، أن يخوضوا مثل هذه الحرب. لذلك اعتمدوا أساليب دفاع وضعوا في المقدمة جمال ووضعوا على كل جمل هودج، هنا تحضر حكمة الأتراك، لما شاهدوا سلوك من جاء لعونهم وكيف تصرفوا تصرف من جاء ليثأر حسمت القيادة العثمانية الأمر، واعتبرت أن ما تفعله هو تأديب فرقة حسين وعبد السلام عن فعلتهم، وأن قبائل أولاد نايل لا علاقة لهم بالموضوع، وأن ما وقع ما هو إلا وشاية كاذبة.

بدأ الحكم العثماني يعيد ترتيب بيت أولاد نايل، بمقتضى المصلحة الجماعية ولحماية الناس ومن أجل الأمن، تم تشكيل قوة المخازنية، وتم اعتبار قبائل أولاد سي اِمْحَمَدْ مع أولاد داية، وأولاد أم هاني والقبائل المتصلة بهم قبائل حماية للسلطة العثمانية. حددت لهم بمقتضى العدل الضرائب المستحقة هم كغيرهم من القبائل الأخرى، وعينوا شيخا وحاكما لأولاد نايل يجمع بين قوتي القبيلتين الفاعلتين وهما أولاد رويني وأولاد سي أحمد، وحتى يعم الاستقرار وتمنع الحوادث الطائشة، عين الحاكم العثماني شيخا على أولاد داية ووسعوا سلطاته، لتشمل أولاد سعد بن سالم وأولاد يحيى بن سالم. بعد زمن الحاكم العثماني عين شيخا على أولاد عيسى هذا يقع سنة 1816 ميلادية، وعين شيخا آخر على أولاد سعد بن سالم، هذا الأخير يجمع الضريبة من قبيلته أولاد سعد بن سالم وكذلك قبيلة أولاد شليحة.

الحكم العثماني رفع الظلم التاريخي عن أولاد نايل، وأقر بحقهم كالآخرين في الأرض، لأن هذه الأرض هي لله وأن الفعل الذي قام به أولاد نايل هو عمارة الأرض، وهي من مقاصد الشرع، وليس غزوا كما قال خصومهم، أما الأفعال الطائشة وسلوك الدهماء والغوغائية، هذا لا يخلو منه مجتمع إنساني، يفسر بمقتضيات التاريخ ونظرية الحضارة، وهم وغيرهم فيه سواء.

نقف لكي نضع خارطة أولاد نايل قبل سقوط العاصمة من قبل الفرنسيين: أولاد عيسى استوطنوا المنطقة الشرقية لمحيط مدينة الجلفة من جبال السحاري حتى مسعد، أيام قطع التمر وأيام المطر يرحلون جنوبا يصلون تقرت ومنطقة الزْوِية، أولاد عيسى لهم حروب الماء والكلأ مع قبائل الأرباع في أعماق الصحراء، و لهم حروب في الشمال مع أولاد ماضي، لنفس الأسباب دائما ولهم حروب مع الحوامد، وأولاد سيدي زيان وأولاد سليمة. أولاد عيسى انقسموا قسمين الغرابة والشراقة، ولنفس الأسباب وقعت بينهم الحروب والفتن الغريب

أنهم كانوا يوقفون حروبهم الداخلية إذا جاءهم عدو خارجي. أولاد يحيى بن سالم و البودرين موطنهم بين جبل كبتر ووادي الجدي، هؤلاء مع المخاليف اشتهروا بصيد النعام المنتشر في جبل العمور خاصة، أولاد سعد بن سالم يمسكون الناحية الغربية لمحيط الجلفة من طريق الأغواط حتى مدينة زنينه، ويكونون ثلاث قبائل هي : أولاد رقاد الشراقة، أولاد رقاد الغرابة، وأولاد خناثة، أولاد يحيى بن سالم، وأولاد سعد بن سالم هم يحاذون أولاد عيسى من ناحية الشمال. أيام القحط والجفاف يتركون موطنهم ويتجهون ناحية الصحراء ناحية مناطق ميزاب، هذا يدخلهم في مواسم الجفاف في حروب وفتن مع قبائل الأرباع وكذلك قبائل جبل العمور أحيانا. أولاد سعد بن سالم يتحرشون بالحاكم العثماني باي التيطري، المناوشات والتحرشات تقع نواحي زنينه وجبل سردون[1] من قبل أفراد متهورين، هذا اضطر الباي المسمى باي مصطفى للقيام بعملية تأديبية لهم، حيث هاجم قصر عمرة، سكانه تركوه وهربوا ناحية الصحراء، قام الباي سي محمد الكبير باي معسكر بعملية تأديبية، هاجم أولاد سعد بن سالم في القنطرة بقوة عسكرية تعدادها 2000 فارس، ليحسم التمرد والخروج عن نظام الدولة العثمانية.

باي محمد الكبير باي معسكر هو المجاهد محرر وهران من الاحتلال الاسباني سيرته ورحلته ذكرها أحمد بن هطال التلمساني في كتابه رحلة محمد الكبير باي

---

[1] سردون قائد روماني، تزوج الملكة زنينه مؤسسة مدينة زنينه، لها حكاية جميلة عن حروبها، وقتل ولدها وهروبها، وتأسيس مدينتها، يذكرها الكتبة الفرنسيون، ولها مصادر تاريخية تحكي حكايتها بالتفصيل.

الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1198 هجرية 1784 ميلادية نقرأ في رحلته[1]:

« وجد في سيره حتى نزل ـ الدبداب ـ على ست ساعات ونصف. وهذا الموضع هو رأس ـ واد القصب ـ وكما يسمى ـ الدبداب ـ يقال له: أبو شكوة أيضا. ـ و الكرط ـ في جهته الشرقية على نحو الميلين، وفوقه حاسي الحمار ـ على نحو ثلاثة أميال. والبلد الذي في قبلته يسمى ـ الأخضر ـ وفي طرف ـ الأخضر ـ من جهة الشرق قرية، تسمى ـ الشارف ـ، وحيث نزل هذا الموضع ذكرت له مدينة وهذه المدينة تسمى ـ زنينة ـ، قريبة من الدبداب بنحو أربعة سوائع. وهي لبعض الأعراب الذين لا حكم عليهم لأحد. وأهلها أصحاب قوة، وعدة، وعزة. وقد ذكروا له أن باي ـ تيطري ـ نزل عليها فطردوه، وقتلوا رجلين، وذهب مذموما مدحورا.

فلما سمع كلامهم على هذا الوجه اشتد حرصه عليها، وأراد النزول بقربها، فراوده بعض المشائخ أن لا يذهب إليها، وأن لا يكشف حريمها. ووصفها له بالحقارة وعدم الطاقة. وقال له: ليس لهم قدرة على ملاقاتك، وهم مشتغلون في خدمتك، وأنهم يجمعون خمسة وعشرين مملوكا ويقدمون بهم لحضرتك. فأبى عن خدمتهم، ورغب عن طاعتهم، ولم يرد إلا عقوبتهم لجسارتهم على ـ الباي لار ـ ، وأخذته الأنفة عليهم، ولكن استصغرهم في عينيه. فعلت همته أن يتولى قتالهم

---

[1] راجع ابن هطال الصفحة: 49 و 50 راجع تاريخ عين ماضي للمؤلف الصفحة: 23. راجع: المجلة الافريقية السنة 1857 ميلادية: Notice sur le Bey d'Oran, Mohammed el Kebir. Gorguos,

بنفسه، فأمر خليفته من له ومتولي خدمته ـ من له قدمه ـ في المفاخر السيد محمد بن عبد الله أن يذهب إليها، ويرجف بخيله وركابه عليها، وحيث سمع كلامه نهض إليها، وأخذ معه بعض العسكر. فلما رآه أهل تلك القرية علموا ـ أنهم. لا قدرة لهم ولا طاقة لملاقاته، فخرجوا منها بأجمعهم، ولم يأخذوا شيئا من أمتعتهم وقوتهم، وتركوها ـ خاوية على عروشها ـ أسيرة في يد ممقوتها بفروشها فدخلها من غير حصار عليها ولا قتال فانتهبت جميع ما فيها من القماش و ـ الغرائر[1] ـ والسمن وغير ذلك مما ترغب فيه النفوس. وقد وجد فيها من القمح والشعير ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى، فحملت منه الناس شيئا كثيرا وأكثرهم يرغب في الشعير دون القمح. فتراهم يفتحون المطامير، فإن وجدوا شعيرا حملوا منه ما قدروا عليه، وإن وجدوه قمحا يأخذوا منه شيئا، وكر رجعا لمحلته، ظافرا بحاجته، فأقام في الغد في هذه الدار[2]».

[1] الغرائر: مفردها غرارة بكسر أوله، وهي الجوالة التي تنسج من صوف، أو وبر أو شعر، يقصد جعلها أوعية للحبوب. المحقق.

[2] يقول فورنوس إنه قتل على يد أولاد نايل في غزوة قام بها ضدهم عندما خرجوا من طاعة الأتراك وهناك من يخالفه الرأي: أنظر المجلة الافريقية السنة 1857 الصفحة: 405 أنظر Notice sur le Bey d'Oran, Mohammed el Kebir. Gorguos, هامش كتاب رحلة محمد الكبير تحقيق محمد بن عبد الكريم الصفحة: 15.

أيام الحكم العثماني وبالتحديد من الفترة الممتدة من 1816 إلى 1860 قيادة أولاد نايل يتقاسمها أربع قياد، في شهر جوان 1830 أرسل باي التيطري أحد القياد الأربعة لتحصيل الضرائب من قبائل أولاد نايل المنتشرة في منطقة الزراز، ما سمعت قبائل أولاد نايل خبر سقوط العاصمة حتى غابت عنهم القيادة والحكمة واجتاحتهم فوضى عارمة، ظهر التمرد أكثر في الهضاب العليا في المناطق الممتدة من جنوب المدية حتى حدود الأغواط. القائد الذي كلف بجمع الضرائب ترك ما جمع من مال وهرب ناجيا بنفسه، هكذا سقط نفوذ القياد الأربعة، بسقوط الحكم العثماني وبدأت جماعات من قبائل أولاد نايل، تهاجم مقرات الحكم العثماني، وتستولي على الممتلكات العامة.

عينوا لهم قادة جدد من الفوضويين، وتوسع التمرد ليأخذ حالة عصيان وانفلات أمني تمكن الغوغائيون من مسك الأمور وإدارتها، وعجز الحكماء وأهل العقد والحل، وقف هذا الانحراف الخطير. بدأت مجاميع من أولاد نايل في مهاجمة القبائل والمدن، التي لا تنضوي تحت عرش أولاد نايل، وزاد الأمر سوءا لما ظهرت مجموعات تفسد في الأرض، تقطع الطريق وتعتدي على الآمن والمسافر أضحى الطريق من بوغار حتى الأغواط خطر وغير آمن.

زاد نفوذ هذه الجماعات الغوغائية ولم يستطع أحد أن يتحكم، وعجز أهل الرأي والحكمة داخل العرش أن يوقفوا هذا الانحدار الخطير، وتفاقم الوضع أكثر حتى أنه شمل في بعض الأحيان قبائل بأكملها، قام عرش أولاد سي اِمْحَمَدْ بمهاجمة القبائل الغنية في مناطق التل وغزوهم. تحرك أولاد المختار وهي قبائل تسكن

في محيط بوغار برد المهاجمين ووقف زحفهم، استطاع أحد كبراء عائلة دهيليس أن يقود الحملة، واجتمع رأي قبائل التل أن يسارعوا ويوقفوا هذا الخطر، سنة 1831 ميلادية قبائل التل وخاصة المنتشرة منها بمحيط بوغار، جمعت جمعها لتوقف هذا الغزو، جمعوا 6200 فارس، وشكلوا جيشا وهاجموا غوغائية أولاد نايل.

الغوغائيون ظهرت قوتهم ضعيفة أمام التحالف الجديد، هم بالكاد ألف وخمسمائة فارس تراجع المهاجمون جنوبا وعاثوا فسادا، وهاجموا المقرات التابعة للسلطة العثمانية، ووصل فعلهم مناطق المسيلة وحدودها من نتائج هذا الفعل غير المتزن، بدأت مناطق أولاد نايل تتعرض للانتقام، الغوغائيون تركوا فراغا في مناطقهم، هذا دفع القبائل المتأذية للانتقام. قامت قبائل البوعيش وأولاد خليف وأولاد الشايب ومجاميع من جبل العمور بالهجوم على المناطق الرخوة الضعيفة، ولحق الأذى الآمنين من قبائل أولاد نايل.

وقع توتر كبير في النسيج الاجتماعي سببه هؤلاء الغوغائية، وبدأ الناس يميزون بين أولاد نايل الأغواط، ويقصدون بهم من يدخل في النسيج الاجتماعي، وهم من يسكن الأغواط ومسعد و الشارف و زنينه، وأضحى لفظ أولاد نايل يقصد به قصدا أولاد نايل المنتشرون جنوب المدية.

ما انتهى هؤلاء الغوغائيون من غزواتهم في مناطق المسيلة وما جاورها، وما عادوا وجدوا ما لحق بقبائلهم من أذى، عاودوا الكرة هذه المرة من باب الانتقام، أولاد نايل اعتبروا أن فعل الغوغائية يفترض أن لا ينسب لهم، وأن هذا الفعل البالغ في السوء في إخوانهم ألحق بهم الأذى، واعتبروا أن هؤلاء

الغوغائية، قاموا بفعلهم لأنهم لم يجدوا قوة نظامية تردعهم، وأن هذه الأفعال لم يقم بها مجاميع من أولاد نايل، قام بها آخرون في كل المناطق، استغلوا الفراغ السياسي وغياب الدولة، غوغائية أولاد نايل لما أرادوا معاودة غزو مناطق التل، انتشر فيهم وباء الكوليرا، وأنهى الفصل الأخير من حكايتهم. إلا أن أثرهم هذا بقي لغاية الآن يسكن النفوس، وحتى لا نظلم الناس هذه الحالة من الفوضى عرفتها كل مناطق الجزائر بعد سقوط العاصمة، وأن أولاد نايل تعرضوا لانتقام غير مشروع ومبرر من قبائل الجوار الأرباع وغيرهم، وغاب عن هؤلاء قوله تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ الأنفال : 25.

متى يحاكم الشرفاء الأخيار بما يقترف الساقطون الأشرار، لعلاج ها الخلل تحضر شخصية مؤثرة قدر الله سبحانه وتعالى أن تحضر وتعيد النهر لمجراه الطبيعي، هي شخصية موسى بن حسن، هذه الشخصية حاضرة في تاريخ بني لغواط، ومهما تكلمنا عنها لا نفي حقها. قلنا لما تكلمنا عن سيرته في فصول سابقة[1] أن الحاج موسى بن حسن، دخل الأغواط قبل وبعد سماع سقوط العاصمة الجزائرية أثناء إقامته في مدينة الأغواط، الحاج موسى بن حسن ولد بمصر وبالتحديد في مدينة دمياط، مات والده وهو صغير سنة 1822 ميلادية، يصاب الحاج موسى في صباه بورم في الدماغ، قرر أن يعالج، فأخذ طريقه إلى سوريا ليراجع الأطباء، مكث سنة وقدر الله أن يشفى، ثم أخذ طريقه إلى القسطنطينية، ثم حل بالجزائر دخل مدينة قسنطينة، ثم ذهب لتونس سنة 1826 ميلادية دخل مدينة طرابلس. زار سي محمد بن حمزة

---

[1] راجع تاريخ بني لقواط.

الدفري المدني شيخ الطريقة الشاذلية، سكن عنده وبالتحديد في مدرسة يشرف عليها سيدي مصطفى، قام عليها كاتب الباشا، حولها إلى زاوية.

لما تعرف على موسى بن حسن على شيخ الطريقة، منحه الذكر من يومها انضم موسى بن حسن للطريقة الشاذلية، سنة 1829 ميلادية دخل مدينة الأغواط، وهو يرتدي كما يقول السكان كيس مؤونة، توضع فيه الحبوب يسمى قرارة، هي قماش خشن نسج من الصوف وشعر الماعز، موسى بن حسن رجل ضعيف البنية، دخل مسجد الأحلاف فأذن للصلاة، لجمال صوته اجتمع عليه الناس، فعرفوا مكانته وقيمته. أخذ عنه الأحلاف الذكر ذكر الطريقة الشاذلية شيدوا له زاوية ومنحوه اثنين من أجمل البساتين عندهم، وأضحى له مريدين ظهر من بينهم رجل يسمى سي بلحاج، يمزج عبادته بسلوك وجداني وفيض صوفي، يقوم بحركات غريبة تشد الانتباه، هذا الشخص أضحى المرافق الدائم لموسى بن حسن.

أضحى بيت الحاج موسى في الأغواط مزارا يأتيه القصورية كما يقولون وأهل البادية هذا أثار حفيظة الزاوية التجانية، ووجدوه منافسا لهم في عقر دارهم هنا قرر الشيخ أن يترك المدينة، ويأخذ طريقه نحو مدينة مسعد، وأراد أن يجد له حمية وعصبية عند أولاد نايل، ما دخل مسعد لم يجد الأفراد في انتظاره، وجد النفوس ترقب حضوره، استقبلوه استقبال العظماء، وأدخلوه قصر مسعد أي مدينتهم، وجهزوا له زاوية، وأسكنوه بيتا مرتفعا وأكرموه واعتبروه هبة من السماء.

سنة 1834 ميلادية الحاج موسى انتقل إلى قرية تسمى الخضرة، تقع في جبل السحاري بين زنينه و الشارف، شيد منزلا ومسجدا، وجهر بدعوته. قبائل عبازيز الشارف ينتسبون للولي سيدي عبد العزيز الحاج، حضروا إليه وأعلنوا له الطاعة، والولاء وأخذوا منه الذكر.

الحاج موسى هو الآن في زاويته وبين أنصاره قبائل أولاد نايل، وصلته وفود ورسائل من قبائل الكرابيب، قبائل تسكن مناطق التيطري، يطلبون منه الالتحاق به وإعلان الجهاد ضد فرنسا. لما كثرت الوفود والرسائل كتب لهم هذه الرسالة، لا أمتلك النسخة الأصلية بل أقم بترجمتها : « أيها الإخوة قبل أن نفكر في حرب الرجال وقتالهم، يجب أن نفكر في حرب النفوس وقهرها، لأنها هي العدو الحقيقي المتربص بنا، نحن فقراء لا نملك لا عدة ولا عتادا، لا نملك إلا سلاح العبادة، أتركوا قدر الله ينير طريقنا، ويهدينا سواء السبيل، أما ما أراه الآن سأخبركم وأعرفكم به: إني أرى ريحا عظيمة مقبلة تحمل سحابا يمطر فاكهة من السماء، هي الخير المقبل خيرها وعطاؤها، أن يهزم النصراني ويقهر ويُنصر المسلم وينتصر على عدوه». أراد بكلامه هذا أن يترك النفوس تصفى مما لحقها من كدر لأن الحاج موسى، يراهن على وحدة قبائل الأرباع وأولاد نايل وهذا ما استطاع أن يحققه في زمن قصير يعد بالأيام.

استطاع الشيخ أن يتجاوز فعل الغوغائية من أولاد نايل، والثأر الذي لحقهم من القبائل التي تجاورهم، استطاع بقدرة قادر كما يقول الناس، أن يجمع جيشا من المتخاصمين بدت نواته هكذا : تسعمائة من الدراويش، الدرويش في هذا الزمن له معنى خاص، هو الرجل الصوفي المستعد للتضحية في سبيل الله وكذلك ستمائة فارس هكذا أعاد الوضع إلى مساره الطبيعي.

ظهر حلف الأرباع وبني لغواط وأولاد نايل أكثر قوة، مما كان عليه في السابق ومن بركة هذا الشيخ أن هذا الحلف استعاد قوته، ولم يفتر رغم تعاقب المحن والفتن والدسائس وهو باق إلى يومنا هذا ولله الحمد والمنة، قلنا الحاج موسى جمع ما يمكن جمعه، هؤلاء وإن كانوا أقوياء لهم بسطة في الجسم، إلا أن سلاحهم بالكاد يذكر، أحسنهم يملك بندقية بدائية، وأكثرهم يحمل السيوف أو قطع حديد، ومنهم من يحمل قطع خشب مع ذلك همتهم عالية لدفع عدوهم.

أخبر جنده وفضح مشروع الأمير عبد القادر، وأقسم أن يرد كيد الأمير عبد القادر ويخرج فرنسا ويحرر عاصمة الجزائر، زحف بجيش الأرباع ومن والاه من قبائل أولاد نائل، وأخذ طريق الشمال نحن نتكلم عن مسيرة واقعة بين سنتي 1833 و 1834 ميلادية، ذكرنا في فصول سابقة[1] أن الجيش الأصلي هيأه سابقا وأعده من المريدين من الأغواط، ثم أضاف إليه من لحقه من أولاد نايل الأغواط، ذكرنا أولاد نايل الأغواط والقصور الملحقة بهم ومن أهمها زنينه والشارف ومسعد إلا أن النصرة جاءت للشيخ خاصة من العبازيز هؤلاء موطنهم الأصلي الشارف، وهم تاريخيا لا ينفصلون عن جغرافية بني لغواط لذلك تجد عبازيز الشارف وتجد كذلك عبازيز الأغواط قبيلة العبازيز تنسب لرجل صالح اسمه الشيخ عبد العزيز الحاج، على خلاف ما يحكى عن الأولياء هو متفرد. ساد الناس ليس بخوارقه إنما بكرمه وسخائه وحبه وعطفه على الفقير يقول العوام عبد العزيز الحاج حج على حجرة، وحكايته، أنه أعد العدة ليأتي بفريضة الحج، وأمسك ماله وزاده، وجلس على صخرة ينتظر قدوم قافلة الحج في مكانه، أبصر أرملة مع أبنائها في حالة من الفاقة الشديدة، أشفق عليها

[1] راجع معركة عمورة تاريخ بني لقواط.

وأعطاها مال الحج وزاده، وله حكايات في الكرم، وكيف أنه يجود بماله أيام القحط والجفاف على الضائعين والمحتاجين.

الحاج موسى أراد الجهاد تقدم جيشه، جهز جنده، خلاف عادته ترك حماره وركب حصانا للمعركة، أثناء الطريق والمسير ركب حمارا تواضعا وحتى لا يرفع نفسه، ما وصل منطقة بوغار حتى أضحى له جيش يعتد به، يتكون من 3000 فارس و 2000 مقاتل. الرجال يأتونه من كل مكان، نزل أياما عند قبائل المفاتح، هنا تعرفت عليه قبائل المدية وعرف عندهم أنه محرر الإسلام تكلمنا بالتفصيل عن معركة عمورة في فصل كامل يمكن الرجوع إليه، وكيف تمكن الأمير عبد القادر بالكيد والخيانة أن يحسم المعركة لصالحه. كاد الشيخ أن يجد نهايته إلا أن أربعة أو خمسة من فرسان بني لغواط الأشاوس تمكنوا من إخراجه من المعركة، لجأ إلى جبل موزاية بعد خطوب وأهوال عرفها الشيخ تكلمنا عليها لما أرخنا لسيرته الجهادية.

عاد لمسعد مكث زمنا ثم لامه بني لغواط، لما تركهم وقد وجد عندهم العون والنصرة من أجل ذلك، قرر العودة لأهله وناسه ودخل مدينة الأغواط من جديد، استطاع الأمير عبد القادر بسلطته وتحالفه مع فرنسا، أن يحدث انشقاق بين بني لغواط أنفسهم، وأراد أن يدخل المدينة في حرب بين الأحلاف وأولاد سيرغين إلا أنه فشل، واستطاع أن يحدث انشقاق بين بني لغواط وحلفاؤهم في التاريخ والجغرافيا أولاد نايل، تكلمنا عن الأدوار التي قام بها خليفته سي الشريف بالحرش، الذي تحول خليفة لفرنسا، وكيف نجح في

ضرب النسيج الاجتماعي للمسلمين، وما زلنا نعاني أثاره ليومنا هذا والله المستعان على ما يصفون[1].

ما حلت سنة 1836 ميلادية حتى بسط الأمير نفوذه على أولاد نايل، قسمهم إلى ست فرق وعين لكل فرقة شيخا، هؤلاء الشيوخ يخضعون لشخص يحمل صفة قايد عين سي عبد السلام بن القندوز من أولاد رويني، كأول قايد على أولاد نايل، بعد ذلك تم استبداله بقريب له هو سي الشريف بالحرش، هذا وقع سنة 1838 ميلادية، ثم عينه الأمير خليفة على أولاد نايل، وبعد ذلك عينه كخليفة عام لأولاد نايل. لإفساد مشروع الأمير قام المجاهد يحيى بن معمر بقتل خليفة الأمير على الأغواط سي العربي من أحفاد الحاج عيسى في أحداث ومواقف، تكلمنا عنها في سياقاتها التاريخية، تحرك التلي بالكحل وأعلن التمرد على سي الشريف بالحرش وانضمت فرق أولاد نايل لقبائل الأرباع والصحراء وبايعوا المجاهد الشريف محمد بن عبد الله، حامل راية الدولة العثمانية، كما ذكرنا في السياقات التاريخية.

هكذا استطاع الأمير عبد القادر، أن يحدث الشرخ داخل العائلة الواحدة أولاد نايل الأغواط وأولاد نايل جنوب المدية، بدأ الشرخ يتسع لما زاد نفوذ سي الشريف بالحرش جعل له ثلاثة أغاوات يناوبون عنه، ويبلغون أوامره لقياده. هكذا استطاع الأمير عبد القادر وبوحي من فرنسا أن يقسم أولاد نايل إلى قسمين، أولاد نايل الأغواط وأولاد نايل جنوب المدية وزرع بين الإخوة والعائلة الواحدة بني لغواط وأولاد نايل الشقاق المفضي للعداوة.

---

[1] راجع هذه الحوادث مفصلة تاريخ بني لقواط.

جاءت قاصمة الظهر لما حاصر الأمير عين ماضي، وفَر له خليفته في الجلفة فرسان من أولاد نايل، وجد الأمير منهم العون والمدد في حصار عين ماضي وما لحق أهلها من أذى كبير، هذا حصل سنة 1838 ميلادية، حتى يحسم المعركة العسكرية، زود الأمير فرسانه ببنادق فرنسية جديدة تعرف fusil à Pierre معروفة لغاية الآن تسمى بندقية الأمير، تشبه في تقنيتها البنادق الحديثة على خلاف البنادق التي يمتلكها فرسان القبائل هي بدائية، بنادق الرش أثرها ضعيف ولا يستفاد منها، إلا لما تكون المسافة تقترب من الصفر هذه البنادق حسمت كل المعارك التي خاضتها فرنسا وخاضها عملاؤها، هنا سأتوقف وأكتفي بذكر محطات تاريخية هامة تساعدنا في قراءة الحدث التاريخي القادم لأهميته.

1840 ميلادية أثناء تحركاته وهروبه، الحاج موسى لجأ إلى قبيلة بني حسان قرب المدية، ثم انتقل إلى جبل السحاري ومكث مدة في زاويته بالخضرة سياسة الأمير عبد القادر هيأت الظروف لفرنسا لتبسط سيادتها على المنطقة، وتأتي حادثة طاقين أين تواصل أعيان من الصحراء، ومنهم أحمد بن سالم خليفة الأغواط مع السلطات الفرنسية. حاول التلي بالكحل من أولاد نايل، وهو أغا تابع للأمير عبد القادر، أن ينقذ ما يمكن إنقاذه. لما فهم وعلم بعد فوات الأوان أن سياسة الأمير عبد القادر مقدمة حتمية لبسط فرنسا

نفوذها، وتحول قياد و أغاوات الأمير عملاء لفرنسا، يبسطون نفوذها ويبشرون بقدومها، ثورة التلي لم تنجح، هذه الأحداث العظيمة ذكرنا أهمها سابقا[1].

شهر ديسمبر من سنة 1845 ميلادية، يظهر الأمير عبد القادر وجنوده في هضاب سرسو جنوب ثنية الحد، المارشال بوغود رصد حركته، كلف الجنرال يوسف وقادة آخرين بالقيام بمناورة عسكرية، لقطع الطريق ومنع الأمير من الحركة. استطاع الأمير أن يمرر قواته ويخادع القوات الفرنسية، وصل مكان يسمى كودجيلة قريب من طاقين وتوقف بالضبط عند ضريح سيدي عيسى مول الهدة، شمال جبل الخذيري، ثم انتقل إلى عين وسارة، ثم انتقل وجاور قبائل لحرار قرب تيارت، ثم فجأة يترك مكانه ليقيم عند أولاد علان، قبائل تسكن المدية. استعان بأولاد علان ودون انتظار، قام بغزوات سريعة وخاطفة، غزا أولاد عيسى، غزا قبائل الحدوارة الغرابة، ثم غزا أولاد علي بن داود، ثم غزا قبائل المويدات، ثم غزا أولاد المختار الشراقة، ثم اتخذ له مكانا آمنا في مكان يسمى عقلة الأكفا شرق جبل سنجاس. جاءه من يسكن المنطقة من أولاد نايل وأعلنوا الولاء ونصرة، الأمير فرح بموقفهم وعاهدهم، أن ينصرهم ويبعد الفرنسيين عنهم ثم جاءته وفودا أخرى من أهمها وفد من أولاد مادي من الحضنة، وطلبوا منه أن يلحق بهم.

سمع الأمير مطلبهم وقرر أن يتحرك بجنده ناحيتهم، إلا أنه ظهر على غير المتوقع في جبال جرجرة تقول القيادة الفرنسية، أنها هي من دفعته ليترك مناطقه

---

[1] كلها مفصلة ومرتبة تاريخ بني لقواط، توثق أعمال القائد المجاهد التلي بلكحل ودفاعه هو واخوانه عن مدينة الأغواط، واستشهاد أولاد نايل، تحت أسوار وجدران المدينة يوم اقتحامها وهم يدافعون عن شرف المسلمات، ضد التحالف الصليبي الماسوني المهاجم.

ويتجه ناحية جرجرة، لم يمكث بها طويلا انتقل إلى منطقة تسمى بريان جنوب شرق بوغار، جنوب هذه المنطقة وفي منطقة تسمى لبيوض، هناك قافلة عسكرية فرنسية ترصد حركته. الأمير فاجأ مناطق في التيطري تخضع لسلطة الأغا شورار أغا تابع لفرنسا، هاجمهم الأمير وسلبهم أموالهم وأخذ طريق الجنوب. القافلة الفرنسية المتمركزة في منطقة لبيوض شرعت في عملية مطاردة لتلحق بالأمير وجنده، تمكنت القافلة من اللحاق به، هذا حدث يوم السابع من مارس سنة 1846 ميلادية، وصلته القافلة في منطقة تسمى بريريك جنوب جبل الخذيري. تمكن منه الفرنسيون وقتلوا له مائة وخمسون رجلا منهم ضابط يسمى بن كليخه وأغا يسمى محمد. هنا قرر الأمير الفرار وتجاوز جبل الخذيري ودخل ناحية الزراز، ما اقتحم الهضاب حتى وجد بانتظاره، قافلة عسكرية فرنسية تنتظره عند قدم جبل سنجاس، وقافلة أخرى تحت قيادة الجنرال يوسف، تنتظره عند قلتة السطل.

ضاقت الأرض بما رحبت على الأمير، وعرف أنه يعيش الفصل الأخير من المسرحية تحرك ودخل منطقة اعتقد أن الجغرافيا تحميه هي عنق واقع في جبل السحاري يسمى قايقا، ما وصل هذا المكان حتى أمر بقتل أسيرين فرنسيين هذا الفعل فعله على غير عادته، والظاهر أنه عاش حالة نفسية صعبة، الأسير الأول يسمى لاكوست Lacoste قائد مكتب العرب بمدينة تيارت، والثاني اسمه ليذي Levy مترجم لدى القوات الفرنسية، هذا الأخير أسر في حوادث تعرف بحوادث سيدي إبراهيم. شهد مقتلهم الأهالي وأفرغوا حقدهم فيهم، هذا الفعل اعتبرته القيادة الفرنسية سابقة، وقررت أن تعاقب الأمير، منطقة ريان اجتمعت القافلتان الفرنسيتان تحت قيادة الجنرال يوسف وقد تمكنت من

تحصيل جثة القتيلين، الأمير هو في أيامه الأخيرة يعد الساعات المتبقية راهن أن تنصره قبائل أولاد نايل ومن يجاورها. لما سمعت قبائل أولاد نايل ماذا حصل قربها والفعل الذي أقدم عليه الأمير، وقتل الأسيرين آثرت الهروب وترك المكان لأنها لا تستطيع أن تجاري أفعال الأمير، ولا أن تتحمل تبعات أفعاله.

الجنرال يوسف تقدم دون موانع تذكر ناحية جبل السحاري، عسكر في منطقة تسمى مليليحه عند أولاد بن علية، الأمير عبد القادر تحرك نحو الأمام وترك عنق قايقا، بعد توقف قصير أخذ طريقه نحو مكان يسمى عين الكحلة، هذه المرة هو في عجلة من أمره يتقدم جيشه ويسارع الخطى مع فرسانه. استطاع الجنرال يوسف أن يلحق بالأمير ويمسك مؤخرة الجيش، وهي قافلة تحمل المؤن والمتاع، يوم الثالث عشر مارس استحوذ الجنرال يوسف على قافلة الأمير المتكونة من حوالي ثمانمائة بغل محمول عليها المتاع، وتم الاستيلاء على خيمة الأمير الشخصية ومتاعه الخاص، هذه الأنباء المفزعة ما علمها الأمير وجنده، حتى أحدثت الارتباك بين قادة الأمير وجنده وكذلك فرسانه وظهر أن نهاية الأمير قاب قوسين أو أدنى، حاول الأمير أن يبقي جنده ويثبتهم، إلا أن الواقع أكبر وأقسى على النفوس.

شاهد الأمير جنده وفرسانه وقادته يتفرقون ويتركون المكان، بدأ الأمير ينفض جمعه ويتفرق أنصاره، ما بقي مع الأمير إلا أغا أولاد الشايب اسمه الجديد وكذلك بن عودة من أولاد المختار الأمير تراجع وانسحب إلى فيض البطمة شمال جبل بوكحيل، هنا استطاع أن يجمع بعض فرسان القومية، هذه الفسحة التي تحرك فيها الأمير، سببها أن الجنرال يوسف منح جنده راحة مؤقتة في هذه

الأثناء والأمير يعرف أتعس أيامه، جاءه الفرج من خليفته سي الشريف بالحرش من أولاد رويني يعرفه وليس بالغريب. هذا رجل عارف بجغرافية المنطقة، وعارف بقبائل أولاد نايل، وله رأي ومشورة عندهم، استطاع أن يعيد ترتيب بيت الأمير عبد القادر وزوده بما يحتاج ومكنه من تشكيل قافلة عسكرية، وجمع له بعض الفرسان، كل هذا يحصل في فيض البطمة. بعدما هيأ نفسه خرج الأمير منها ليلا وأخذ طريقه ناحية مسعد، واستغل فرصة غياب قافلة الجنرال يوسف، ثم أخذ طريقه ودخل سيدي مخلوف، يومها هي محطة قوافل ومركز للعبور واقعة على طريق الأغواط.

الأمير ترك سيدي مخلوف ثم أخذ طريقه ناحية جبل عمور، ووصل منطقة تسمى رورفا القيادة الفرنسية ما زالت ترصد حركته، والظاهر أنه يريد أن يصل جبل العمور ليحتمي بغاباتها وجبالها.

لأسباب يعرفها الأمير فقط غير مساره واتجه ناحية تادمايت، وتوقف عند منطقة زكار وصلت القوات الفرنسية قصر زكار لم تجد الأمير، قرر الاختباء في المناطق الصعبة في جبل بوكحيل، لما وصل الجنرال يوسف إلى قصر زكار فرض على السكان إتاوات باهظة، عقابا لهم على استقبال الأمير في قصرهم ولأن الجنرال يوسف بطبعه حقود غزا أولاد سعد بن سالم ثلاث مرات في يوم واحد، بطش بهم وأحدث فيهم مقتلة، نشرت الخوف في مناطق أولاد نايل تحرك الجنرال ناحية مسعد، وأخضع السكان لعقوبات مالية شديدة، إلا أن القتل الأكثر والأذى الأعظم لحق أولاد سعد بن سالم خاصة. الجنرال يوسف رجع لقصر زكار ثم تركه نهائيا، ووصل مدينة البيضاء في جبل عمور، في البيضاء يأتيه شخص يسمى قويدر بن بلخير، أبلغ الجنرال استسلام قبائل

أولاد داية ويخبره أن الأمير عبد القادر الآن وسط قبائل أولاد نايل في منطقة تسمى الكرزة في منطقة الزراز ناحية الغرب، قرر الجنرال أن يتحرك، وأن يهاجم تجمعات أولاد نايل التي يفترض أن يجد فيها الأمير الحماية، حتى يبعد الأمير نفسه من حركة الجنرال، ترك مكانه واتجه ناحية الجنوب.

أراد الجنرال أن يصل منطقة الكرزة مر بمنطقة كريريش، المطاردة جعلت الجنرال يدخل مناطق التل، ويصل مناطق لبيض سيدي الشيخ، والناحية الجنوبية لوهران، واصل الجنرال رحلته ناحية التل تجاوز جبل الخذيري، غزا عبازيز الشارف عقوبة لهم على غزوة قاموا بها ضد قبيلة الربابية، القيادة الفرنسية تعتبرها صديقة. شهر فيفري من سنة 1847 ميلادية الجنرال الفرنسي ماري MAREY قام بحملة عسكرية لدى أولاد نايل ليقف على الأوضاع التي نتجت عن حركة تمرد، قام بها شخص يسمى بومعزة، وصلت قافلته العسكرية ناحية قلتة السطل، إلا أن الثلج وشدة البرد أوقفت حركته، ومع ذلك حرص على تأديب كل القبائل التي تظهر الثورة والعصيان. إلا أن المهمة الأساسية التي جاء من أجلها هي إخراج الحاج موسى بن حسن من مسعد، الذي هو الآن في حالة هروب وفرار، قرر الحاج موسى أن يترك مسعد ويتجه ناحية ميزاب. دخل مدينة متليلي ليلتقي بأنصاره القدماء من أهل الصحراء وبني لغواط خاصة، شهر أفريل من نفس السنة، قام الجنرال يوسف بجولة عسكرية في مناطق أولاد نايل، ليظهر قوة فرنسا وعزمها على قهر أعدائها، وصلت رحلته غاية عين ماضي، انتهى الفصل واستسلم الأمير عبد القادر.

1848 ميلادية قام الجنرال ماري Marey بجولة لدى أولاد نايل، ولم يلاحظ أي فعل غريب، هذه الجولات تقع بعد استسلام الأمير عبد القادر

للقوات الفرنسية بعدما كتب الأمير رسالة طلب من الفرنسيين الأمان سنة 1847 ميلادية، شهر جوان من سنة 1849 ميلادية الجنرال لادميرال عبر منطقة الزراز، لعقاب قبائل منتفضة هي قبائل أولاد فرج، وأولاد الساسي وأولاد خالد.

شهر أكتوبر 1849 ميلادية قام التلي بالكحل بثورته وعصيانه ذكرناه سابقا أراد أن بساند ثورة الزيبان، الملازم قرارد Gruard والضابط كاريس Carrus قاما بحملة عسكرية ناحية الزعفران نواحي الزراز الغربي، شملت حملته العسكرية أولاد سي أحمد وأولاد أم هاني وأولاد سعد بن سالم، هذه الحملة سلبت هذه القبائل أعدادا كبيرة من القطعان، عقابا لهم على تمردهم وخروجهم عن طوع القيادة السياسية والعسكرية الفرنسية. الحاج موسى بن حسن وجد له موقع قدم في متليلي، هو الآن بين المريدين والأنصار يجتمعون حوله.

ظهر له أن يجدد مسعاه الدعوي، وخرج بنظرية جديدة، لماذا لا تجتمع كل الطرق الصوفية المنتشرة في مشروع ومنهج واحد، وأخذ يراسل الشيوخ والعلماء ومقدمي الزوايا ويناشدهم الوحدة، ويدعوهم لنبذ التفرق، ومع ذلك لم يغفل عن نشاطه العسكري. بين الحين والآخر يخص قبائل أولاد نايل بزيارات خاصة، يطلب منهم النصرة بالمال والفرسان، يأتيه الضعفاء والفقراء والضائعين لم يستجب له كبراء القوم والأغنياء خوفا من انتقام فرنسا وأعوانها، لذلك يأتيه بعض الدعم سرا من المحسنين واشترط في جنده أن يكونوا سواء، ولا يميز أحد عن غيره بارتداء برنوس خاص أو حايك هي قطعة من الصوف تنسج يلفها كبير القوم أو يضعها على عاتقه. طلب من المريدين أن يظهروا السمت والتواضع

وأن يظهروا أنهم طلاب آخرة لا دنيا في هذه الأثناء، يأتيه اللوم والعتب من بني لغواط يلومونه، لما تركهم واستبدل بهم غيرهم.

قرر أن يدخل مدينة الأغواط، ما حل بالمدينة حتى وجد كل المدينة في استقباله، تعلن له الطاعة والولاء، استقبله كبار القوم وسادة المدينة وشيوخها، وطلب لقاءه سلطان مدينة الأغواط أحمد بن سالم، لم يأتيه السلطان وحده، جاءه مع كبراء المدينة محملين بالهدايا، فتحوا له أبواب بيوتهم ووضعوا أنفسهم وأموالهم وأولادهم أمامه، مجددين له البيعة والولاء، وهو قد اختبرهم وعرفهم في معركة عمورة. عرف صدقهم وصدق نواياهم وكيف حموه هو وأهله بأنفسهم وافتدوا أسرى بيته من الأمير عبد القادر بالأثمان والأموال العظيمة، لما كان بين بني لغواط شعر ولي الله موسى بن حسن بالعزة والمنعة.

يحصل تغير خطير هو أن سي بوزيان يعد المسلمين لثورة ضد الفرنسيين هذه الثورة ستظهر في التاريخ تحت مسمى ثورة الزعاطشة، لما جاء الخبر الحاج موسى بن حسن نسي ما كان فيه من قوة عسكرية، وعوض أن يستثمره ليخدم مشروعه الجهادي، جاء في نفسه وهذا اجتهاد منه أنه قبل أن يشرع في الجهاد عليه أن يوحد الطرق الصوفية المنتشرة في الصحراء، وفق المشروع الذي بشر وراسل به كبار القوم في الصحراء. الحاج موسى يرى أن نواة هذا التجمع، تبدأ بجمع الطريقة الرحمانية المنتشرة جنوب الصحراء على كلمة سواء، وفوض شخص له نفوذ صوفي متواجد بمنطقة أولاد جلال قرب بسكرة هو الشيخ سي المختار، هذا الأخير لما وصلته رسالة الحاج موسى، رد على رسالته قائلا : « أنت لا تعلم ما قضى فيك الله وقدر، علمت خبرك وطلبك قبل أن تبعث لي وتراسلي، لقد رأيت رؤية جاءني النبي محمد صلى الله عليه وسلم وجاءني

جبريل وأخبراني أن المسلمين سيهزمون لا محالة في الزعاطشة، وأنك أنت وبوزيان ميتان لا محالة ».

سي المختار لم يكتفي بذاك، بل راسل مقدمي الزوايا عند أولاد نايل، وحذرهم من الدخول في حرب مع فرنسا، لأن الله ناصرها وكتب لهم قائلا : « الله وحده العالم وليس ضعاف الأيادي من بني البشر بحقيقة النصارى ».

الحاج موسى لم يعبأ بهذه التطورات، وقرر أن ينتصر ويلبي دعوة سي بوزيان، تتواتر الروايات أن الحاج موسى جاءه النبي عليه الصلاة والسلام في رؤية صالحة، وأمره أن ينصر سي بوزيان ويثأر لإخوانه من بني لغواط وأولاد نايل، الذين سقطوا في معركة عمورة.

ترك مدينة الأغواط وذهب مسرعا لمدينة مسعد، لما أراد الخروج من مسعد لم يتبعه إلا نفر قليل من الناس، بالكاد يتجاوز الثمانون فارسا، الظاهر أن سي المختار ونبوءاته المستقبلية، أقنعت الناس أن النبوءة جاءت للشيخ من قبل نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام. دخل الحاج موسى الزعاطشة، قاتل هو وأتباعه قتالا عظيما، تكلمنا عنه في سياقاته التاريخية، حسمت المعركة لصالح فرنسا وأعوانها لما سقطا الشهيدين متجاورين وهما يدافعان عن بيت قامت فرنسا بنسفه، هكذا جاءت نهاية الحاج موسى بن حسن الدرقاوي وسي بوزيان في ملحمة عظيمة، كتبت حروفها بماء الذهب كما يقول العرب.

لما كنت بصدد جمع مادة هذا الكتاب، أحد الإخوة وجد وثيقة تاريخية أخذها من الأرشيف الفرنسي، تعود لمعركة الزعاطشة، وتتكلم عن بعض الأسرى

الذين نقلوا لجزيرة مارغريت ووضعوا في سجنها، وأن بعضهم تمكن من الهرب جاءت على شكل ملخص مكتوب باللغة العربية، هذا نصه حافظت على لغته كما هي: « **ان مولاي محمد ومحمد بن اسماعيل قاضيا كان ومحمد كزواي أمين بني الأغواط كان ومحمد الشنة كانوا هؤلاء الأربعة هربوا في آخر الشهر الماضي من سجن جزيرة مارغريت بفرانسة طالبين الفرار فأدركوا منهما الأولان حينا وما كزواي وأخيه المذكور دخلوا غابة هناك ولما أرادوا الدفع عن أنفسهم بأسلحة كانت بأيديهم ضربوا أصحاب العسة كزواي بالرصاص فقتل حينا ثم عادوا بالشنة إلى السجن وان كان لنا تحقق بخيبة سعيهم في الفرار حرضنا عسة السجن عن المبالات بمثل هذه** »

يضاف للتقرير الملخص المرسل لقنصلية الأغواط، تقرير مفصل من صفحتين يذكر الحادثة بكل التفاصيل، مكتوب باللغة الفرنسية بخط اليد، عنوانه قنصلية الجمهورية الفرنسية نيس ـ مدينة فرنسية ـ تاريخ الارسال 28 شهر جويلية 1850 ميلادية على الساعة التاسعة صباحا.

نذكر أن ثورة الزعاطشة وهي واحة نخل تقع ضواحي بسكرة في الجنوب الجزائري، قادها الشيخ أحمد بوزيان، دامت أربعة أشهر من 16 جويلية حتى 26 نوفمبر سنة 1849 أبادت فرنسا سكان الواحة وتعدادهم 13000 ونذكر كذلك، أن اقتحام مدينة الأغواط من قبل التحالف الصليبي الماسوني تاريخه 4 ديسمبر 1852 ميلادية، هذا يساعدنا على فهم العلاقة، بين ثورة الزعاطشة والأسر وختامها اقتحام الأغواط.

نعود الآن لأولاد نايل وأخبارهم، شهر ديسمبر 1849 ميلادية الجنرال دوماس Daumas عند أولاد عامر بن فرج، في رحلته هذه تجاوز جبل السحاري جمع

بين أولاد داية وأولاد فرج ليقفوا ضد أولاد عامر المناوئين للسلطة الفرنسية لغاية الآن نحن نتكلم عن تاريخ أولاد نايل القديم والحديث في سياق زمني محصور بين قبل وبعد سقوط الدولة الجزائرية، سقوط عاصمتها. سنة 1849 ميلادية سنة فارقة، منها يبدأ تاريخ جديد لأولاد نايل، لم يكتبه أولاد نايل بحريتهم وإرادتهم، وإنما كتبه ذوي السلطان الأكبر في زمانهم، المالكين لسلطة القرار في العالم، وأقصد به التحالف الصليبي الماسوني. لذلك ما نكتبه الآن لا يلحق بالضرورة بقبائل أولاد نايل، لأن مخطط التحالف الصليبي الماسوني هدفه إنهاء حكاية هذه الأمة الكبيرة أمة أولاد نايل، وتحويلها إلى أشتات مبعثرة بين الصحراء والتل.

المسار الجديد يبدأ مع سنة 1850 ميلادية استطاعت فرنسا أن تصطاد من أولاد نايل شخص سيحدث انقلابا وتغييرات في بناء الحدث التاريخي، هذا الشخص يسمى سي الشريف بالحرش تمكنت منه فرنسا لما تزوج فتاة اسبانية جميلة، تسمى مادلين أولاس Aolès Madelena هذه الجميلة لم تسقط من السماء على سي بالحرش جاءته هدية من قبل الأمير عبد القادر، لما كان سي بالحرش عاملا لديه، وقبل أن يهدي الأمير الجميلة لصديقه منحها اسما عربيا هو فاطمة العلجة، ولمن لا يعرف العامية العلجة تعني الأمة الجميلة شديدة البياض أما Madelena هي نوع من الحلوى، يذوب ما تلامسه الشفاه. سي الشريف بقي وفيا للأمير عبد لقادر حتى آخر يوم، ولما طلب الأمير الأمان من فرنسا، فعل سي بالحرش كما فعل غيره حول ولاءه ونصرته لفرنسا. سي الشريف سكن المدية، وينتقل بينها وبين مناطق بوغار هو وعائلته، ثم وطد علاقته مع باشا أغا التيطري بن يحيى. هذا الأخير قدمه للفرنسيين، وأظهر لهم

مكانته وما هو الدور الذي يمكن أن يقوم به في توحيد أولاد نايل، لخدمة مشروع فرنسا.

الرأي عند الفرنسيين أن أولاد نايل لا يخضعون إلا بوجود رجل قوي، له نفوذ وكلمة مسموعة يقنعهم أن حياتهم لا تكون إلا بالاندماج في المشروع الفرنسي هذا الرجل له خصائص تؤهله يفتقدها غيره، أولا هو في قومه شريف، وهو رجل حرب لما يُسأل يعرف نفسه بأنه رجل البارود، ويعتز بأنه في يوم ما كان خليفة للأمير عبد القادر. وافق شن طبقة كما يقول المثل العربي، لذلك المشروع الفرنسي، أن يكون سي الشريف بالحرش خليفة أولاد نايل، ويعطيهم استقلالية مع القضاء على الهاجس الذي أرق فرنسا وأعوانها، وهو القضاء وبشكل نهائي وإلى يوم الدين، عما يعرف بأولاد نايل الأغواط وتشكيل قوة بشرية تُدفع في يوم ما لقتال بني لغواط وقبائل الصحراء، وفق حكمة فرق تسد من أجل ذلك، تم تعيين سي الشريف بالحرش أغا أولاد نايل. المرسوم حدد بوضوح القبائل التي تنضوي تحت سيادته وهي: أولاد سي أحمد، أولاد رويني، أولاد أم هاني، أولاد سيدي عيسى العابد، عبازيز الشارف، أولاد داية، أولاد يحيى بن سالم، وقصور أولاد نايل المعروفة، هذه القبائل تحت سلطان الأغواط قبل وبعد الاحتلال، اعتبر بني لغواط تعيين سي الشريف إعلان حرب من قبل فرنسا وأعوانها واعتبروا أنه مشروع صليبي يجب التصدي له، هذا كان موقف أولاد نايل كذلك.

اعتبر حكماء وأشراف وأهل الرأي والحكمة من أولاد نايل ومن جاورهم، أنهم أمام منعرج إن تم التسليم به سيقضي وينهي النسيج الاجتماعي الذي تعايش فيه المسلمون من أجل هذا القرار قرر بني لغواط بما فيهم أولاد نايل الأغواط

إعلان العصيان والتمرد على السلطة الفرنسية، اعتبروا قبول أحمد بن سالم سلطان الأغواط يومها هذا الواقع الجديد خيانة منه. أعلن أخ أحمد بن سالم يحيى بن معمر وقريبه ناصر بن شهرة العصيان، يومها ناصر بن شهرة هو أغا الأرباع، قرر أن الحرازلية والحجاج غير معنيين بهذا التقسيم، وأن أحمد بن سالم عدو، وأنهم يبايعون سلطان ورقلة محمد بن عبد الله حامل راية الدولة العثمانية وناصر سلطانها، واعتبروا أن من يمثل أولاد نايل ويحق له أن يرفع رايتهم هو المجاهد التلي بالكحل، ولا يوجد غيره، هكذا حصل اصطفاف من هو مع المشروع الفرنسي ومن هو ضده، هذا هو عقد الجهاد الذي تم التوافق عليه.

قرر ناصر بن شهرة هو وجنده السير واللحاق بسلطان ورقلة، وحتى يثبت نيته وفعله قبل أن يترك الأغواط هاجم قطعان لأحمد بن سالم، واعتبرها غنائم مشروعة له، أراد بفعله هذا أن يرسل رسالة واضحة لا تحتاج تأويل قبل خروجه من مدينة الأغواط، أنه من الآن يصنف الناس صنفين معنا كان من كان، وضدنا كان من كان، ولو كان أحمد بن سالم قريب النسب والقبيلة. بداية أخذ ناصر بن شهرة طريقه ناحية تقرت خرج من الأغواط ومعه معادلته، من حالف فرنسا ودخل مشروع سي الشريف بالحرش عدو ومن خالفه ووقف ضده صديق وحليف، قرر أن يعاقب كل من سولت له نفسه إقحام نفسه في هذا المشروع الخطير، وقرر أن يغزو القبائل الخائنة.

هنا يجب أن نتوقف لنظهر شيء في غاية الأهمية، ابن ناصر لما يقدم على غزو قبيلة لا يعنيها بالعموم، هو يغزو من دخل في مشروع سي الشريف بالحرش يمتلك نظام عرف في زمانه بنظام الشوافين نسميه الآن نظام التجسس

والتحسس، داخل كل قبيلة يحصل فيها الفرز ويعرف من الصادق ومن الكاذب. لذلك لما نذكر قبيلة غزاها لا تذكر بالمطلق بل تذكر بالنسبي، كما يقول الفلاسفة، ناصر بن شهرة غزا أولاد مولات، وغزا أولاد الساسي، ولأنه وجنده من الأرباع وأولاد نايل في حالة غضب، السبب ما وقع للحاج موسى بن حسن و سي بوزيان، سار حتى وصل حدود تونس، ثم قام بغزوة سريعة وخاطفة، انتقم وثأر من كل من مد يد العون وساعد على قتل الولي الصالح الحاج موسى، وساهم في مقتلة معركة واحة الزعاطشة.

أراد أن يقضي على مشروع سي الشريف بالحرش في مهده، غزا قبيلة أولاد سعد بن سالم وسلبهم أكثر من ألفين من الجمال، هؤلاء مضاربهم قرب زنينه وقتل منهم رؤوس عدهم من رؤوس الفتنة والخيانة في هذا الوقت، بعض بني ميزاب خالفوا عشيرتهم واستجابوا للخيانة والتحقوا كقياد وعاملين عند فرنسا ترصدهم وهاجم قوافلهم مع العلم كما ذكرنا في السياق التاريخي أن بني ميزاب كانوا دوما مع ثورة محمد بن عبد الله. غزا قصر أوماش واقع جنوب بسكرة دخله وأدب وعاقب المتعاونين مع فرنسا في كل هذه المعارك وغيرها. هذه الأحداث أقلقت السلطات العسكرية والسياسية الفرنسية، أمرت سي الشريف بالحرش، أن يخرج لقتال ناصر بن شهرة، الرجل استجاب للأمر وأمر أن تكون قواته من أولاد نايل، هدف فرنسا أن توقع الحرب بين أولاد نايل والأرباع لتزرع الحقد والكراهية والثأر في النفوس.

سي الشريف بالحرش جمع جيشا معتبرا شكله من 500 فارس و 2500 مقاتل فرح بهذه المهمة لأن له ثأر مع قبائل الأرباع، مشروعه أن يوقع الأرباع وأولاد نايل في فتنة داخلية، وحتى يحقق ذلك بشكل أكيد، انتقم من الناس البسطاء

الآمنين وفعله سنذكره الآن: انتقل بداية إلى مدينة القرارة هذه المنطقة هي منطقة الشبكة المعروفة، تأتيها قبائل الأرباع وأولاد نايل، تنزل بها شتاء ولأن الشبكة ماء وكلأ، يقع بين النازلين أحيانا تنافس وسوء تفاهم، وخاصة أيام الجفاف والقحط، هذه المشاكل العقلاء يذللونها ويضعوا لها الحلول، هو أراد أن يعزف على هذا الوتر، وإن كانت الفتنة نائمة هم من يوقظها على حين غرة ودون أسباب غزا الحارزلية وقتل منهم أربعين، ثم غزا الحجاج وقتل منهم خمسة وعشرين رجلا، سلب القبيلتين أعداد معتبرة من الجمال. لم يكتفي بفعله هذا سنة 1851 ميلادية سي الشريف بالحرش غزا الحرازلية وقبائل الحجاج مكن الفرنسيين منهم هذا دفع الحجاج والحرازلية طلب الأمان أي الاستسلام لفرنسا والقبول بالضرائب والتعويضات التي يجب أن يؤدوها تكفيرا عن عصيانهم، وعدم قبولهم بالحكم الفرنسي. هذا وقع سنة 1853 ميلادية بعد هذه الوقائع وأخرى لم نذكرها ذكرناها في فصول سابقة[1]، قررت فرنسا أن ترفع مكانة سي الشريف بالحرش، تم تعينه في رتبة باشا أغا أولاد نايل جنوب الجزائر العاصمة، وأبقت له رتبة خليفة أولاد نايل التي منحها له الأمير عبد القادر.

وحتى يستطيع سي الشريف أن يقوم بوظائفه الأمنية والعسكرية، الجنرال لاديرال شيد له بيت قيادة في منطقة تسمى الحمام، واقعة عند قدم جبل سنجاس، أضحى هذا المكان برج مراقبة يراقب تحركات أولاد نايل في منطقة الزراز الشرقي. 1852 ميلادية باشا أغا سي بالحرش كلف من قبل القيادة العسكرية الفرنسية بالتدخل السريع والقضاء على ثورة بني لغواط، وجاءه

[1] راجع تاريخ بني لقواط.

الأمر صريحا مطاردة محمد بن عبد الله والقضاء عليه وعلى أتباعه وفي مقدمتهم ناصر بن شهرة.

تحرك سي الشريف ناحية ميزاب وبالتحديد عند متليلي، اقتحم بقواته معسكر محمد بن عبد الله، إلا أن بني لغواط وحلفاؤهم أوقعوه في مصيدة قاتلة. لما بدأ سي الشريف معركته بالهجوم، قوات القومية في عسكره التابعة لقبائل الأرباع وجبال العمور غدروا به وأوقعوا فيه مقتلة، إلا أنه استطاع النجاة. بعد هذا الإخفاق الكبير شكل الجنرال لادميرال قوة حماية تمنع سقوط مدينة الأغواط والسيطرة عليها من قبل قوات محمد بن عبد الله، هذه القوة وضعت في وضعية قتال في قصر الحيران، شهر سبتمبر 1852 ميلادية قرر الجنرال يوسف بناء بيت قيادة لسي الشريف حتى يمارس كل سلطاته وتؤمن وجوده حيث يكون واقع تحت الحماية الفرنسية المباشرة[1].

بيت القيادة شيد عند المخرج ناحية الجنوب من عنق واد ملاح، مركز تواجد أولاد نايل عملية البناء احتاجت أربعين يوما، هذه التدابير التي هيأها سي الشريف لفرنسا مكنت فرنسا من عزل أولاد نايل عن نصرة إخوانهم بني لغواط، هذا يضاف للجهد العظيم الذي قام به الأغا حمزة، لما حشد قبائل لبيض سيدي الشيخ. استطاعت فرنسا في شهر ديسمبر من نفس السنة اجتياح مدينة الأغواط وإبادة أهلها، أرادت القيادة العسكرية الفرنسية، أن تنشئ مدينة جديدة تخلف مدينة الأغواط في منطقة كان فيها ملحق عسكري

[1] وصف البيت وذكر الحياة الخاصة لسي الشريف، وعلاقته بفرنسا موثقة بالتفاصيل من قبل فارمنتان لما زاره، راجع بالتفصيل كتاب صيف في الصحراء ترجمة المؤلف.

كلف قائد فرنسي بإدارتها على عجل، تمت إضافة بعض المساكن القليلة للأهالي وعرف الناس من يومها مدينة جديدة تسمى الجلفة.

تأسيس المدينة حصل مباشرة بعد سقوط مدينة الأغواط، سقوط مدينة الأغواط أثار غضب أولاد نايل الشرفاء، وغضبوا لما لحق إخوانهم، قامت ثورة أولاد طعبه هم أولاد نايل، هم فرقة من أولاد سعد بن سالم، سنة 1853 ميلادية القائد العسكري لمدينة بوسعادة بين Pein أثناء عودته لمدينة الأغواط، باغت أولاد طعبه وأوقع فيهم مقتلة كبيرة في نفس السنة، سي الشريف بالحرش انتقل إلى وسط الصحراء، لينتقم من محمد بن عبد الله حرب سي الشريف كانت على فرسان الأرباع خاصة، غايته أن يبعدهم عن محمد بن عبد الله، ويدفعهم لكي يطالبوا بالأمان ويستسلموا لفرنسا، هذا جعل محمد بن عبد الله، يطالب النصرة والعون من قبائل أولاد نايل ضد هذا المتمرد على العرف والدين، المسمى سي الشريف بالحرش.

شعر محمد بن عبد الله بالإحراج والألم، وهو يشاهد الأخ يقاتل أخاه، هذا تكلمنا عليها بالتفصيل وسميناها حرب البرانس، استطاع سي الشريف أن يشكل نواة قوة صلبة تدعم فرنسا، حتى نستدل على صدق كلامنا نكتفي بترجمة لحفيده و من أراد الترجمة كاملة:

كتب الأدب والتراجم[1] تكلمنا **عن ابن من أبناء سي الشريف بالحرش** بن الشريف محمد بن سي أحمد، ولد في 17 من شهر فيفري سنة 1879 هو من

---

[1] راجع قاموس الأدباء المغاربة. Dictionnaire des écrivains marocains
Auteur : Salim Jay

أولاد سيدي أحمد سكن هو وعائلته الهضاب العليا وسط الجزائر وبالتحديد في المنطقة المعروفة الآن بالجلفة وهي حديثة النشأة. يعتبر كأول جزائري كتب باللغة الفرنسية جده هو سي الشريف، خدم الأمير عبد القادر فكان خليفة له على أولاد نايل، بعد هزائم الأمير واستسلامه خدم فرنسا، وكان خليفة لها وقاتل تحت رايتها. بقيت عائلته خادمة للمشروع الفرنسي، وخاصة ما تعلق بالشق العسكري والأخطر هو الثقافي، هذا الفعل أكده واقعا وفعلا، بن الشريف محمد بن سي أحمد الذي نحن بصدد ذكره، درس في ثانوية العاصمة الجزائر تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1898، ثم التحق بمدرسة عسكرية هي مدرسة القديس سير Saint-Cyr حضي برتبة ملازم. بدأ حياته العسكرية في فوج الفرسان العامل في الصحراء، وعمل بالتحديد في القوات المعروفة السبايسية البعض يسميهم الصبايحية، هم جزائريون مسلمون لهم مهام أمنية وقتالية، يخلفون القوات الفرنسية الرسمية في مواجهة الأهالي والتصدي لتمردهم وثوراتهم، بعد ذلك منحته السلطات الفرنسية صفة قايد جعل حياته نصرة للمشروع الفرنسي، لم يكتفي بوظيفته قايد جعل من نفسه مثلا يحتذي به الآخرون، كان في قومه قدوة وأسوة ومثلا يضرب في الوفاء والإخلاص، لم يكتفي بالكتابة الأدبية بل جعل نفسه فداء لفرنسا من أجل ذلك تقدم الصفوف ووقف في الجبهات الأولى ونازل أعداء فرنسا، خاض معركة فرنسا ضد المسلمين المغاربة هذا حدث سنة 1908. ما اندلعت الحرب العالمية الأولى حتى تطوع مقاتلا مدافعا عن الحمى الفرنسي، ولأنه كان في الجبهة الأمامية أسرته القوات الألمانية، حمل مع الأسرى لألمانيا، ثم حمل بعد ذلك إلى سويسرا وبقي وفيا لفرنسا مخلصا. لم يهادن الألمان ما انتهت الحرب حتى عاد للجزائر، شهر ماي 1918 تمت ترقيته لرتبة نقيب capitaine وعاد لمنصبه

الأول قايد لعرش أولاد سي أحمد، لم يهنأ طويلا بمنصبه القديم الجديد، مات في وباء التيفيس typhus في مدينة الجلفة سنة 1921 مات مع أعداد هائلة من قومه منهم من مات بالمجاعة ومنهم من مات بالوباء. ما يهم هو كتابه في المدن الإسلامية المقدسة Aux villes saintes de l'Islam، هو من أدب الرحلة تكلم فيه عن رحلته لحج بيت الله الحرام، ترجمت لحياته لغرابة فعله يستبيح رقاب أهله وناسه ويُعز عدوهم، ولما يحج يذكر رحلته رحلة الإيمان والتقوى، والله وحده العالم بخلقه، يعتبر ممن أول ما أُلف في الأدب الذي مجد الاحتلال الفرنسي.

جاءت نهاية سي الشريف بالحرش مأساوية عبر عنها أ . مونجان في كتابه معلومات حول تاريخ الأغواط بقوله: « لما قرر الجنرال يوسف السير ناحية الشمال، الولي سي محمد وضع معسكرة في تادمايت ونادى أولاد نايل ليأتوه وخاصة القبائل التي تسكن زنينه والشارف، وبدأ أولاد نايل في الحضور، تلبية لدعوته إلا أن الباشا آغا سي الشريف بالحرش طارد الثوار، وأراد قطع الطريق عليهم، إلا أن الثوار أوقعوه في كمين وقتلوه، إنها خسارة عظيمة لنا منذ اليوم الذي أعلن فيه سي الشريف الطاعة لفرنسا هو الرجل الشجاع المقدام الهمام أخوه الصغير سي بلقاسم بالحرش حل محله[1]. »

عائلة بالحرش لها مكانة خاصة عند الصوفية، وظهرت وسائط وأدوات تبشر بنفوذها وتعطيها مكانة خاصة، والظاهر أن التحالف الماسوني الصليبي مهندس الاحتلال الفرنسي للجزائر كانت له نظرية مستقبلية تماثل نظرته في المشرق العربي، وهو بناء دويلات وهمية وكيانات كاذبة، وراهن هذا التحالف على العصبية القبلية الخاضعة للسلطة الدينية مخبر المحافل الماسونية، أراد أن يجمع

[1] معلومات حول تاريخ الأغواط أ . أونجان ترجمة كزواي الحاج العرابي.

أشتات من البشر على شكل قبائل مصطنعة وطارئة على التاريخ، وأحسن مثال يضرب في المنطقة المغاربية والجزائر خاصة قبائل أولاد نائل وينتظرون اللحظة التاريخية الموافقة لتقسيم الجزائر فتظهر، هذه الكيانات كدول وأحسنها ما نشاهده الآن في دول تسمى الامارات المتحدة والكويت وقطر ولأن المخبر هو قصر السلطان المغربي، هو يحب الكيانات الدينية على شاكلته، حيث يكون هو الرأس المدبر وتكون نظرية الشريف والوضيع معادلة الحياة السياسية إلا أن وعي المسلمين، أبطل هذا التدبير، ونهض من عائلة بالحرش، وهي من العائلات الكريمة الفاضلة المعروفة بعلمها وكرمها، وما وقع فيها هو الاستثناء، وهي عامرة بالفضلاء وغيرها من العائلات الكريمة التصدي لهذا المشروع، وحجتهم قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ المدثر الآية: 63 هذا الكلام نفهمه بعد قراءة لنصوص سأعرضها كشاهد على ما افترضناه وذكرناه.

منذ الزحف الأسود للدولة الفاطمية وبعدها قدوم القرامطة، وزحفهم على المغرب العربي المسمى كذبا وزورا زحف القبائل الهلالية، حاول الدجالون صناعة هيكل يسمى ضريح سيدي خالد في أولاد جلال، وهناك سرداب ينسب إليه، تيمنا بسرداب المهدي مهدي الشيعة المجوس، وقرب سيدي خالد يوجد ضريح حيزية. يقولون أن سيدي خالد نبي وكتب الصوفية، ومنها كتاب سلسلة الأصول، ولأنه دجال مثلهم، هو يحتفي بهذا النبي المزعوم في الصفحة 47 نقرأ هذا العنوان:« أنظر المنظومات التي قيلت في النبي سيدي خالد العبسي عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام».

نعود لربط الأحداث سي المختار لما أراد المسلمون اعلان النفير، ونصرة أخوتهم في واحة الزعاطشة ويومها كان سيدي موسى بن حسن المجاهد، يجمع الناس وجاءه المسلمون من الأرباع ومسعد والأغواط، ولأن الزاوية الرحمانية كان لها

نفوذ روحي رهيب على أولاد نايل الحاج موسى، راسل سي المختار، وهو شخصية لها ثقافة خرافية نافذة النصرة والدعوة للجهاد، أرسل له رسالة، سنعيد ذكرها في سياقات قادمة وجاءه الرد هكذا: « أنت لا تعلم ما قضى فيك الله وقدر، علمت خبرك وطلبك قبل أن تبعث لي وتراسلي لقد رأيت رؤية جاءني النبي محمد صلى الله عليه وسلم وجاءني جبريل، وأخبراني أن المسلمين سيهزمون لا محالة في الزعاطشة، وأنك أنت و بوزيان ميتان لا محالة ».
سي المختار لم يكتفي بذاك، بل راسل مقدمي الزوايا عند أولاد نايل، وحذرهم من الدخول في حرب مع فرنسا، لأن الله ناصرها وكتب لهم قائلا : « الله وحده العالم وليس ضعاف الأيادي من بني البشر بحقيقة النصارى »[1].
هلك سي المختار سنة 1276 هجرية سنة 1859 و 1860 ميلادية.
نقرأ في تعطير الأكوان: « بعد ذلك بثلاث سنوات، جاور ربه بها سقى الله قبره طيب الرحمات بالبكرات والعشيات، آمين يوم الأربعاء على الساعة الثامنة صباحا عام 1276 ستة وسبعين بعد المائتين وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف، سيدنا محمد ذي الشرف العالي، والقدر الرفيع المتعالي، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وعلينا معهم وسائر أتباعه من أمته».

النجاح الذي حققه سي المختار سببه نجاح مشروع الأمير عبد القادر، لما فرق بين المسلمين بداية بين الأحلاف وأولاد سيرقين داخل قصر الأغواط، ثم أخرج أولاد نايل الأغواط من سلطة أحمد بن سالم سلطان المدينة، وجعل

[1] هذا الدجال الماسوني سنذكره في حوادث قادمة، وقد ذكرته في كتابي تاريخ بني لقواط.

عليهم الشريف بالحرش سي المختار هذا له ذكر في كتاب عنوانه: كتاب تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان يظهر أن المؤلف هو ابن سي المختار يعرف نفسه: « لمؤلفه العالم العامل العارف الشيخ سيدي محمد الصغير نجل صاحب الأسرار الشيخ سيدي المختار الشريف الحسني أدام الله بهجته وحرس للأنام مهجته بسيدنا محمد و آله وكل وارث لفعلهم وقالهم طبع بالمطبعة الثعالبية لصاحبها أحمد بن مراد التركي وأخيه بالجزائر سنة 1334 هجرية ـ 1916 ميلادية يعرف كتابه: فجاء بحمد الله كتابا حافلا، بجمع ما فيه كفيا كافلا والله سبحانه وتعالى أسأل، وعليه في كل الأمور في سائر الدهور المعول، أن ينفع به من تلقاه بقلب سليم من اخواننا أهل الاعتقاد والذوق السليم».

نقرأ في كتاب تعطير الأكوان تحت عنوان: « طرفة المحب وتحفة الحب في ذكر نسب أستاذ أساتذتنا السرى الماجد القطب الأوحد، والغوث الفرد الأمجد العارف بالله تعالى الشيخ سيدي ومولاي المختار الوالد، وبعض ما كان عليه وولادته وبعض القصائد المنسوبة نسبة تحقيق إليه، وبعض مكاتباته».

يعرف به يقول: « هو الأستاذ، العمدة الملاذ، مجمع البحرين شريعة وحقيقة وجامع الأمرين سلوكا وتسليكا للخليقة، القطب الجامع، الغيث المدرار الهامع الشيخ سيدي المختار بن العارف كريم الأعراق، طبيب النفس والأخلاق، ذي النسب الشريف والقدر العالي المنيف، نادرة الزمان سيدي ومولاي عبد الرحمن، ابن الأستاذ الجانب الأحمد العارف سيدي محمد، نجل خلاصة العرفان، الشيخ سيدي عبد الرحمن، ابن الغوث الذي لا يكاد يوصف، الفرد الشيخ سيدي يوسف، صاحب القبة، الحائز لشرف المكان والنسبة، ابن كريم المحتد من عدنان، الولي سيدي عبد الرحمن، المدفون بجوار ضريح نبي

الله سيدي خالد بن سنان، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام ما تعاقب الملوان».

تعرفنا على شيخ والمدرسة التي أخذ منها علمه ونترك كاتب سلسلة الأصول يعرفنا بنسب السيد شريف بن الأحرش يقول: « وأما نسبه فهو السيد الشريف بن الأحرش بن القندوز بن الأحرش ابن أحمد بن الغربي بن الغويني بن محمد بن عبد الرحمان بن سالم بن مليك بن نائل».

ونترك كاتب سلسلة الأصول يعرفنا بأبناء السيد شريف بن الأحرش يقول:

« أقول وقد أثمر من غصن واحد وهو الفاضل الممجد الدرة اليتيمة والعترة الفخيمة السيد أحمد بن الشريف بن الأحرش فسار بسير والده ونهج نهجه فكان فاضلا كاملا جامعا لشتات الفضائل والفواضل وقد جمع الله له بين الدنيا والآخرة وصارت تفد له الركبان بمحله المزخرف بعين معبد وطار صيته في الأنام إلى أن قبضه الله إليه في سنة 1921 مسيحية وخلف فروعا فخاما وسادات كراما منهم الآن رئيس عائلتهم ومؤسس أمورهم حميد المكارم رفيع الهمة ذو الأخلاق الطيبة محمود الشمائل الهمام الهزبري السيد الشريف بن سي أحمد آغا السحاري وأولاد سي محمد وصنوه المبجل القائد السيد علي وصنوه المكرم القائد السيد أبو بكر وصنوه العلامة المبجل السيد الحاج المختار باش عدل محكمة الجلفة وشقيقه السيد المبروك الكاتب بأمور عرب الجلفة[1] ولهم إخوة كرام وسادات فخام وممن فاز وامتاز بالفضل شقيق السيد الشريف بن الأحرش

[1] مكتب العرب Bureaux arabes تعرفه Wikipédia: هو نظام إداري وضعته السلطة الفرنسية بعد احتلال الجزائر سنة 1830 وبدأ في الخدمة سنة 1844 هدفه جمع المعلومات ووضع سياسة تمكن من إخضاع الأهالي. هذا تعربف أوكتيبيديا أي أنه وكر للجواسيس العاملين تحت سلطة الاحتلال.

المذكور هو السيد ابن القاسم ابن الأحرش1 فكان عارفا كاملا عالما شهما شجاعا ذا حلم ورئاسة ومكانة حميد السيرة جميل الآثار ونال أيضا من الدولة مزية الاحترام باش آغا وبقي حائزا قصب السبق في غاية الاحترام إلى أن قبضه الله إليه في سنة 1310 هجرية وقد أثمر فضائل عديدة ومزايا مديدة ونال من الدولة مثل ما نال والده رتبة باش آغا وسار بسير سلفه الصالح من اطعام الطعام والأمر بالمعروف حتى صار محله بالمعلبة بمنزلة الزوايا العظام وبقي على فعل الخير إلى أن قبضه الله إليه في سنة 1920 مسيحية وقد خلف أولادا كراما وسادات فخاما منهم الآن رئيس عائلتهم ومؤسس أمورهم الشهم الغيور الوجيه السري السيد أحمد آغا أولاد نايل وصنوه المحترم المبجل القائد السيد ابن الأحرش وصنوه المبجل السيد الشريف النائب البلدي وممن شارك في الفضل والأخذ للطريق الخلوتية على الأستاذ السيد المختار بن عبد الرحمان[2] ابن عمهم الفاضل الأجل السيد عبد السلام ابن القندوز فكان هماما ماجدا كريما شجاعا ذا مروءة تامة ومحبة في الصالحين عامة ونجله الآن شبيه الحمد ذو الجناب

---

[1] المجرم السفاح استباح دماء أهل الاسلام عمل جنديا قتالا في الجيش الفرنسي.

[2] عرفنا به الدجال وهو أحد أئمة الماسونية، والأخذ للطريق الخلوتية يقصد بها تعاليم الشيعة المجوس ومن أهمها أولا: أخذ خمس الشيعة وهو تحويل أهل السلام إلى خدام وعبيد، يدفعون الزيارة ويهبون لهم بناتهم الصغيرات للتمتع بهن، وآخر أئمتهم الهالك المجرم المسمى آية الله الخميني، الذي أجاز لأتباعه التمتع بالرضيعة ثانيا: زواج المتعة وهو نشر الزنا وجعله قربة لله ونشروا الزنا في الأمة، وجعلوا في كل قرية ومدينة ودوار أوكارا للزنا والدعارة، ولهم أساليب شيطانية في تجنيد المسلمات وجعلهن بضاعة للصليبيين ومن هم على شاكلتهم، وهناك كتب كتبها الفرنسيون يفترض أن تترجم حتى يعرف المسلمون ماذا فعل هؤلاء الماسون، و كيف حولوا الأمة إلى مواخير للفسوق والعربدة، والله المنتقم الجبار..

الفسيح والفضل الصريح السيد السعيد بن عبد السلام وصنوه المبجل الفسيان السيد السعيد وابن عمهم المكرم الممجد قائد القياد السيد أحمد بن عبد القادر وابن عمهم المكرم القائد السيد محمد بن الشريف ابن محمد بن عبد السلام ويوجد في فروع سيدي نائل فضلاء أجلة وبدور أهلة وعلماء عاملين وصلحاء يتبركون بهم ويزورونهم ويقصدون زواياهم».

نحتاج لبعض التفصيل: الفسيان لفظ عامي أصله لفظ فرنسي officier من معانيه الضابط له رتبة عسكرية، خادم المشروع الماسوني لدى المحتل، المؤلف يعتز ويفتخر بمن يخدم الصليبي من ضباط وقياد، لأن التحالف الماسوني يعتبر المسلمون أهل السنة والجماعة نواصب أي أعداء لآل البيت والقصد الأولياء والمرابطين، وبالتالي التحالف مع عدوهم وقتلهم واستباحة أعراضهم مشروع راجع فصل غزو القرامطة للشمال الافريقي تاريخ بني لقواط وحتى ننصف المؤلف نأخذ هذه العبارات:

نقرأ في الصفحة 45 : « ومنهم ما لا يحصى من الفضلاء والنجباء الأتقياء فلو تبعنا الأفاضل منهم لخرجنا على المقصود وفي الذين ذكرناهم كفاية لكن كثر الدخيل في فروع سيدي نائل حتى انتمى إليهم كل سقيط ولقيط1 ممن لا أصل لهم في العرب فضلا عن نسب آل البيت الشريف وقد يصعب الآن عليهم تمييزهم لامتزاجهم بهم وسببه المصاهرة عدا عائلة الشريف بن الأحرش بن القندوز فسلمت من المصاهرة والأمر لله»

لما تكلم المؤلف عن جده سيدي حشلاف بتوقف ويكتب تنبيه ويضعه على شكل عنوان وسط السطر ليظهر قيمته وأهميته، نسمع سليل الأشراف، وهو

---

[1] إذا لم تكن من حلفهم الأشراف، فأنت بين خيارين سقيط ولقيط، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يتكلم يعرفنا من هم العبيد والخدام ويعرفنا نظرية العناية الالهية التي قال بها الفلاسفة الصفحة 68:

« يوجد عائلات تعرف باسم أولاد بن حشلاف وليسوا من أولاده ولا لهم نسب فيه ولا حظ لهم في الشرف أصلا فمنهم دويرات بقصر بني ونيف بازاء فجيج يقال لهم الحشالفة ولا شك هم عبيد سيدي علي حشلاف أو خدامه ولما انتقل من هناك خلفهم من بعده حيث أصله من هناك وكما يوجد بويتات في الرزائنة بازاء عرب شافع ابن زغبة ففي غالب الظن صاف عليهم في حالة سفره للمشرق فتسموا باسمه وكذلك بويتات بازاء الأبيض سيدي الشيخ ويوجد عائلات ببطحاء وادي الشلف من بلدة صبيح يقال لهم الحشاليف فهؤلاء لا شك سموا عليه حال مروره عليهم حيث أنهم أنه في طريقه لما قدم لفليسة فسموا عليه كما هي عادة العرب يسمون على الأشراف والصالحين»[1]

المؤلف يرد على العلامة ابن خلدون يقول الصفحة 46:« تنبيه: وأما أولاد نايل المستقرون بأيالة طرابلس الغرب الذين ذكرهم ابن خلدون في العبر وذكرهم الشيخ الحسين الورتلاني في رحلته فليس لهم حظ في الشرف البتة ولا لهم قرابة في سيدي نائل المذكور حيث أصلهم من عرب المعقل الذين وفدوا على إفريقية مع عرب هلال في سنة 460 أربعمائة وستين هجرية ودليله أن ابن خلدون مقدم على سيدي نايل بنحو مائة سنة حيث وفاة ابن خلدون في سنة 808 ثمان سنين وثمانية من الهجرة وسيدي نايل من أصحاب القرن العاشر لأنه من تلامذة الولي الصالح الشريف سيدي أحمد بن يوسف الراشد الملياني وكان من خاصة خاصته وهو من جملة من امتحنهم بالذبح والحكاية

[1] قدم لنا معلومة وهي أن العرب لما يمر عليهم الأشراف ينسبون أنفسهم إليهم ومعنى ذلك أن خرافة النسب والقبائل الشريفة مجرد أكذوبة من أكاذيبهم ومنكرا من مناكرهم.

مشهورة وكان سيدي أحمد بن يوسف رضي الله عنه توفي في سنة 923 ثلاثة وعشرون وتسعمائة».

الحسين الورتلاني يذكر أولاد نائل: « ثم ضعنا من ذلك المحل فسرنا في بلاد النوائل وهي طائفة صعبة كادت أن تكون كالقبر فلا يمر عليهم أحد إلا تترك إذا سلم منهم ونحن قد وجنا البعض منهم ظاعنين فلما رأونا فرحوا بنا وصاروا يلعبون على خيولهم طلبا للدعاء واغتناما للبركة إذ سمعوا بنا في غير هذه الحجة وعلموا بعض أحوالنا بأخبار مرابطيهم وأعلام صلحائهم أولاد مريم فانهم أفضل الناس وأجودهم وأكرمهم وأعلمهم وأهداهم ولهم همة عالية ورتبة زاكية فكأنهم لم يسكنوا البادية ولا يأكلون المتشابه ولا يأخذونه فضلا عن الحرام على غاية السنة والقيام بها فما رأيت أحدا أحفظ به منهم ولا لصون دين الله أرفع منهم فابلهم ومالهم يرعى وحده في الصحاري من غير راع تلد الناقة وحدها نحو شهر والشهرين وهو في ربوة الصحاري لا يتعدى عليه أحد ومع ذلك أهل هذا الوطن ليس يوجد أظلم منهم ولا أعدى وهم سالمون وقد تكرموا علينا في الحجة الثانية وكذا في الطلعة في هذه الحجة وقد ذهبوا معنا في الرجعة الثانية من بيوتهم قرب الزوارات إلى أن بلغونا قابس بل زادوا رحلة معنا بعد فابس إلى روضة الشيخ سيدي مهمل وأما في هذه فوجدناهم بعداء عن بيوتهم متحيرين أشغلهم أمر الظلمة إذ تعدى عليهم بعض من أولع بالتغلب والتفرعن من هؤلاء المتمردين المذكورين وسبب ذلك إنشاء العداوة والفتنة بين النوائل وورغمة فإن ورغمة من منتهى عمل تونس الشرقية والنوائل من منتهى عمل طرابلس الغربية فلما التقى الجمعان نشأ بينهم الحرب والفتنة والأخذ والموت فانجلى النوائل من بلادهم أجلوهم من جهة المغرب وررغمة ومن نحا سبيلهم من حليفهم ومن جهة المشرق العجيلات وزوارات وغير ذلك ممن يحالفهم فكان

المرابطون أعني أولاد مريم والحمارنة مع ورغمة فوقع لهم بعض التعدي بسبب مجاورتهم وحبهم إياهم1».

يكتب فرمانتان يصف حياة سي الشريف بالحرش في رائعته الأدبية صيف في الصحراء يروي أيامه في مدينة الأغواط بعد اقتحامها من قبل الحلف الصليبي الماسوني:

« هي رؤية شاملة تحققت بعدما نزلت من حصاني، وتلمست طريقي ناحية النور المنبعث رؤيتي انتهت بسماع حركة شخص هو غريب، ظهر لي بداية أنه ضعيف البنية يضع مظل كبير حاد في نهايته، توهمت أنه أحد الخدم، ولم أعرف أنه هو نفسه سيد البرج »

« قدم لنا العشاء في غرفة بيضاء كبيرة نظيفة خالية من الأثاث، ما هو موجود مدخنة من الرخام، الغرفة مفروشة بزرابي صحراوية، رفع بعضها ليكون ستائر وسط الغرفة طاولة دائرية محاطة بالضيوف، الأكل المقدم عربي وضعت على الطاولة الشموع، رتبت على الطريقة الفرنسية في التقديم، وضع على الطاولة غطاء أبيض جميل مطرز بألوان فضية، الأواني كلها زجاجية، أربع منها يسميها العرب القراف خصصت للحليب، وأربع أخرى خصصت للعصير. بدأت أتعرف على الخليفة سي الشريف2، ليس كما ظننت في البداية هو رجل ضخم يظهر كأن وجهه يخرج إفرازات دهنية، حليق غير ملتحي محياه يظهر الهدوء

---

[1] الورتلاني الصفحة 636.

2 ولد الشيخ الشريف بن الأحرش في شهر جوان سنة 1803م التحق بجيش الأمير عبد القادر سنة 1249 هجرية الموافق لسنة 1832م استسلم الأمير عبد القادر رفقة سي الشريف بن الأحرش سنة 1847م إلى الجنرال دولا موريسيار ناصر الفرنسيين وأضحى خليفة فرنسا قاتل تحت الراية الفرنسية حتى قتل.

عيناه بارزتان، لا يرتدي برنوس يضع حايك على منكبيه، يلبس لباس الطلبة. سي الشريف افتتح مأدبة الأكل لما أمسك بيد كأس حليب ويد أخرى أمسك بها كأس عصير، في هذه اللحظة قام أخوه بلقاسم بإعطاء الأوامر، قام آخرون معه ليخدموا الحاضرين، الغرفة كان بها خدم كثر أحدهم يسترعي الانتباه، هو رجل تونسي نحيل ضعيف البنية يضع عمامة بيضاء، عيناه مشرقتان فمه رقيق أنفه حاد شاحب الوجه كأنه وجه ميت، لما ترى عمله تعرف أنه ذكي ورشيق يتحرك حركة منتظمة كأنها حركة سنجاب يعلو شجرة، كل حركة لها نغم يصاحبها، هذه الصفات كلها لمن لا يعرف تجدها عادة عند الخدم الفرنسيين الذين يخدمون النبلاء على الطريقة الفرنسية هي ترضيهم هذا التونسي أسعدنا عمله منذ زمن لم يقدم لنا الطعام، هكذا على الطريقة الفرنسية البهيجة. »

« بيت كبير ضائع في الصحراء يبعد مسافة 241 كيلومتر عن بوغار، ومسافة 154 كيلومتر عن الأغواط، قاعة الأكل نتنسم فيها رائحة أطباق اللحم، أطباق يحملها عاملون وخدم، تم التقديم على الطريقة الأوربية، حتى الذين جلسوا معنا من العرب تكلموا اللغة الفرنسية، هذا ما رأيته لما حضرت مدينة الجلفة هي عاصمة أولاد نايل أنا الآن في قلب هذه القبيلة الكبيرة، هي من القبائل الغنية التي يحسن رجالها التجارة، قبيلة أقنعتني بحبي وشغفي بالصحراء وأهلها إذا خرجت من الجلفة ستجد بوسعادة ناحية الشمال الشرقي، ناحية الغرب تجد حدودها مع جبل عمور، جنوب الجلفة ستجد قصور الأغواط وتجد معها وادي الجدي. أولاد نايل يحملون صناعتهم ومنتجهم من الصوف أسواق الجنوب، هم يتحركون في الصحراء الكبرى، ينتقلون من مدينة الشارف ويصلون أسواق تقرت مارين بالجلفة، ثم يدخلون أسواق بني ميزاب ويصلون متليلي، ومنهم من يصل أسواق ورقلة».

« أمام أعيني أرى هذا الرجل الكبير السيد الفرح المبتهج، هو من السادة الأثرياء الأقوياء الشجعان هو مهتم بثروته، مهتم بمكانته وكذلك نشأته ومقامه السياسي، وبالرتب العسكرية التي حازها في حياته العسكرية، السيد ن حاول في جلستنا هذه أن يعلم سي الشريف كيف يستعمل الشوكة والسكين على الطريقة الفرنسية، رضي سي الشريف وظهر فعلهما كأنه مزاح ولعب أطفال أثناء تعلمه مسك الشوكة والسكين، أظهر حركات أضحكت الحاضرين، تظاهر وكأنها جاءت كحركات لا إرادية، ومع كل ذلك بقي الشريف ذلك الرجل المحافظ على رزانته وكرامته».

« لما كنا في عز الوليمة يظهر شخصا غريبا لم أره من قبل، يضع مظل كعادة العرب، هو رجل صغير قزم مرفوع على نفسه منتفخ الأنحاء، ليس بالنظيف مشوه مخيف، يمشي وكأنه فاقد لقدميه أخفى وجهه في الحايك الذي يضعه عل منكبيه، لف الحايك على رأس حليق، أظهر المظل كأنه قرن كبير بارز من نهاية رأسه يضع حقيبة جلدية، تتدلى من عنقه تغطي بطنه، يحمل كمية من مزامير كبيرة من قصب تتدلى من معطف يرتديه، هي تتأرجح وتحدث صوتا يحمل عصا لها عيون يمسكها بيده، من مكاننا لم نشاهد قدميه، لأن برنوسه يتجاوز قدميه ويصل الأرض، لا أحد اهتم بحضوره الوحيد من شاهده وراقب فعله أنا، خرج من غرفة وطلع علينا منها، اقترب من الطاولة التي تحلقنا حولها مر بمحاذاة كتف سي الشريف، هذا الأخير كان يمد يده في الإناء، التفت وأنا منزعج ناحية صديقي م ن، الصديق عرف انزعاجي ابتسم وضحك، مما وجده في نفسي من الخوف من هذا الرجل الغريب. سي الشريف غير مكترث بما يقع كان همه الأكل، بالقاسم لاحظ انزعاجي وارتباكي، كلمني كلام التقي الورع محذرا قائلا :« هو ولي هو درويش رجل مجنون رجل له قداسة»، أمسكت عن الكلام لأنني أعرف ما تعني كلمة درويش ومجنون عند العرب. أخفيت

صدمتي، وأظهرت للحاضرين ألفة، أردت أن أتجاوز بها ما حصل وما يمكن أن يحصل، الدرويش نطق وطلب الدخان، ثم أخذ يكرر الطلب من باب العناد هناك من تطوع من الحاضرين وأعطاه الدخان، أخذ حاجته ثم أعاد الكرة وأعاد نفس الطلب، كان يخرج صوتا أجشا أقرب ما يكون للنباح، بعدما أفرط في سلوكه هذا طُلب منه الابتعاد، وتمت الإشارة إليه أن يصمت ويمسك عن فعله. سي الشريف غير مكترث بما يحصل، ثم خرج عن هدوئه ونظر ناحية الدرويش نظرة فهمها الخادم التونسي، تقدم ناحية الدرويش، وأمسكه من ذراعه، وأخرجه خارج الغرفة الدرويش لم يسكت، رفع صوته وهو يردد الكلمات التالية : لما فعلت ذلك يا محمد، واش يا محمد، واش يا محمد، حتى لما أُخرج ناحية الرواق، بقينا نسمع صوته يردد نفس الكلمات. كان لا بد من تغيير الجو والخروج من هذه الحادثة التي أقلقتنا، نحن لا نستطيع نسيان مثل هذه الحوادث، العرب يمتلكون القدرة على جعل الفعل غير المعقول هو المعقول نفسه، ولهم القدرة الخارقة على عكس المعادلة، وجعل ما هو معقول غير معقول، هي قدرة عجيبة، هذا ذكرني بحادثة شاهدتها. قايد قبيلة من قبائل الصحراء الشرقية، عاد لأهله محاطا بفرسانه، وهم في حلة أنيقة وأبهة، وهم يحملون معهم درويش وركه مكسورة، القايد الشاب معروف بأناقته. أخذت أنظر في حلة هذا الدرويش، هو شيخ نحيل يتصرف تصرفات المعتوهين والحمقى، كان يرتدي قندورة لونها أحمر تشبه حمرة دم البقر، أشعث أغبر يطلق من رأسه خصلة تشبه خصلة الحصان، القايد الشاب أسعفه، لما حل المساء القايد لقي الدرويش سلم عليه وطلب منه الدعوة، لأن دعوته عند الله مقبولة، إلا أن الدرويش أظهر مكره وظهر من فعله أنه رجل مخادع».

« درويش الجلفة ليس حالة تاريخية أنا لا أعرف حتى اسمه، حدثني من يعرفه أنه يقضي فترة من السنة عند سي الشريف، قد يقضيها في الزمالة زمالة سي

الشريف، ويقضي فترة أخرى في البرج هو لا يزعج أحدا، يأكل ما يجد ولا يشترط ما يقدم له من طعام يمسكه بيده ويذهب، لا يعلم الناس أين ينام وأين يقضي يومه وليله، يقولون أنه يقضي الليل في التجول والتنقل بين الحدائق والبساتين، لما يحضر ويجد الأبواب مغلقة، يجلس ويفرغ ما حمله من خرق وبقايا، هو يجمعها من مخلفات الناس، ويحملها في برنوسه أو الجبيرة التي علقها على صدره، في ليال يسمعه الناس وهو يعزف على مزاميره المختلفة التي لا يتركها، هو لا يهتم ولا يعبأ ببرد الشتاء، ولا حرارة الصيف جسمه هو هكذا متكيف مع أحوال الطقس والمناخ، وجهه تملأه التجاعيد هو حالة مكررة بين الدراويش، من يعرفونه يقولون عنه هو رجل لا يكبر ولا يهرم، جسمه كجذع شجرة مسنة جافة وصلدة لا ورق فيها يفصح على أن بها حياة. يقول العارفون أن الموت جاءه في بداية حياته، بدأه من الأقدام ثم توقف، عندها توقف الزمن هو الزمن الذي قضاه في الحياة درويشا، من شهد حادثة الموت وتوقفها يقول : في يوم سقط الدرويش على جنبه، لم يستطع الحركة، فاضت نصف نفسه لخالقها، وبقيت منها باقية، ما تبقى من هذه النفس، صنع حكاية تحكى عند أولاد نايل، هي حكاية درويش الجلفة».

كثر الكلام عن حملة عسكرية تسمى حملة تقرت، شكلها الملازم أورينو D’oruano قائد الملحق العسكري بالجلفة، جمع قومية من قبائل أولا نايل من أجل القيام بحملة عسكرية تحتاج وقتا طويلا، أضاف لهم قوات السبايسية، تابعين للملحق العسكري لمدينة الجلفة، وأضاف قوة الرماة تركب الجمال، يوم العاشر من أكتوبر 1854 ميلادية هذه الحملة أخذت طريقها ناحية مسعد، اليوم الأول وصلت عين الناقة في مناطق أولاد الخاوة، هذه القبيلة كانت لها علاقات طيبة مع محمد بن عبد الله، من غد لما أرادت البعثة الحركة والتنقل هاجمتها قوات من أولاد الخاوة، تمكنوا من قتل المارشال دو لوجيس Des Logis، القائد أورينو عاد وأبلغ عن الهجوم الذي تعرض له، والخسائر التي لحقت به، وأظهر أنه لولا تدخل قوة الأهالي المساندة للقوات الفرنسية، لكانت الخسائر عظيمة، وأخبر أن هذه القبائل المتمردة هي الآن عند مناطق بوكحيل وبالتحديد عند الكاف لحمر.

تحدث حادثة خطيرة عند أولاد نايل ذكرتها سابقا، ذكرتها تحت مسمى حوادث بوشندوقة ذكرتها مختصرة موجزة[1]، لأن سياق الحدث التاريخي هو التأريخ لبني لغواط خاصة، أما الآن سأعرض هذه الحوادث بتفاصيل أكبر : ليلة الرابع عشر و الخامس عشر من شهر أفريل سنة 1861 ميلادية عرفت مدينة الجلفة حوادث غريبة وخطيرة وغير متوقعة. ظهرت مجموعة تصفها التقارير الفرنسية بأنها متطرفة، وهذا اللفظ غريب وغير معتاد في هذا الزمن، قاموا

[1] راجع تاريخ بني لقواط.

بعمليات انتقامية ثأرية وحشية ضد الفرنسيين خاصة هذه الجماعة سنحكي حكايتها : عند قبيلة أولاد سي أحمد يعيش بينهم رجل يسمى الطيب بن بوشندوقة، رجل بالكاد يتجاوز عمره الخامسة والثلاثون سنة، رجل ظهر بشكل غريب يخالف قومه، على غير عادة قومه أطلق لحيته مرسلة، لم يكن من كبراء القوم، هو رجل عادي بسيط، لم يكن رجلا غنيا، مريد من مريدي الطريقة الرحمانية هذه الطريقة الأوسع انتشارا عند أولاد نايل.

أيام قليلة قبل شهر رمضان من سنة 1277 هجرية الثامن مارس 1861 ميلادية تنقل بوشندوقة بين فرق أولاد سيدي أحمد، تضع وتبسط خيامها في الزراز الغربي، يحضر الحضرة الرحمانية ويلتقي بالناس أثناء المديح الديني العارفون فقط لاحظوا تحولات اعترته غيرت مزاجه، بين الحين والآخر يغص في تأمل داخلي، يضع يداه أمام عيناه وكأنه يريد منع نور ساطع أن يصل مقلتيه، يوقف حركة بصره ويثبت نظره على شيء ولا يتركه، ثم تطور الأمر أكثر من ذلك يمسك دف يسميه الأهالي البندير، يضربه بشدة كما يفعل أهل المواجد الصوفية، أثناء الوجد والفيض الصوفي، يظهر غضب وعصبية، تحول الفعل إلى عادة أخذ يمسك هذا الدف، وينتقل أين يجتمع الناس ويسمعهم ضرب الدف.

انتشر خبره بين القبائل وخاصة في منطقة الزراز، زار قبائل أولاد نايل نخصها بالذكر : أولاد أم هاني، أولاد رويني، أولاد عبد القادر، أولاد بو عبد الله، ما حل بقبيلة أو فرقة يزر مقدمي الزوايا ويقنعهم بأنه صاحب بركة وكرامة، مع الزمن تزاحم الناس على نيل بركاته، أين يحل يتنافسون على التمسح بجناح برنوسه، وأضحى الناس ينادونه سيدي بوشندوقة. الأيام الأخيرة من شهر

رمضان أظهر سلوكا غريبا من فعل الخوارق يمسك عصاه ينتقل بين فرق أولاد سيدي أحمد بسرعة خارقة يكون هنا، ثم فجأة يظهر هناك، لما يحل أمام خيم فرقة ينادي ويرفع صوته، ويطالب أولياء الصالحين بالإكثار من الصلاة، إن كان وقت الصلاة الناس يصطفون وراءه ويؤدون صلاتهم المكتوبة أو النافلة، قبل أن يبدأ أو ينتهي كان يرفع صوته بكلمة التوحيد عاليا : لا إله إلا الله في هذه التجمعات. سيدي بوشندوقة يقوم بمسلك غريب، يمسك أحد إخوانه كما يحب أن يسميهم يمسكه من رأسه، ثم يضع فمه على أذنيه، ويتمتم له بكلام غير مسموع، ثم يأخذ شيء من لعابه ويضعه على الرأس الذي مازال يمسك به، ثم يضع الوجه بين راحتيه ويتنفس ثلاث مرات، ثم يشير بحركة تشبه حركة أثر المغناطيس في الحديد من يمسكه يسقط، وهو فاقد للحركة.

ما يسقط الرجل حتى يقوم بوشندوقة ويدور دوران عجيب على الساقط أمامه، ثم يكشف جزء من جسم الساقط وينهل عليه ضربا بعصاه، هذا الضرب يجعل الساقط ينهض ويقلد حركة ضاربه ويتحول أمام الناس إلى وحش لا أحد يقدر على إيقافه، ثم يتشاركان ويقومان بحركات قفز وشطح ينتهي المشهد، أن كل واحد منهما يعانق الآخر ويسقطان أرضا.

هذا الفعل يكرره مع أناس آخرين يختارهم هكذا من المجالس والتجمعات، لم يكتفي بهذا بدأ يظهر للناس الخوارق والسلوك الملتوي ليبهر الحاضرين، هذا السلوك ليس بالجديد يعرفه الناس في الأسواق يقوم به أفراد يسمونهم العيساوية[1]، هم أفراد وجماعات يحسنون فعل السحر أي خداع البصر يقذفون

[1] هم بقايا ميراث سحرة الفرعون ينتشرون لغاية الآن ينجمون ويحدثون بالخوارق.

أنفسهم في حفلات الطرب، ويقومون بأفعال شيطانية، يلتهمون قطع الحديد ويدخلون السكاكين في أفواههم وبطونهم هذه الثقافة الرديئة جاءت للمسلمين من ميراث سحرة الفرعون المصري، وأضافوا لها من فلسفة المجوس والهنود هؤلاء يقومون بطقوس مفارقة للطبيعة، يحتجون بها على أفعالهم وضلالاتهم.

قلنا أن بوشندوقة كما نجد في الروايات الفرنسية، يقوم بهذا وأكثر من الذين بهرهم فعل بوشندوقة من إخوانه من قبيلة أولاد سيدي أحمد، رجل يسمى سي الطيب، هذا طالب الناس بشد الرحال وزيارة قبة عبد الرحمن بن سالم واقعة في عين الريش، وافقوا رأيه، إلا أنهم قرروا أن يشدوا الرحال لضريح سي المختار، هذا مات منذ زمن قريب بالكاد ستة شهور، هذا حكينا حكايته مع الحاج موسى بن حسن، ورؤيته للنبي وجبريل ودعوته لعدم حرب فرنسا. بعد وفاته شيد له محبيه الضريح عند أولاد جلال. يوم الجمعة الثاني عشر أفريل تحرك دراويش من أولاد الشريف بطلب من سي الطيب بوشندوقة، تحركوا نحو منطقة تسمى قربوزة قريبة من صخرة الملح[1]، هؤلاء وغيرهم اجتمعوا تحت قيادة شخص يسمى المقدم سي الصدوق بن سفير، نحن الآن أمام مجموعتين واحدة يقودها بن سفير والثانية يقودها سي الطيب، الجماعة المكونة لم تظهر كجماعة قتال وحرب، بل ظهرت كجماعة تريد الحج لضريح أو مكان مقدس الجماعة ككل تتكون من ثمانين فردا بينهم نساء وأطفال.

ظهر شخص جديد في المجموعة ينافس سي الطيب في الخوارق، هؤلاء اختلف فيه الحاضرون، البعض قال أن سي المختار منحه من بركاته وعلمه سحر مثل

---

[1] يسميها الأهالي حجر الملح.

سحر الطيب والبعض قال أن النبي منحه من علمه، وأجرى البركة على يديه. المهم تشكلت قافلة من هذه المجاميع وتم تحميل بعض الجمال والحمير بالمؤن والطعام، أكثروا من لحم القديد والسمن. هذه المجاميع هم الآن على شكل قافلة بعض الغنم والماعز جعلت وخصصت للاستهلاك، ولأن الرجال منشغلين بالذكر وإظهار الكرامات، تكفل الأطفال والنساء بحراسة القافلة، تخطت طريق الجلفة ومرت بمركز المراقبة زميلا، واقع بين حجرة الملح والملحق العسكري بالجلفة. ما خرجوا من جبل السحاري وعند مكان يسمى تيز ـ إلوين تزودوا بالماء، ثم أخذوا طريقهم ناحية المويلح، هو مركز مراقبة شرق الجلفة إلى غاية الآن احتاجت القافلة ليلتان، ليلة في قربوزة وليلة في تيز ـ إلوين، سي الطيب لغاية الآن صامت يعيش تأملات داخلية وصفاء روحي، أعلن للمريدين أنه ينتظر الإذن الإلهي.

لما وصلت القافلة المويلح وضعت البرانس أرضا، وضع عليها طعام يعرفه الأهالي هو الروينة والكعبوش، جاءت قسمة الطعام بين البرانس بالعدل فرصة للقافلة كي تأكل وتشرب، بعد ذلك أمر بوشندوقة النساء والأطفال بالابتعاد ومجاورة الحيوانات، المقدم سي الصدوق بن سفير يتقدم الصفوف، هذا بدأ لما دخلت القافلة تيز ـ إلوين لم يكن وحده برفقته أربعة رجال بوشندوقة ترك سي الصدوق يتقدم أكثر، لما اختفى تحين سي الطيب الفرصة، طلب من رجلين معه يحملان صفة الشاوش، أن يجمع الناس ليكلمهم في غيبة سي الصدوق. ما اجتمع القوم حتى رفع صوته عاليا قائلا : سنتراجع للوراء ناحية الغرب، ظهر تملل وضجر من كبار السن والعارفين، فُهم من تمتمتهم أن السفر سيطول أكثر هذا الفعل أغضب سي الطيب، غضب ولوح بعصاه وزمجر وأراد أن يسكت

ويمنع الأصوات من أن ترتفع وتحتج، ظهر التململ أكثر أخذ سي الطيب يلتفت ناحية اليمين وناحية اليسار ليسكت المحتجين. ثم اتجه الجميع ناحية الغرب، زمن ووصلت القافلة مرتفعات بوتريفيس، هذه المرتفعات تشمل الجلفة من ناحية شمال شرق، قبل أن يحل الليل أمر القافلة أن تتوقف، ثم أظهر نفسه وكأنه قائد عسكري، وشرع في الكلام رافعا نبرة صوته : هذه هي الجلفة هي عش المشركين، سأقضي عليها وأزيلها، سأزيلها ما أحرك إصبعي هذا، هي قرية الملعونين في هذه الأرض، أنا لا أطلب منكم الحركة أنا أكفيكم سأمنع بارود النصارى أن يلحق بنا الأذى. ثم شرع يقوم بحركات غريبة يفهم منها كأنه يسوق بعصاه الفرنسيس كما تساق الغنم، كبار السن وأهل الرأي معه تعجبوا من خطابه، ومن فعله وهل هو عاقل أم مجنون، هل تستطيع قافلة من الفقراء والعاجزين لا تمتلك قطعة سلاح واحدة، أن تقتحم مركز عسكري قوي محصن ومدينة لها حرس وعسس. احتاروا في أمرهم ومعهم أطفال ونساء، سي الطيب بقي يلوح بعصاه ويظهر أنه يمتلك من الخوارق والكرامات، ما يجعله يهزم فرنسا وحلفها في هذا الجو القاتم، وأمام هذه الحركات البهلوانية، تحركت القافلة ناحية مدينة الجلفة، أزاح الحراسة الضعيفة التي واجهته عند مدخل المدينة.

يوم الرابع عشر أفريل على الساعة 11 مساء، دخل مشتلة خصصت لغرس الأشجار ثم تجاوزها مع قافلته ودخل حديقة وجدها فارغة خالية على عروشها ثم اقترب من برج المراقبة أراد أن يفتحه دون أن يحدث ضجة ويوقظ النائمين. سي الطيب أوحى لمن معه أنه هو من أبقى الحراس نائمين داخل برجهم، في هذه الأثناء استطاع بعض أتباع سي الطيب دخول مدينة الجلفة، سكان

القرية لا علم لهم بما يحصل ويقع، هم يغطون في نوم عميق، أتباع سي الطيب شرعوا في تحطيم أول بيت شاهدوه، حطموا باب البيت بحجر، صاحب البيت من الأهالي لما سمع التحطيم قام ليعرف الخبر. هاجموه وأسقطوه جريحا، أراد أخ صاحب البيت أن يتدخل ضُرب على مؤخرة العنق، الإصابة بالغة مست العمود الفقري، بنت صاحب البيت تعرضت لإصابة بواسطة سكين، ثم بعد ذلك اتسع مجال الاعتداء دون تمييز، جماعة سي الطيب هاجمت حي حيث تتواجد به بعض المقاهي البسيطة، هنا سي الطيب يصرخ قائلا : أقتلوهم هم أقبح من النصارى إنهم يعيشون معهم، ضابط عربي تابع للحماية الفرنسية أخرج سيفه ولوح به، غرضه أن يوقف هذا الهجوم، أحد الأوروبيين كان من الضحايا الواقعين. سي الطيب ومن معه يرفعون أصواتهم ويرددون الكلمات التالية : الله، سي موسى، سي المختار، قوات الحماية الفرنسية بالكاد أخذت في التجمع، استطاع سبعة أو ثمانية من كتيبة القوات الإفريقية الخروج واستطلاع الموقف، كانوا تحت قيادة ضابط فرنسي يتبع مكتب العرب. زمن وسمع سي الطيب بارود الفرنسيس، ولأنه لم يكن يمتلك أدوات ووسائل مواجهة قرر الانسحاب، ترك سي الطيب ثلاثة قتلى وأربعة جرحى من غد ظهرت مدينة الجلفة محطمة، رغم قلة مبانيها ومرافقها.

تعرضت الأبواب والنوافذ للتهشيم، غطت الحجارة وأدوات الاقتحام الأماكن المقتحمة النساء والأطفال دخلوا برج الحراسة طلبا للنجاة، شكلت القيادة الفرنسية قوة عسكرية على مستوى مدينة المدية وأرسلتها، في فصول سابقة

تكلمت عن اعتقال جماعة بوشندوقة ومحاكمتهم في مدينة الأغواط، والحكم عليهم بالإعدام[1].

حادثة بوشندوقة استرعت انتباهي، ليس لأنها حادثة أمنية كبيرة، هناك حوادث أكبر منها وأعظم سبب توقفي عندها فلسفي تاريخي، لأنها تمكننا من فهم حالة الوعي والثقافة في هذا الزمن، كيف كان المسلم يفكر وكيف أن تفكيره يأتي بسيطا ساذجا، تشكله ثقافة خرافية. هذه حالة مكررة هي صورة طبق الأصل لثورة بومعزة، تجد نفس التفكير والسذاجة والإيمان بالخوارق، وعوض أن يكون الاتكال على العلم، يكون الاتكال على التفسير الخرافي.

قبل أن أنهي هذا الفصل أتمنى من السادة الفضلاء في مناطق زنينه و الشارف، أن يبحثوا عن قرية الخضرة مازال لها بقية باقية، وأن يستعينوا بعلماء الجلفة الأفاضل ويقومون بدراسة أثرية يرفعون مسجد السيد موسى بن حسن، نزر ان قدر الله مقبرة الدراويش، ونترحم على الشهداء هذا إن بقيت بقية في العمر، نزر هذه المواقع، ونكون سعداء بزيارتها، يقول الله في محكم التنزيل : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ يونس الآية 62 .

[1] راجع كتابي تاريخ بني لقواط.

لم ينتظر الناس أن دولة تعاني الهزائم والفقر والمجاعات هي فرنسا، أن تسقط عاصمة عظيمة كالجزائر التي ردت أعتى القوى الاستعمارية في زمانها وفي مقدمتها اسبانيا وسبب التفوق تحالفها مع الدولة العثمانية، هذه الأيام رغم الدسائس كانت تعرف أعز أيامها وهي تواجه المد الماسوني، الذي سكن العالم الاسلامي، وظهرت تحالفات ظاهرة بين هذه القوة السرية، والباطنية مع الخلف الصليبي.

عام 1157 هـجرية الموافق 1744ميلادية، تأسست الدولة السعودية الأولى في الدرعية بجهود الإمام محمد بن سعود، استطاعت الدولة العثمانية أن تنهيها، وقع هذا سنة 1233 هجرية الموافق 1818 ميلادية، نتيجة للحملات التي أرسلتها الدولة العثمانية عن طريق واليها في مصر، كان آخرها حملة إبراهيم باشا التي تمكنت من هدم الدرعية وتدمير العديد من البلدان في مناطق الدولة السعودية الأولى في أنحاء الجزيرة العربية. أخطر ما في هذه الدولة أنها قامت بالسيف، المؤيد بالحكم الديني، الأب الروحي لآل سعود هو محمد بن عبد الوهاب، خرج على الناس بنظرية جديدة، ملخصها العقيدة الصحيحة والفرقة الناجية، اعتبر كل خصومه مفارقين لصحيح العقيدة، السبب أن الدعوة لحرب الدولة العثمانية، التي انتشرت بحكم الدعاية الماسونية، اعترض عليها المسلمون ورفضوا أن يقاتلوا دولة مسلمة، وان ظهر منها مشاكل، ورفضوا استباحة الدماء المسلمة والوقوف مع الصليبي المحتل. إلا أن الرسائل التي بثت ونشرت أظهرت الدولة العثمانية دولة صوفية، عقيدتها مستمدة من فكر أبو منصور

الماتريدي1 رحمه الله، وأجازوا حربها وقتالها، ووضعوا للخروج عنها والتحالف مع أعدائها، المنهج الشرعي والتبرير الفقهي.
يكتب خالد بن علي المرضي في مقدمة كتابه2:
« الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه وعبده و آله وصحبه.
وبعد : فهذا كتاب في تكفير الأشاعرة الجهمية، وبيان قول أهل العلم فيهم وتحقيق إجماع السلف على كفرهم، والرد على من زعم خلاف ذلك، كما وفيه بيان أن من أنكر صفات الله العقلية التي لا تقوم ربوبيته ولا تصح ألوهيته إلا بها كالعلم والقدرة والعلو والكلام والسمع والبصر ونحوها كافر لا يعذر بجهل أو تأويل، وعليه فمن علم منه عبادة غير الله كدعاء الأموات والحكم بغير ما أنزل الله أو إنكار ربوبية الله أو صفاته التي لا يكون الله تعالى ربا إلا بها والتي هي من لوازم ألوهيته وربوبيته، يحكم بكفره ولا يعذر بجهله وتأوله ومن مات على هذه العقيدة فهو مشرك لا يترحم عليه».
لما نعود للمغرب العربي، نجد أن ألد أعداء الدولة العثمانية هم سلاطين المغرب من نتائج ذلك، فقد المسلمون المناطق الاستراتيجية، أول ما ضُيع جبل طارق، ظل تحت سيطرة المسلمين بشكل دائم، سُمّي جبل طارق ثم

---

[1] أبو منصور الماتريدي وأبي الحسن الأشعري من كبار علماء الأمة الاسلامية، لهما السبق في شرح علم العقيدة وتبسيطه من أجل الفهم فنجد المذهب الحنفي العظيم سنده في علم العقيدة، أما المالكية والشافعية، فضلوا فكر الامام الأشعري، وهم بالمجل متوافقان في المنهج والفكر.

[2] خالد بن علي المرضي الغامدي النص هو من مقدمة الكتاب عنوان الكتاب تكفير الأشاعرة.

استولت مملكة قشتالة المسيحية علي جبل طارق، ولكنه عاد إلى سيطرة المسلمين مرة أخرى في عام 1333ميلادية، ثم استعاده الاسبان سنة 1462ميلادية، أصبح جبل طارق جزءً من المملكة الإسبانية المتحدة، وفي حوادث تاريخية عاد مستعمرة بريطانية.

نقرأ في مدونة الجزيرة كيف فقد المسلمون مدينتي سبتة و مليليه المغربيتين :

« حسب المؤرخ المغربي حكيم بنعزوز، يرجع استعمار سبتة إلى سنة 1415 على يد البرتغال التي كانت تشن حروبا صليبية على الوجود العربي المغربي الإسلامي بالأندلس».

ويقول كذلك:

« أما مدينة مليلية فلها قصة أخرى -حسب المؤرخ المغربي- وهي أن أحد الرجال الإقطاعيين الإسبان، الذي كان ينظم حملات لأميركا، أخبر بوجود مدينة مغربية هجرها المغاربة، فتوجه نحوها واحتلها يوم 19 يوليو - تموز - 1467، ثم احتفظ بها حتى سلمها سنة 1553 ميلادية للتاج الإسباني، وتعرضت بدورها لحوالي 105 مرات لحصار مغربي».

المؤلفات التاريخية التي كتبها العرب في أغلبها والكتب المدرسية المتداولة في المدارس الجزائرية خاصة، تعرف على أن الامير عبد القادر، قاد مقاومة ضد المحتل الفرنسي وأنها دامت سبعة عشرة عاما، وأضحت من البديهيات العامة رغم كذبها وأضحى الخروج عنها خروجا عن الوطنية والانتماء.

نذكر القبائل الكبرى التي أوقعت الحوادث العظيمة سلبا وإيجابا مدا وجزرا في تاريخ الجنوب الجزائري هي ثلاث:

I قبيلة أولاد سيدي الشيخ: عائلة أولاد سيدي الشيخ حلت بالصحراء الجزائرية قادمة من تونس، الأب الروحي لهذه القبيلة هو سيدي الشيخ

1534 ـ 1615 ميلادية، هو من أكسب القبيلة اسمها، لعبت أدوارا خطيرة في تاريخ الجزار، ولا سيما الناحية الغربية لوهران، الشيوخ الذين تعاقبوا على القبيلة هم: سي الحاج بوحفص وسي الحاج عبد الحاكم و سيدي شيخ بن الدين و سي العربي مولاي العافرة و سي أبو بكر بن سيدي العربي وسيدي العربي بن أبو بكر و سي أبو بكر بن سيدي العربي وأخيرا سي حمزة بن سيدي أبي بكر هذا له دور خطير، حيث مكن الفرنسيين من الصحراء لصلاته الوثيقة بسلطان المغرب، تزوج السلطان أخته الياقوت بعد سنة 1850 ميلادية حسم سي حمزة بن سيدي أبي بكر معركة الأغواط والصحراء لصالح فرنسا هو ووالده وبعض من إخوته، وبعض من أبنائه، ومن الذين قادوا الجهاد ضد فرنسا من العائلة سي لعلا بن أبي بكر وآخرين، نعرفهم في سياق أحداث المقاومة الشعبية بالصحراء.

II قبيلة الأرباع:

قبائل الأرباع تضع خيمها حوالي مدينة الأغواط، وهي تنقسم:

1. المعامرة
2. السكاسكة
3. أولاد سيدي عيسى
4. الحجاج
5. أولاد أونيس أولاد ورقلة
6. أولاد صالح
7. أولاد داود
8. أولاد عطية
9. أولاد عبيد

مع قبائل الأرباع تنتشر قبائل أخرى أنحاء الأغواط:

قبائل الحرازلية: تضع خيمها في مناطق سيدي خالد و تقرت والشبكة ـ عند بني ميزاب ومناطق الأغواط، وهم ينقسمون إلى:

1. أولاد سيدي سليمان
2. أولاد سيدي يحيى

الحرازلية يمتلكون الجمال خاصة، وقطعان الغنم، ويمتلكون من الخيول قلة يمتهنون مهنة الرعي أغلب السنة مع موسم التمور، يأخذوا حاجته من التمر من أسواق تماسين وتقرت ثم يبيعونها في أسواق جبل السحاري وجبل العمور وأسواق الأغواط، ويصلون كذلك أسواق ميزاب. يقايضون التمور بالمنسوجات الصوفية والمواد الأساسية التي تدخل في حياتهم اليومية، وهم مثل بقية قبائل الأرباع، يؤجرون جمالهم لسكان القصور لنقل البضائع للأسواق القريبة والبعيدة، الحرازلية أيام الحرب والسلم، لا يقفون تجارتهم هم في تنقل دائم ومستمر.

قبيلة أولاد سيدي عطا الله: قبيلة صغيرة، تنسب نفسها لشخص مرابط تحمل اسمه يسكنون قصر تاجموت، ويضعون خيمهم حوله القصر وظيفته تخزين الحبوب، يرتفع ضريح المرابط شمالا قرب القصر، لما دخلت فرنسا أولاد سيدي عطا الله بالكاد يحوزون خمسين من الأحصنة، وخيمهم بالكاد عددها مائة كغيرهم يملكون قطعان الغنم وبعض الجمال هم كذلك يؤجرونها، يوم احتلال تاجموت أهم سادتها سي قويدر بن محمد وسي بوبكر بن يحيى[1].

قبيلة المخاليف:

[1] Sahara algérien. Page 14.

نقرأ ابن هطال رحلة محمد الكبير الصفحة 72 وما بعدها:

« ورجعوا لإكمال الستين خادما الباقية من المائة، والمائتين جملا وخمسين جملا. وأوعدوه بأنهم سيبعثون أربعة من الخيل التي سرقها المخاليف تصله في منزله هذا، وما بقي من اللزمة، فلم يقدروا على لحوقه في الطريق بها، وإنما يحملونها جملة إلى معسكر وإن قدرنا اللحوق فتبارك الله».

هذا نص عارض خارج سياقه، يؤكد أن قبيلة المخاليف موجودة منذ أيام العهد العثماني لأن رحلة الباي محمد الكبير، واقعة سنة 1785 ميلادية لابن هطال التلمساني، الكتبة الفرنسيون ربطوا قبيلة المخاليف بالنسيج الاجتماعي لمدينة الأغواط، إلا أنني لم أقف على دراسة موثقة لهذه القبيلة، ولم أجد لها ذكرا خاصا منفصلا، وظهر لي السبب أن مسمى المخاليف، له وجود في مناطق أخرى من المغرب العربي. لهم وجود في منطقة وهران خاصة، كل كتب التاريخ المحلية تذكر ذلك، منها كتاب طلوع سعد السعود في أخبار وهران للآغا بن عودة المزاري من أجل ذلك، أرى أن المدخل الوحيد لكتابة تاريخ هذه القبيلة هو أن نفصل في صلتها بالقبائل التي تحمل هذا المسمى، وأنا العبد الضعيف لم يسعفني الوقت بعد لأفصل في هذه المسألة، لأنه يحتاج إحاطة كبرى بالكتب المغربية والجزائرية التي أرخت للقبائل، وأما أن نكتفي بشجرة النسب، هذا لا يحقق غاية البحث، ما هو متفق عليه بين الكتبة الفرنسيين، أن قبيلة المخاليف لها وشائج وصلات بقصر الأغواط، وأنهم عملوا كما عمل غيرهم في تربية القطعان. لهم قيم أخلاقية تفوقوا بها على غيرهم، أتكلم هنا قبل الاحتلال، أنهم محل ثقة، وأنهم لا يصنفون ضمن القبائل المتمردة عن العرف، يذكر الكتبة الفرنسيون أن عائلة بن سالم الغنية الثرية حلفاؤها هم مخاليف الصحراء، أما لفظ الجرب الذي عرفوا به، جاء متأخرا وهو يدخل في الحرب النفسية التي

شنها الحلف الماسوني الصليبي على المقاومين. المخاليف أيام المقاومة المباركة لهم راية تخصهم، وهم كقبائل الأرباع قاتلوا تحت راية البطل المجاهد محمد بن عبد الله، وهم ممن أوقف مشروع الأمير عبد القادر. لما فشل الأمير في بناء دولة الأشراف وقبل أن يستسلم، كانت له آخر وقفة في الصحراء وقفها عند سيدي مخلوف وقف متألما متحسرا، ولم يبق له من الحلفاء إلا سي الشريف بن لحرش خليفته على أولاد نايل، هذا الأخير خدم المحتل الفرنسي، وقاتل تحت رايته.

قبيلة المخاليف هم أنصار وحلفاء طبيعيون لبني ميزاب، بحكم تواجدهم في شبكة بني ميزاب لما تخرج القوافل من قصور بني ميزاب، يتكفل المخاليف بحمايتها ويوفرون لها الأمن حتى تصل مناطق التل، ومن العادة والعرف الذي يذكر أن شيخ بني ميزاب يهدي لكبير المخاليف كسوة نسائية تمنح لزوجته. المخاليف لم يقفوا مع المحتل ولم يقاتلوا معه، كما فعلت قبائل أخرى طلبا للحماية، وأقصى ما وجد عندهم قومية، لأن فرنسا فرضت على كل القبائل، أن تقدم عددا محدودا من الرجال، يقومون بهذه الوظيفة وهي أمنية خالصة ومثلهم مثل الآخرين. يتكلم أ . مونجان[1] كتابه معلومات عن تاريخ الأغواط عن ثورة المخاليف وملخصها أنهم حضروا كلهم، وأحاطوا بأسوار وجدران الأغواط يعلنون العصيان والتمرد، وهذا نفسه يحتاج بحثا مستقلا. المخاليف فرقتان فرقتهم الجغرافية فرقة المخاليف الزرق، وسبب التسمية أنهم استوطنوا جبل لزرق ولهم مدينة تضمهم هي سيدي مخلوف، هي في الأصل محطة توقف للقوافل. أما فرقة مخاليف الصحراء وطنهم الشبكة القريبة من قصر بريان ونواحي ما يعرف اليوم حاسي الرمل هؤلاء اشتهروا بالصيد، وخاصة صيد النعام، وهم كغيرهم لا

---

[1] معلومات حول تاريخ الأغواط ترجمة المؤلف فيه محطات تؤرخ لقبيلة المخاليف.

أحد يزايد عنهم في الفروسية وأخلاق البادية. أما الذين يقولون أن مخاليف الأغواط، ما هم إلا جزء من قبيلة عربية كبرى لها وجود في الوطن العربي ويذكرون مناطق لهم داخل وخارج الجزائر لهم وجود في المتيجة وبالتحديد منطقة شفة، وكذلك بلاد القبائل، ومناطق بشار وهناك مخاليف حركات وكذلك للمخاليف وجود في المغرب وتونس وليبيا ومصر والحجاز وبلاد الشام والمخاليف يدعون أن الضريح المرفوع في سيدي مخلوف، أن صاحبه اسمه أحمد، ابن المرابط مخلوف، وهم كغيرهم من القبائل التي تدعي الشرف وينسبون أنفسهم للأدارسة.

III قبائل أولاد نايل والتحرر من المشروع الماسوني:

قبائل الأرباع لا يدعون النسب الشريف، وثقافتهم ترفضه بالمطلق، لا يرفعون الأضرحة[1] طردوا الحاج عيسى لما جاء مدينة الأغواط، وأراد أن يؤسس لنفسه نظرية في النسب الشريف. أما قبيلة أولاد سيدي الشيخ، الظاهر أنها حلت مع ما يعرف بزحف بني هلال، وهم لا يدعون النسب الشريف، بل ينسبون أنفسهم لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه. أولاد نايل ينسبون أنفسهم للنسب الشريف أبناء السيدة فاطمة رضي الله عنها، ويرجعون نسبهم لأبناء إدريس الأكبر، وكيف وقع بعد وفاة ابنه ادريس الأصغر أن قامت زوجة ادريس الأكبر المسماة كنزة، والبعض يضيف لها لقب المرضية، توزيع ممالك المغرب على أبنائها، لتؤسس دولة الأشراف، إلا أن اقتتال أبناءها على الملك

[1] ضريح المسمى الحاج عيسى في الأغواط، رفع بعد احتلال الجزائر، وكذلك الضريح الكاذب المزور المسمى ضريح سيدي عبد القادر الجيلالي، رفعته فرنسا كل الأضرحة التي رفعت أيام الاحتلال الفرنسي في الجزائر، وقفت وراءها الدعاية الصليبية الماسونية.

فيما بينهم وظهور بني مروان في الأندلس، أفشل هذا المسعى، حاول الأمير عبد القادر أن يبعث من جديد دولة الأشراف، إلا أن عين ماضي وبني لغواط، أفشلوا مشروعه.

سنة 1836 ميلادية، قام الأمير بجولة في وطن أولاد نايل1 التقى مع كبراء القوم من الأشراف والأعيان، ليقنعهم بمشروعه السياسي ودولة الأشراف، التي عزم على تأسيسها سنة 1834 ميلادية، استطاع أن ينهي مشروع الحاج موسى بن حسن في المهد، ويمنع ظهور مقاومة مسلمة تحمل راية السلطان العثماني مع العلم، أن الحاج موسى بن حسن الدرقاوي، شكل نواة جيشه في مدينة الأغواط، وانتهت بهزيمة بني لغواط وحلفائهم وقائدهم الدرقاوي في معركة عمورة قرب المدية2 من الحلفاء الطبيعيين لبني لغواط الذين سقطوا شهداء في معركة عمورة هم و فرق من أولاد نايل.

لما أراد الدرقاوي أن ينجد المسلمين في واحة الزعاطشة، أعلن النفير وطلب من أولاد نايل الذهاب ونصرة الإخوة، إلا أن الماسوني سي المختار في أولاد جلال، أحبط هذا المشروع، وكان السبب في رفض أولاد نايل الخروج وأستشهد الدرقاوي في واحة الزعاطشة سنة 1849 ميلادية. لما أفشل سي المختار مشروع الدرقاوي، بات الباب مفتوحا على مصراعيه، ليدخل الأمير عبد القادر، ويني حلمه في تأسيس دولته دولة الأشراف. ظهرت شخصية من أولاد نايل هو سي القندوز، بايع الأمير عبد القادر وقبل أن يقاتل تحت رايته بعد سنتين يحل محله ابن أخيه المسمى سي الشريف بالحرش. الأمير عبد

[1] راجع حياته وحربه على المسلمين كتاب تاريخ عين ماضي للمؤلف.

[2] راجع معركة عمورة وسيرة المجاهد البطل الحاج موسى بن حسن تاريخ بني لقواط.

القادر جعله خليفة على أولاد نايل، وعين معه ثلاث رجال يحملون صفة الأغا هم: التلي بلكحل ومحمد بن عطية وعبد السلام. الأمير استعان بهؤلاء في صد غريمه السيد أحمد التجاني، فكانوا معه لما حاصر عين ماضي وقصفها بالمدافع، وشرد أهلها، ونقض أسوارها وجدرانها، وجرف بساتينها معركة عين ماضي التي قادها الأمير، ساهمت فيها قوة معتبرة من فرسان أولاد نايل. سنة 1846 ميلادية مجاميع من أولاد نايل، ساعدت الأمير عبد القادر في تأديب القبائل التي اعترضت على مشروع دولته دولة الأشراف، واعتبرها نصرة للفرنسيين خاض حربه ضد معارضيه في مرتفعات المدية، ومنطقة القبائل، شاركوا معه في معارك من أهمها معركة عين الكحلة، ضد الجنرال يوسف، ومعركة الخرزة في الناحية الشرقية للزعفران، هذا واقع سنة 1847 ميلادية.

الهزائم التي عرفها الأمير في عين ماضي والأغواط، وفشل مشروعه في بناء دولته، دفع به للاستسلام، هنا ظهرت معطيات جديدة، الأغا التلي بالكحل انضم للحركة الجهادية المستمرة في الأغواط، والتي عرفت ثلاث مراحل: الأولى مرحلة التأسيس التي سبقت الاحتلال، وهي قدوم الشيخ السنوسي لمدينة الأغواط، والقيام بالتحضير والاستعداد للجهاد تحت راية السلطان الشرعي للمسلمين، السلطان العثماني. المرحلة الثانية قدوم المجاهد السيد موسى بن حسن، والتنبيه لخطر الأمير عبد القادر، والخروج هو وبني لغواط سنة 1834 ميلادية، لتحرير العاصمة الجزائرية، المرحلة الثالثة وهي قدوم المجاهد محمد بن عبد الله، قائد الجهاد في القطر الجزائري، المفوض من قبل الدولة العثمانية.

التلي بالكحل والأحرار من أولاد نايل، جعلوا أميرهم التلي والتحقوا بمدينة الأغواط ودافعوا عن المدينة. سي الشريف بالحرش وأنصاره وأتباعه، أعلنوا

النصرة للفرنسيين ورفعوا رايتها، وقاتلوا تحتها ولهم معارك أهمها في مدينة الأغواط. انتهت بهزيمة سي الشريف من قبل بني لغواط، وتم الظفر به وقتله يعتبر التلي بالكحل هو الرمز للمقاومة الشرعية، استطاع أن ينهي مشروع الأمير عبد القادر الذي راهن فيه على غرس العداء بين المسلمين في الأغواط أحلاف وأولاد سيرغين، وقبائل الأرباع وقصور الأغواط، واخونهم في الدين قبائل أولاد نايل، هذا الفعل المقيت البغيض، ما زال له أثر في نفوس بعض الدهماء والمغفلين، ليومنا هذا. الكتبة الفرنسيون، توقفوا كثيرا عند حوادث الطيب بوشندوقة، إلا أنها ثورة لم يكتب لها النجاح، والسبب أن قادتها أفرطوا في الفكر الخرافي، واستندوا للدجل والخرافة وهي مشابهة لثورة بومعزة.
يوم 10 أكتوبر 1854 ميلادية، قامت انتفاضة فرقة من أولاد نايل تسمى أولاد أم الخاوة ـ الاخوة ـ وقعت لما هاجم أولاد أم الخاوة مجموعة عسكرية تابعة للمحمية العسكرية في الجلفة في منطقة، تسمى أم الناقة جنوب الجلفة.
لما عرف المسلمون ما وقع لمدينة الأغواط من قبل التحالف الماسوني الصليبي شهر ديسمبر 1852 ميلادية، أعلن أولاد طعبه وهم من أولاد نايل، يومها وضعوا خيمهم جنوب الجلفة، أعلنوا العصيان والتمرد ضد الفرنسيين وحلفائهم واستمرت هذه الانتفاضة المباركة حتى شهر مارس سنة 1854 ميلادية، ما ذكر في هذا الفصل وفي غيره يعود فيه الفضل للمترجم الفرنسي أرنولد، هذه الفصول نشرت في المجلة الإفريقية وهي موجودة على المواقع الالكترونية، والله علم الانسان ما لم يعلم.

القرن العشرون هو الفترة الزمنية الممتدة بين 1901 و 2000 للميلاد، هو قرن الحساب والعقاب للبشرية، عرف أعظم حربا أهلية في تاريخ الانسان اقتتل فيها المسيحيون، ونعني الحربين العالميتين الأولى والثانية، هما من أعظم الحروب، زهقت فيها ملايين الأنفس. دفعت الامبراطوريات الاستعمارية ثمنا غاليا، تجني حصاده ليومنا هذا انتهت الحروب الصليبية التقليدية، التي بدأت مع سقوط غرناطة، وحسم هذا الحلف كل معاركه لصالحه، بداية اقتحم الصليبيون العالم الجديد وسكنوه، وادعوا أنه عالم جديد هم من عرفه أول مرة العالم الجديد المسمى أمريكا، أمسك راية الصليب، ورفعها عاليا وحسم معارك الخصوم في الحربين العالميتين. سقطت أعظم خلافة في تاريخ المسلمين الخلافة العثمانية، تعتبر في المرتبة الثانية بعد الخلافة الأموية العظيمة من حيث العظمة والتوسع والقوة وقهر الأعداء، تقاسم حلفاء الاستعمار الصليبي ممالك المسلمين ظهر نظام ديني ثيوقراطي في بلد الحجاز من ابداعاته، نظريته في العقيدة الصحيحة والفرقة الناجية، تم تثبيت الحكم العلوي في المغرب الأقصى، وتم زرع ثقافة الخنوع والتذلل وتقبيل الأيادي والأرجل، هذا القرن سجل كذلك خروج المسلمين من التاريخ ثم الجغرافيا.

بدأت أوطانهم في السقوط، بعد آلاف السنين أضحى لليهود وطنا على أرض فلسطين وحتى يكتمل نصر هذا التحالف، ظهرت ثورة الشيعة المجوس قادها الهالك الخميني وحملته طائرة فرنسية منتصرا من باريس إلى طهران، وأول ما وصل بدأ يصدر ثورته المزعومة، زمن قليل وبدأت العواصم العربية تسقط الواحدة تلو الأخرى، سقطت بغداد عاصمة الرشيد، سقطت دمشق عاصمة

سيدنا معاوية وبني أمية، سقطت عاصمة اليمن السعيد صنعاء، سقطت بيروت وهلم جرا.

ما دخل القرن العشرين حتى أضحت قبيلة أولاد نايل من أكبر القبائل في الجزائر، من حيث التعداد والانتشار الجديد الذي وقع، أن هذه القبيلة انقسمت إلى شراقة وغرابة هذا التقسيم وقع مع كل القبائل في الجزائر، وتم هذا التقسيم تبعا للموقع الجغرافي:

أولاد نايل الشراقة:

1. أولاد خالد
2. أولاد عمارة
3. أولاد رحمة
4. أولاد رابح
5. أولاد الساسي
6. أولاد حركات
7. أولاد خاوة
8. أولاد زير
9. أولاد صالح
10. أولاد طابة
11. أولاد عيسى
12. أولاد عيفة
13. أولاد فرج
14. أولاد سيدي زيان

15. أولاد لعور
16. أولاد أحمد
17. أولاد عامر

أولاد نايل غرابة:

1. أولاد يحيى بن سالم
2. أولاد نوح
3. أولاد سعد بن سالم
4. أولاد كرد الواد
5. أولاد مجبر
6. أولاد محمد بن مبارك
7. أولاد رويني بن سالم
8. امباركة أو عبيد الله

كل قبيلة من قبائل أولاد نايل، تتفرع لفرق يعيشون حياة البداوة، يسكنون الخيم لهم خيمة تخصهم، وخيمتهم حمراء، ينتشرون في الأرض، أهم مناطقهم يتواجدون شمال مدينة بوسعادة وغرب الشارف والأغواط، ومن ناحية الجنوب يشملهم واد جدي، ومن ناحية الغرب أولاد جلال والمسيلة، مع العلم أن واد السحاري يشكل حوض من أحواض واد الجدي. السلطة الفرنسية لما أمسكت الأرض، بقي أولاد نايل الشراقة والغرابة دون سواهم، فرقهم لا يحكمها قياد معينون من سلطة الاحتلال، هم أنفسهم كانوا يختارون القياد، وكل قايد يشترط فيه أن يكون شيخا، له مكانة خاصة بين قومه، والأهم أن كل شيخ مستقل عن شيوخ فرق أولاد نايل الأخرى.

الظاهر أنه السبب الذي ترك فرنسا تترك أمر تعيين القياد للفرق، لأن هذه الفرق تتوالد وتتكاثر تبعا لنفوذ الأقوياء، داخل القبيلة والعرش والفرقة ويفترض في الشيخ الجديد أن يكون غنيا، وصاحب عصبية والأكثر أن يحمل صفة الشرف أي السيد. العبارة المتداولة بين الفرق قولهم : « فلان عنده أكتاف » مع العلم أن القرن التاسع عشر والثامن عشر، بضاعة الخوارق والكرامات وأسرار أولياء الله الصالحين، فقدت قيمتها مع تطور العلوم وخاصة التواصل وخروج الناس من العزلة الجغرافية، وظهور عين أخرى ترصد وهي عيون المحتل، ولما دخلت فرنسا الجزائر، توقف نفوذ سلاطين المغرب، وتوقف دخول جواسيسهم، وحكاية جاء من المغرب أو عاد إليه وترك ولدا انتهت وإلى الأبد.
القرن العشرين رصدت الادارة الفرنسية عائلات غنية، لها قوة ونفوذ مالي واجتماعي ووصلت إلى النتيجة التالية:
أولاد نايل الشراقة : هناك عائلتان الأولى عطية بن ابراهيم من أولاد عيسى الثانية عائلة نهومة من أولاد عيفة.
أولاد نايل الغرابة : نجد العائلات الغنية التالية: أولاد التومي بن التومي، أولاد نوح عائلة محمد بن شتوح، هؤلاء من أولاد سعد بن سالم، هناك عائلة محمد بن فوضيل من أولاد سي إمحمد.
أين ارتحل أولاد نايل واجهتم معضلة اقتصادية، عدم قدرتهم على توفير حاجاتهم من الحبوب انتاجهم ضعيف، ولا يسد حاجاتهم اليومية، هذا جعلهم يقومون برحلة الصيف يتجهون ناحية التل، هذا الفعل تقوم به قبائل الصحراء من أجل ذلك، كانت لهم قصور جعلت أساسا لتخزين الحبوب والبذور، وهي تمدهم كذلك بالأدوات التي يحتاجونها في الحرث والبذر والحصاد، وتلبي كذلك

بعض الأدوات البسيطة التي تدخل في التدبير المنزلي، هذه القصور لها أسواق تحقق مبدأ المبادلة مقايضة ونقدا، من أهم قصور أولاد نايل:

1. الشارف
2. مسعد
3. حمورة
4. الهامل
5. عين غراب
6. عين الملح
7. سيدي خالد
8. عين الريش
9. بوفرجون
10. القديد
11. عين مجدل
12. دمد
13. أولاد جلال
14. بوسعادة

قصور أولاد نايل لا طاقة لها بتحقيق الاكتفاء الذاتي، وأمام قلة النقد يستعين الناس بالمقايضة ولأن بيوت أولاد نايل ورشة عمل، ويصدق فيهم تعريف أرسطو للاقتصاد : « هو علم التدبير المنزلي » تنتج النساء الألبسة الصوفية ومن أفخر ما ينتجن البرنوس والحايك الرجالي والنسائي وهن ما هرات في نسج الخيم، لنسج الخيم يجمعن بين الصوف ووبر الجمال. الغريب أن النساء يعتبرن

عملهن هذا فرجة وفسحة، ولما يقمن بأعمالهن يتشاركن في الغناء والمسامرة أولاد نايل يتملكن الجمال. هناك عائلات تمتلك أكثر من سبعمائة و ثمانمائة تسخر للقوافل مقابل أجر محدد، حتى أن بعض أفراد هذه القبيلة وظيفتهم هي نقل البضائع، والتجول بين الأسواق، ومن أهم النشاطات اقتناء الحبوب من التل ونقلها إلى أسواق الصحراء، ومنهم من يوسع حركته حتى أنه يصل تونس ومناطق قسنطينة، هؤلاء هم محل ثقة أينما انتقلوا وارتحلوا، ولهم مراكز خاصة لتجمعاتهم، أهمها أسواق بوسعادة، ومنها يصلون إلى مناطق الزيبان وبسكرة وأسواق الأغواط بل ويقتحموا الأسواق الكبرى، كأسواق بني ميزاب و تقرت.

قبائل أولاد نايل هي حلقة الوصل بين الصحراء والتل من أجل ذلك، حرصت القبائل على تأمين مسارات القوافل، ومن وفر هذه الحماية فرسان أولاد نايل لردع اللصوص وقطاع الطرق وأكثرهم خطرا القبائل المتمردة على العرف والشرع، عافت في الأرض فسادا، استطاع هؤلاء الفرسان أي فرسان الحماية من جمع أموال طائلة.

أعظم ما تملكه القبائل الرحل ومنهم أولاد نايل، الاستقلال الاقتصادي التام خارج البيع والمقايضة، لا يحتاجون شيئا، مكنتهم الخيمة من امتلاك القطاع قطعان الغنم والجمال، وأعداد معتبرة من الحمير، هم سادة أنفسهم. لذلك المشروع الاستعماري خطط لجعل القبائل الرحل وأهل القرى و الدواوير كساكني المدن، حياتهم متعلقة بالآخر، الديكتاتوريات التي حكمت الدول العربية بعد الاستعمار الفرنسي والانجليزي، حولت المجتمعات من مجتمع منتج إلى مجتمع مستهلك يستهلك بضائع الغير. المسلمون أيام الاستعمار، يسمون الخبز المنتج في الأفران خبز النصارى ولولا أنه طعام به تحيى النفس لحرموه، وكانت المرأة

الواحدة تضع في عنقها من قطع الذهب الخالص، ما قيمته تكفي عائلة في دورة بشرية كاملة، يوم كان للنقد والمعدن الثمين قيمة، قبل أن يسرق من الدول العظمى، ويستبدل بما يسميه الناس الآن العملة الورقية، التي لا تساوي قيمة الورقة التي طبعت عليها.

القبائل النايلية كغيرها من القبائل في العهد العثماني، عرفت الرفاه الاقتصادي أولاد نايل الشراقة ألحقتهم الدولة العثمانية عمالة بقسنطينة، أما الغرابة ألحقتهم عمالة التيطري، فرضت عليهم السلطات دفع غرامة تسمى اللزمة، تعطيهم الحق في التنقل واقتناء الحبوب من أسواق التل ودخولها بكل حرية. لما بسط الأمير عبد القادر سلطته زمنا على أولاد نايل، ضم أولاد نايل لخليفته على بسكرة أما الغرابة ضمهم لخليفته في المدية، و أجبرهم على دفع الزكاة والعشور وكذلك ضريبة اللزمة.

الاعتقاد بأنك سيد والآخر عبد، ليست من الاسلام، مصدرها الفلسفات القديمة وكذلك الديانات المحرفة، والقول بأنك في مرتبة دون الغير، قالها اليهود والمسيحيون، يقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المائدة: 18.

تتبدى النزعة المتطرفة في التمييز الحادّ والقاطع، بين اليهود كشعب مختار أو كشعب مقدَّس، يحل فيه الإله من جهة والشعوب الأخرى التي تقع خارج دائرة القداسة من جهة أخرى. فقد جاء في سفر أشعياء 5/61 ـ 6: « ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم. أما أنتم فتُدعَون كهنة الرب تُسمَّون خدام إلهنا. تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتأمَّرون».

كما جاء في سفر ميخا 12/4: « قومي ودوسي يا بنت صهيون لأني أجعل قرنك حديداً وأظلافك أجعلها نحاساً فتسحقين شعوباً كثيرين».

عقل المسلم في تاريخه المعاصر، مثقل بالخرافة والوهم، وهو صناعة منظومة محترفة في تشكيل الوعي، وضبط الادراك لدى المتلقي، المسلم ثقافته تلقاها من المدرسة وأحسنهم أضاف لها ثقافة الكتب، وأكثرهم علومهم ومعارفهم تأتيهم سماعا من شيخ و معلم ومثقف، هذا العقل المتصدع، يتلقى المعلومة ويسلم بها دون نظر، ولا تمحيص، بعد زمن قليل تتحول إلى اعتقاد مؤسس، ينافس الوحي، هذا العقل نفسه يخلق العالم الوهمي، ويصدقه ثم يعيش فيه، عالم الخرافة والخوارق والأبطال. وإذا أراد أن يقرأ العالم يقرأه كطلاسم ورموز

وحقائق لدنية، نظريته مشتركة مع العقائد الوثنية، والديانات الشركية. انتظار اليسوع المخلص، وانتظار بناء الهيكل، وانتظار المهدي المنتظر، حتى المعلومات البسيطة المتوارثة، لا يستطيع تصنيفها خارج التعريف القاموسي والموسوعات العالمية. هتلر نازي وقتال، وهو هازم فرنسا ومحطم مجدها، جعله الله تبارك وتعالى عذابا وألما مفتوحا إلى يومنا هذا في أمة، استعانت علينا بالمنافقين والمرتدين، لقهرنا واذلالنا ونشر الرذيلة فينا، يعرف عندنا وفي مدارسنا خاصة على أنه مؤسس الفكر النازي، وأنه قاهر الشعوب المحبة للسلام، ثقافة تاريخية كاذبة. أينشتاين صاحب نظرية النسبية وأب القنبلة الذرية، وهذا كذب وتقول على التاريخ العلمي المعاصر. أديسون المخترع العظيم وهو كذلك قول كاذب، لا يصدق بمجموعه. أمريكا أعظم دولة، والجندي الصهيوني لا يهزم، والعرب بدو وأعراب وهمل، والمسلمون قتالون، يقطعون الرؤوس حتى الثقافة المبتذلة والساقطة وهم وخرافة، هذه كوكب الشرق، وذلك العندليب الأسمر، وقس على ذلك، مما قرأنا في الكتب والصحف، وتعلمناه في المدارس.

مما قرأنا وحفظناه في الفصل الدراسي مادة التاريخ، هذه المعلومة الخطيرة والكاذبة شامبيلون فك رموز حجر الرشيد، شامبيلون هذا تعرفه ويكيبيديا الفرنسية: Jean-François Champollion ولد يوم 23 ديسمبر 1790 ميلادية توفي يوم 4 مارس 1832 ميلادية يعتبر من علماء المصريات، ويعتبر أول من فك رموز اللغة المصرية القديمة يُخبر عن نفسه قائلا : « أنا أنتمي لمصر وهي وجودي وفكري» اعتقدنا زمنا أن اللغة المصرية القديمة، لم يعرفها المسلمون، وبالتالي أن القول بأن علم الفراعنة، لم يصل الأمة الاسلامية وبالتالي أن فرضية تلقي علوم السحر والخرافة والشعوذة لا تصح، ولما نقول أن الدجالين الذين سكنوا جبل السحاري، ومناطق أخرى من الشمال الافريقي

وغيره من الأقطار الاسلامية، لا تثبت والدليل أن شامبيلون هذا، هو أول من فك طلاسم ورموز اللغة المصرية الفرعونية، المسماة الهيروغليفية وغيرها. إلا أنني لما عثرت على مخطوط مؤلفه ابن وحشية[1] غيرت مسلمات البحث واعتمدت الفرضية المبرهن على صدقها، وهي أن العرب عرفوا الفكر الوثني الفرعوني في لغته الأم، هذا الكتاب عمره أكثر من 1100 سنة، ذكر أنواع اللغات والحروف نحو 80 لغة، شوق المستهان في معرفة رموز الأقلام، عاش المؤلف في القرن الثالث الهجري في العراق، وهو من علماء الكيمياء، واشتغل بالسحر والشعوذة.

نقرأ في مقدمة الكتاب :

« الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى آمين وبعد فانه لما سألني من لا ترد دعوته أن أجمع له أصول الأقلام التي تداولتها الأمم الماضية من الفضلاء والحكماء السالفين والفلاسفة العارفين مما رمزوا بها كتبهم وعلومهم لينتفع به الطالبين والراغبين للعلوم الحكمية والأسرار الربانية ذاكرا القلم برسمه القديم واسمه المشهور وشرح حروفه بالقلم العربي تحته بالمداد الأحمر ورتبته على أبواب وسميته شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام والله المستعان».

نقرأ في الكتاب من باب الاستشهاد: « الباب الأول في معرفة الأقلام الثلاثة أي الكوفي والمغربي و الهندي الفصل الأول من الباب الأول في معرفة القلم الكوفي نقرأ: الفصل الثالث من الباب الأول في معرفة القلم الهندي وهو ثلاثة أنواع نقرأ: الباب الثاني في الأقلام السبعة المشهورة الفصل الأول من الباب الثاني في القلم السرياني نقرأ: الفصل الثاني من الباب الثاني في القلم النبطي

---

[1] https://drive.google.com/file/d/0B0y4... الرابط

القديم الفصل الثالث من الباب الثاني في القلم العبري نقرأ: الفصل الثالث والعشرون من الباب الرابع في صفة قلم الحكيم أرغانيس اليوناني صاحب التراكيب العجيبة والأخلاط والدخن الغريبة وأعمال الترياقات الملوكية والأدوية العجيبة».

لما أردت أن أثبت بالعلم، أن السحر الفرعوني له وجود وله أصول، وأن الدجالين الذين حذقوا فن الخرافة والخوارق، لهم كتب يدرسونها وهي كثيرة ومن أهمها كتاب السحر لابن وحشية صاحبنا هذا، هو من شيوخهم العارفين، وبالصدفة قابلت بين صفحتين من كتابين مختلفين، الكتاب الأول هو شوق المستهام لصاحبنا ابن وحشية، الكتاب الثاني الحروف الهجائية عند قدماء المصريين لعالم آثار نمساوي، اسمه جوزيف هامر Joseph Hammer الكتاب[1] طبع سنة 1806 ميلادية، نجد أنه أخذ الرمز والحروف القديمة من كتاب الأقلام، بل الأكثر من ذلك، هو يصرح أن ابن وحشية نقل من اللغة النبطية مجموعة كتب من أهمها: كتاب الدر النظيم في أحوال علوم التعليم ويقصد هنا تعليم السحر وصناعة الخوارق، ونقل كذلك كتاب سدرة المنتهى وكتاب السيمياء وكتاب السحر. صفوة القول أن هذا الميراث المادي الوثني ودخوله الأمة الاسلامية هذا الميراث هو مشترك بين اليهودية والصليبية والوثنية، نسميه من باب فلسفة التاريخ التحالف الصليبي الماسوني، وله أوجه متعددة، أكثرها واقعية ووضوحا ما فعله هؤلاء الدجالون، أدعياء معرفة الغيب

---

[1] يمكن تحميله من المواقع:

Joseph Hammer Ancient Alphabets And Hiroglyphic Characters London 1806.

وصانعي الخوارق في فتح الطريق أمام المحتل الصليبي واليهودي، ليدخل الأمة ويحتلها، يقول عز من قائل في محكم النزيل: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ الأنفال الآية: 30

نتكلم الآن عن الميراث المعنوي، وهو أكذوبة النسب الشريف، بعدما تكلمنا عن صناعة الخرافة، وهي تمثل الوجه المادي للبغي والضلال في الحالتين سندي الشرعي، هو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ التوبة الآية: 73

لما ترفع رأسك ناحية السماء، وترى شروق الشمس، هذا نسميه الوضوح الذي لا يحتاج إلى برهان، من أجل إثبات وجوده: هل أرسل خير البرية عليه الصلاة والسلام ليصنف الناس عبيدا وسادة ؟ هذا فعل الفلاسفة وليس فعل الأنبياء، نظرية السيد والعبد والسادة والعبيد، والشريف والوضيع فلسفة وثنية بامتياز، هل نبي الرحمة بعث ليورث الحكم ويجعل لنا أوصياء ؟ هل نحن نعيش في بابل أو بلد اليونان ؟ من أجل ذلك تحليل العقد النفسية الجماعية تتقدم عن كل بحث علمي، كفار قريش يرفضون أن يقولوا : لا إله إلا الله رفضا مطلقا، ويقولوا لما يسألوا من ربكم يجيبوا ربنا رب العالمين لما يفقه المسلم الفرق بين الله والرب، يعتدل عنده ميزان الحكم، وتصح عقيدته، ويفقه أنه لا يحتاج ولي ولا وصي، ولا ضريح ينزل عنده طلبا للدعاء. لما كتبت كتابي اللسانيات النظرية العامة في اللسانيات الاسلامية، عالجت فكرة دلالة المصطلح، كما يسميها علماء اللغة القدماء معنى المعنى، لأن اللفظ الواحد له المعاني المختلفة. فنحن مثلا لا نميز بين المفاهيم التالية : آل البيت، أهل البيت أهل النبي، آل محمد، هذه المفاهيم سبب الالتباس فيها، أنها تلتقي وتفترق في

آن واحد، المشكلة أن القواعد اللغوية الكلاسيكية لا تسعفنا في رفع الالتباس لأنها تقوم على نظرية فلسفية هي ثبات المبنى والمعنى، ما يسعفنا في الفهم ورفع الغموض، هو اعتماد النظرية اللسانية المعاصرة، ثبات المبنى وتغير المعنى وسبب التغير هو العلامة اللغوية، لأن الألفاظ : آل البيت المعنى أهل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يتغير معناها في سياقها اللغوي، الاجتماعي، النفسي، وهكذا المبنى الواحد، لا تكون له نفس الدلالة في كل سياق، وهذا يحتاج إلى بيان وتوضيح سندنا العلمي فيه، هو العلوم اللسانية المعاصرة[1]:

القرابة من النبي عليه الصلاة والسلام مجردة من الاسلام لا تفيد، هي غير مجدية لا في الدنيا ولا في الآخرة، المسلم يتبع أقارب النبي ويترضى عليهم، لا بحكم القرابة بل بحكم الانتماء لهذا الدين. سيدنا علي لو لم يكن من الصحابة يكون هو وعم النبي أبوطالب سواء في الكفر، لو أخذنا بجدل الفلاسفة، وقلنا أيهما أفضل القرابة أم الصحابة ؟ يأتي الجواب واضحا: الصحابة، أبي بكر ليس من القرابة، وهو من الصحابة، وعم النبي أبو طالب مات كافرا، وان كان من القرابة، لذلك الأصل هو الصحابة، والفرع هو القرابة لذلك لا يمكن تقديم الصحابة عن القرابة، لا يوجد في ذلك خلاف معتبر بين أهل العلم وقد روى البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا عماه قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة فقال: لولا أن تعيرني قريش يقولون: ما حمله عليه إلا جزع الموت، لأقررت بها عينك، ولا أقولها إلا لأقر

[1] راجع كتابنا اللسانيات النظرية العامة في اللسانيات الاسلامية لم يطبع بعد.

بها عينك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ القصص الآية: 56».

نقرأ في سورة الأنفال قوله تعالى الآية: 64 قوله تعالى: ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ و في التوبة الآية 20 يقول الله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ الآن نفصل قليلا في المصطلح، ولنبدأ بمصطلح آل البيت، هو مصطلح طارئ لا أصل له، لأنه يناقض جوهر الاسلام، لا يوجد في شريعتنا عائلة مقدسة، هذا من المفاهيم الفلسفية، تجدها في الزرادشتية خاصة، و عند الفراعنة، وكل الحضارات القديمة لأن فلسفة السيد والعبد ونظرية الطبقات عمت وسادت في التاريخ القديم والحديث والمعاصر، وما زالت من أجل ذلك ولأنها دعوة قديمة، بعث الله الأنبياء والرسل ليبطلوا هذه الدعوة الظالمة، ويخرجوا الناس من عبادة العباد لعبادة رب العباد.

آل النبي له مفهوم لغوي وآخر شرعي، الآل لغة يتضمن الزوجة والأولاد والأقارب والأتباع الذين يؤولون إليه، ويدخل الرجل نفسه، المقصود الشرعي له دلالة خاصة الآل يدخل فيه الأتباع فقط، لما نقول آل النبي شرعا، يكون القصد الأتباع فقط زوجات وأقارب وأولاد لا يدخلون، إلا إذا كانوا أتباعا للنبي، والشاهد قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ القمر الآية: 34 وقوله تعالى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر الآية: 46 الآل من دلالته النجاح والفوز، كما هو واقع مع آل لوط، ودلالته كذلك الثبور والخسران، كما هو واقع مع آل فرعون، هذه الدلالة القرآنية الواضحة البينة تفتح لنا مجال الفهم، لنستوعب معاني جاءت في السنة المطهرة هي تأكيد لما جاء به

القرآن الكريم الصلاة الإبراهيمية، يعرفها كل مسلم في صلاته، وجاءت بصيغ كلها صحيحة نذكر منها: « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد».

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

« اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

« اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

هل يفهم من الآل التخصيص وأنها تخص عائلة بعينها، وهذا هو الفهم الخاطئ لما نقول آل فرعون يدخل أتباع فرعون، ولما نقول آل لوط يدخل آل لوط ولما نقول آل محمد يدخل علي وبنوه فقط، ونستثنى من المعنى العام أمهات المؤمنات الطاهرات، نبي الاسلام ما جاء ليرفع أسرة، أو يورث ملكا، يقول عز من قائل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء الآية: 107.

لأن هناك من يحتج على الأمة بالوقائع التاريخية، ويجعلها مصدرا للتشريع، ولأن العقل الاسلامي مع زمن جاءته الأمراض والعلل من ميراث الفلسفات الوثنية استقر عنده أن آل البيت في الصلاة الابراهيمية، تخص عائلة عينها، وغاب عنه أن الآل هم الأتباع والرجل داخل، وأن النسب لا يدخل، لأنه لا يقدم في حياة الدنيا والأخرة ولا يؤخر ولا طائل منه، تكون ابن فاطمة رضي الله عنها، أو ابن الكاهنة البربرية، الأمر سيان ما يقدم ويؤخر العمل الصالح، يقول

تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ المؤمنون الآية: 101.

نظرية قداسة النسب مشتركة بين الشيعة المجوس، والصوفية المنحرفة، تجد عندهم العائلة المقدسة، وعندنا هنا في الهضاب والصحاري، والتل والعالم الاسلامي بالمجمل عائلات ترفض تزويج بناتها خارج المقدس، والغرض حتى لا تتلوث دماءهم الزكية المزعومة، والأصل أنه لا فرق بين التشيع المجوسي والتصوف المنحرف.

نهاية هذا الفكر يصل بأصحابه لاختلاق الدواعي والصوارف، التي تصرف أهل الإيمان عن عقيدتهم، ولنضرب لذلك مثلا نختم به الفصل لأنه يستحق النظر يكتب أحد الدجالين[1] :« في تحقيق نبوءة سيدي خالد بن سنان عليه السلام وأقوال العلماء والأحاديث الواردة في ذلك أقول فمما يؤيد ويحقق لنا نبوءة سيدنا خالد بن سنان العبسي عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام ما ذكره العلامة المحقق والاسناد المدقق القاضي العدل الشيخ السيد علي الونيسي القسنطيني في رسالته التي جمعها في البحث عن حال سيدنا خالد عليه السلام فقد نقل عن علماء أعلام أجلة فحول القطع والجزم بنبوته عليه السلام منهم القاضي البيضاوي وجار الله الزمخشري والقرطبي في تفاسيرهم والحلبي وابن سيد الناس في سيرتهما والشاطبي في تاريخه والشيخ الأكبر في فصوصه[2] واليوسي في حواشي الكبرى وذكر ورود ابنته على النبي صلى الله

---

[1] كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء راجع الصفحة: 51 و 52.

[2] يقصد كتاب فصوص الحكم لمحيي الدين ان عربي الصوفي صاحب نظرية وحدة الوجود الفلسفية.

عليه وسلم وانتسابها إليه وبسطه لها من ردائه وقوله لها : مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه أو نحو ذلك وجزم الشيخ مصطفى الرماسي في شرح الصغرى أن قبره عليه السلام في الزاب».

النبي خالد بن سنان، ونبي المشمش وغيرهم، هي من روايات الشيعة والزنادقة ينسبون له الضريح في بسكرة، وتنسب إليه مدينة سيدي خالد والعوام، يقولون ضريح سيدي خالد، وهو من ميراث الدولة الفاطمية المجوسية كذبوا، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم : « أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ» وَفِي رِوَايَةٍ أَنَا أَوْلَى الناس بعيسى بن مَرْيَمَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ قَالُوا كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ وَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ».

المراجع العربية:

1. الأغا عودة المزاري تحقيق ودراسة الدكتور يحيى بوعزيز طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر دار الغرب الاسلامي لبنان الجزء الأول والثاني.
2. الشيخ العلامة محمد بن يوسف الزياني دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار وهران تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي اعتنى به عبد الرحمن رويب عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
3. أحمد بن هطال التلمساني تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم الناشر عالم الكتب القاهرة.
4. برونو إيتين ترجمة ميشيل خوري عبد القادر الجزائري دار عطية للنشر لبنان الطبعة الأولى 1997.
5. شارل هنري تشرشل ترجمه وقدم له وعلق عليه الدكتور أبو القاسم سعد الله حياة الأمير عبد القادر الدار التونسية للنشر.
6. د . العربي دحو جمع تحقيق ـ شرح وتقديم ديوان الشاعر الأمير عب القادر 1807 ـ 1883 ميلادية منشورات ثالة 2007.
7. بومداني مصطفى الجفر في الشعر الشعبي الجزائري أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الأدب الشعبي جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان السنة الجامعية: 2015/ 2016 ميلادية.
8. زرت مدينة الأغواط الكابتن ديوراند ـ دولاكر Durand ـ Delacre رئيس مكتب شؤون العرب ترجمة كزواي الحاج العربي مطبعة دالي الأغواط.
9. أ . مونجان ترجمة كزواي الحاج العربي معلومات حول تاريخ الأغواط مطبعة دالي الأغواط
10. تاريخ بني لقواط لم يطبع.

11. نور الدين بودربالة عابد سلطانة عائلة البحايثية ودورها القيادي في مخزن وهران من خلال كتاب طلوع سعد السعود للآغا بن عودة المزاري مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية المجلد: 8 العدد: 1 جوان 2017

المراجع الفرنسية:

المرجع الأم للبحث:

المجلة الإفريقية المجلد 1856 ـ 1929 1864 ,Rubrique: Articles N° 44

Notice sur les Sahari, les Ouled ben Aliya, les Oulad Naïl et sur l'origine des tribus Cheurfa الكاتب: Arnaud مترجم عسكري.

HISTOIRE DES OULAD NAÏL FAISANT SUITE A CELLE DES Sahari (Voir les n : 44 et 45 de la Revue africaine)

المراجع الأجنبية:

1. Le Général de Sonis, d'après ses papiers et sa correspondance par Mgr Baunard - 1 RECTEUR DES FACULTÉS CATHOLIQUES DE LILLE - PARIS LIBRAIRIE CHARLES POUSSIELGUE RUE CASSETTE, 15 - 1891 TRENTIÈME ÉDITION.
2. Roger FRISON-ROCHE Djebel Amour

Dix ans a travers l'islam, 1834-1844 - Roches Leon - Hachette

3. Arnaud Interprète militaire Siege D'ain Madi. Par El-Hadj Abd-el-Kader b. mo hie Eddine I et 2

Le Sahara algérien : études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie De Eugène Daumas Hachette BNF

4. Joseph Hammer Ancient Alphabets And Hiroglyphic Characters London 1806.

الفهرس